

www.ahlaltareekh.com

الحجز عن طريق الإنترنت أينما كنت

هل تخطط لرحلة أثناء عطلتك؟ الآن تستطيع إجراء
حجوزاتك أينما كنت، بإمكانك استخدام نظام الحجز الإليكتروني
للرحلات الداخلية عن طريق الإنترنت ... فقط تفضّل بزيارة موقعنا www.saudiairlines.com

عالم جديد من الاختيارات

SAUDI ARABIAN AIRLINES  الخطوط الجوية العربية السعودية

لدينا
أحدث وأسرع تكنولوجيا
للطباعة .. C.T.P.



مونتاج الكتروني مباشر من الكمبيوتر إلى البليت
Direct Digital Imposition : Computer To Plate

مطابع هلا
HALA PRINTING PRESS
ص.ب ٥٥٠١٩ الرياض ١١٥٣٤ تلفون ٤٨٢١٣١٣ - فاكس ٤٨٢٩٦٢٠
P.O.Box 55019 Riyadh 11534 - Tel.: 4821313 - Fax: 4829620
www.halaprintpack.com - e-mail:info@halaprintpack.com

www.ahlaltareekh.com



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

www.ahlaltareekh.com

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ ديناراً ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ـ هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٠٠٢٠٢، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٠٣٥، ١ هاتف ٢١٢٨٢٤٨ـ فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١ـ ٠٠٩٦٣، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ ص.ب ٧١٩ـ فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ٧١ ـ ٠٠٢١٦، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ـ ٠٠٩٦٢، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٣٦ ت ١٢/١١/٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٠٠٩٦٥، المغرب ، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٣٢/٢٢٤٠٤٠٣١ ـ ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢/٢٠١٩٠١ ـ ٣ ـ ٠٠٩٦٧ فاكس: ٧/٢٠١٩٠٩







تراث العراق في مهب الريح!

نالت يد التخريب من آثار العراق ومخطوطاته مع نهاية الحرب الأمريكية البريطانية عليه ما لم تنله منها عوادي السنين والأعوام، ومثل هذا الاعتداء الصارخ على جزء غال وثمين من التراث الإنساني وصمة عار في جبين إنسان القرن الحادي والعشرين.

وكان للحدث ردود أفعال متباينة في كل أرجاء المعمورة، وإحساسًا بأهميته، وتوثيقًا له، رصدت الفيصل دقائقه وأصداءه.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:
١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:
هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨

www.ahlaltareekh.com

قلق وتساؤل!

أهديكم تحياتي وتقديري في سبيل الرقي بهذا الصرح الثقافي الرائع وإنني من المتابعين لمسابقة هذه المجلة، بل إنني من المغرمين بها، ونتشوق إلى وصولها شهرياً، وبما أنني من محبي المجلة جداً بسبب العلوم والثقافة الموجودة فيها، والمسابقة الشهرية، أود أن أخبركم بالآتي:

ـ تأخير المجلة لا يزال يقلقنا دائماً إذ إنها تصل أحياناً في نهاية الشهر، وأحياناً يبقى أسبوع في منتصف الشهر الثاني فأرد الجواب في ذلك اليوم نفسه عن طريق البريد السريع، وربما خطر على بالي أن مجلة الفيصل قد انقطع وصولها إلينا منذ شهر ذي القعدة. بينما بعض المجلات تصل في بداية الشهر.

ـ لقد أرسلت لكم عدة رسائل حول مسابقة الفيصل وبدأت في متابعة المسابقة منذ العدد (٣٠٣) سنة ١٤٢٢هـ، وكنت أجيب دائماً عن الأسئلة بشكل صحيح إلا أنني لم أفز ولا مرة واحدة مع أنني أكتب اسمي وعنواني بالإنجليزية.

ـ هذه الرسالة أسجلها بالبريد العادي لهذا أرجو منكم نشر اسم وعنوان المراسلة المضمونة على ورقة. ونشر رسالتي هذه في باب «رسائلكم»، وسأكون لكم من الشاكرين. ودمتم بخير في خدمة الثقافة.

الحسين نجم الدين نوح
ص.ب ٩٨ أبواسو
كوماسي ـ غانا

التحرير:

تعتذر المجلة لك ولجميع الأخوة القراء الذين اشتكوا من تأخر وصول المجلة إليهم، وإذا كنا في الماضي نعزو السبب إلى شركات التوزيع في البلاد التي تصل منها الشكوى، إلا أن التأخير في هذه الفترة بسبب ظروف فنية حالت دون صدور المجلة في موعدها، وإن شاء الله سوف تُحلّ هذه المشكلة قريباً، وسينتظم وصول المجلة إلى قرائها في أي مكان في أول كل شهر.

أما بخصوص المسابقة، فإن اختيار الفائزين من بين الذين يجيبون إجابات صحيحة عن الأسئلة يكون بالقرعة. ونتمنى أن يحالفك التوفيق في القريب.

إلى الغيورين على اللغة العربية

سبق أن أرسلت إليكم قسيمة اشتراك باسم شعبة اللغة العربية بجامعة كوناكري، ولكن لشكنا في سرعة وصولها إليكم أو حتى مجرد وصولها عن طريق البريد الغيني الذي تشرف عليه شركة أوربية، ويتم فرزه وتوزيعه في بروكسل (بلجيكا) وعادة تتأخر الرسائل الموجهة إلى البلاد العربية!! آثرنا معاودة الكتابة إليكم عن طريق البريد الفرنسي عبر أحد الأشخاص المتوجهين إلى فرنسا.

نؤكد حاجتنا الماسة إلى تلقي مجلتكم «الفيصل» بانتظام ـ وليكن عن طريق الحقيبة الدبلوماسية السعودية إلى كوناكري ـ حتى يتمكن الطلاب بالشعبة من مطالعة موضوعات المجلة القيمة، ويوسّعوا معارفهم في المجالات المختلفة باللغة العربية، ويلموا بلغة عربية حية ومعاصرة ورصينة في الوقت نفسه، وحتى لا يقتصروا على لغة المناهج الدراسية ولغة الكتب التقليدية المحدودة بالضرورة، خصوصاً أننا هنا في غينيا منقطعون تماماً عن عالم الصحافة باللغة العربية؛ فلا تصل إلى كوناكري العاصمة أي صحيفة أو مجلة عربية!!؛ ولا نجد مع باعة الصحف إلا الصحف والمجلات الفرنسية القادمة من فرنسا مباشرة وفي موعدها، وكذلك الصحف المحلية وكلها بالفرنسية.

فأملنا أن يجد التماسنا هذا صدى لديكم وأن يصلنا ردكم في أقرب فرصة إن شاء الله تعالى.

بوسعكم أيضاً أن ترفعوا صوتنا إلى كل الغيورين على لغة القرآن الكريم والمهتمين بنشرها وتدريسها بأنجع الوسائل، ليزودونا بمكتبة مكونة من:

www.ahlaltareekh.com

١ـ معاجم عربية ـ عربية حديثة وقديمة.
٢ـ معاجم عربية ـ فرنسية، وفرنسية ـ عربية (عامة ومتخصصة).
٣ـ كتب في النحو والصرف (ويا حبذا المعروض منها بطريقة حديثة ومبتكرة).
٤ـ كتب في الأدب والنقد والرواية والمسرحية مع نماذج من الرواية والمسرحية.
٥ـ كتب في علم اللغة الحديث MODERN ARABIC LINGUISTICS.
٦ـ كتب في تقنيات التعبير.
٧ـ معاجم أو كتب تعالج التعبيرات العربية والإسلامية، أو ما يسمى بالتعبيرات الجامدة أو المسكوكة (الأمثال)، مثل: (عاد صفر اليدين ـ رجع بخفي حنين ـ اشتعل رأسه شيباً ـ ثاب إلى رشده ـ على قدم وساق ـ قارعة الطريق).
٨ـ كتب في التدريبات اللغوية مع التركيز في المترادفات والتضاد بوسائل متعددة ومتنوعة مثل الكلمات المتقاطعة ونحوها.
٩ـ موسوعات عربية وأطالس وخرائط حائطية للعالم العربي والإسلامي و CD ROM,S بها كل ما سبق ذكره. وجزاكم الله عنا وعن طلاب اللغة العربية بجامعة كوناكري كل خير.

المسؤول عن شعبة اللغة العربية بجامعة كوناكري

د. ممدوح مطاوع
كوناكري ـ غينيا

التحرير:

ننشر رسالتكم كاملة حتى يصل صوتكم إلى كل الغيورين على لغة القرآن الكريم ليعمل على مساعدتكم من يستطيع منهم، وسوف تصل إليكم المجلة مع مطلع كل شهر إن شاء الله، لعلها تسهم في خدمة طلاب العلم في هذا البلد، مع تمنياتنا لكم بالتوفيق والسداد.

تنويه

ننوه إلى أنه قد سقطت سهواً عبارة من مقالة الأستاذ حمد عبدالرحمن الراشد «تحليل موضوعي لمفاهيم الشرق والغرب»، والفقرة التي اشتملت عليها العبارة، تقرأ على النحو الآتي: «وعند النظر إلى مواد الطبيعة والمصادر التجارية وتداولها خلال التاريخ، نجد أنه قد تمّ تفسير هذا التداول على أنه عنصر وحيد في العوالم المختلفة مع بداية القرن التاسع عشر بغرض تقسيم هذه العوالم إلى شرقية وغربية، أو حسب القوالب الجاهزة بهدف خدمة ظواهر الاستغلال الاقتصادي حيث اعتبر التداول قصداً كاتجاهين متوازيين شرقاً وغرباً، دون النظر إلى ما تحمله الموارد الاقتصادية من مضمونات بيئية وحضارية، وما تشكله كأصل ثابت للتمييز بين الدول المختلفة». فاعتذارنا للدكتور حمد وللإخوة القرّاء.

ردود سريعة

الأخ حاتم عبدالغفار رمضان حسين ـ المنيا ـ مصر:

نشكر لك ثقتك بمجلتك، ولكن يصعب علينا تلبية الطلبات الشخصية، لذا نعتذر لك، وقد يفيدك الاتصال المباشر بالجامعة المذكورة، ولا تنس أن هناك مواقع على الإنترنت لمؤسسات علمية كثيرة يمكن أن تفيد منها في الاتصال وتحقيق حلمك.

الأخ صالح عبدالعزيز الدويس ـ عنيزة ـ السعودية:

للحصول على الأعداد الأولى من المجلة يمكنك الاتصال بقسم الاشتراكات في المجلة وتحديد ما ترغب، وسوف تصل إليك على عنوانك إن شاء الله.

الأخ كمال بن الهادي مبروك ـ سوسة ـ تونس:

نشكر لك إطراءك، ونتمنى أن نكون عند حسن ظن القراء أمثالكم، وليتنا نصل إلى منافسة المجلات العالمية كما تقول.

www.ahlaltareekh.com

البيوت السورية القديمة تتحول إلى فنادق ومطاعم واستوديوهات

محمد مصطفى مسلماني
حلب - سورية

عبر تاريخها الطويل ، تميزت الدور العربية السورية القديمة بنسيج معماري فني، جسَّد روح الأصالة والتراث، وحمل سمات الهوية العربية بكل معانيها ومضامينها.



وتحلو الأحاديث والذكريات «بيت أبو العز في دمشق»

www.ahlaltareekh.com

وقد انفردت مدينتا دمشق وحلب عن غيرهما من المدن السورية بمثل هذه البيوت وكثرة عددها، ولكن معاول الهدم - يالأسف - طالت غالبيتها العظمى، وما تبقى منها تحوّل مع مرور الزمن إلى «خرابات» مهجورة، أو مستودعات ومخازن لسلع التجار والصناعيين وبضائعهم، الذين لم يهتموا بها وبأعمدتها وجدرانها التي أخذت تتداعى وتتساقط تحت وطأة الإهمال، وعوامل الزمن، لكنه في الوقت نفسه، وبغية إيقاظ التاريخ، وإعادة الروح والأصالة إلى هذا التراث العريق الممزوج بسحر الماضي وألق الحاضر، تنبه متأخراً بعض أذكياء السياحة، للأهمية التاريخية لهذه البيوت فراحوا يرممونها ويحولونها إلى مطاعم وفنادق، وذلك مع المحافظة ما أمكن على طابعها الأثري، وإظهار خصائصها وصفاتها الفنية والمعمارية القديمة، وقد نجحت هذه الجهود الفردية في مسعاها، ليصبح ما تبقى من هذه البيوت، قبلة المغتربين والسيّاح والمواطنين الأثرياء، الذين بدؤوا يملّون من «أتيكيت» المدينة والحضارة، وراحوا يتطلعون إلى حياة الماضي بكل هدوئه وبساطته وألفته الاجتماعية، فوجدوا ضالتهم في هذه البيوت، وكانت عوناً لهم على تغيير نمط حياتهم الروتيني المملّ، ولا سيما بعد أن جعلت معظم هذه الدور شعارها « لا للكحول ... ونعم للعائلات والذكريات الحلوة وجلسات المحبة».

معاول الهدم تصيب البيوت العربية القديمة لتنصب مكانها الأبنية الحديثة



رشفة من القهوة العربية بداية الضيافة في الفنادق والمطاعم

البيت الشامي والحلبي القديم ... ميزات وخصائص

في الحقيقة لا يلاحظ الزائر لهذه الأماكن فرقًا كبيراً من حيث المظهر العام بين البيوت الدمشقية والبيوت الحلبية.

فالهندسة والتصميم وهيكلية البناء عموماً، تكاد تكون متشابهة كثيراً فيما بينها، وهذا يدل على أن المعماري السوري، كان حريصًا على أن يكون بيته ذا خصوصية مميزة، فمعظم هذه الدور تتجمع في حارات مغلقة، ذات باب واحد للدخول والخروج، وبذلك لا يمكن لأحد أن يدخلها إلا قاصدها، وجدرانها العالية تؤمن عدم الكشف على المارة والجيران، وكذلك نوافذها العالية تسمح للضوء والهواء بالدخول دون الإطلالة أو الإشراف على البيوت المحاذية، وغالبًا ما يؤدي ممر الدار إلى باب جانبي يدخل المرء منه إلى ساحة البيت، وذلك دون أن يرى المارة في الطريق من هو في الداخل، أما

www.ahlaltareekh.com

بالنسبة إلى غرفة الاستقبال فهي مستقلة عن غرف النوم والمعيشة، التي غالبًا ما تكون في الطابق الثاني، وتتيح للمرء «المشربيات» الموجودة في هذه البيوت، أن يرى من هم في الخارج دون أن يراه الآخرون، وطبعًا لم يكن يسمح في الماضي بافتتاح حوانيت ودكاكين أمام أبواب هذه الدور، وذلك منعًا للكشف والإطلال المباشر على الأهالي.

أما بالنسبة إلى الشرفات، فهي لا تطل إلا على ساحة الدار المعزولة تمامًا عن العالم الخارجي، والتي غالبًا ما تكون أرضيتها من الرخام الملوّن المرصوف بأشكال هندسية رائعة تجعلها تبدو كأنها سجادة متعددة الألوان، مفروشة في صحن الدار الذي يتصدره عادة مكان مرتفع عن أرضية الدار بنسبة «٢٠ ـ ٤٠ سم» ويسمى هذه المكان بـ «الليوان»، ويقع في الناحية الجنوبية من الدار، والليوان هو ردهة ذات ثلاثة جدران، وسقف يقوم على أعمدة أفقية مزخرفة بألوان من الفسيفساء أو الرسومات النباتية، ويعدّ الليوان من أهم ما في البيت العربي السوري القديم وأجمله، حيث يتم فيه استقبال الضيوف في أيام الصيف لتميزه بالبرودة والنشاط، ولكونه مفتوحاً كلياً من الجهة الشمالية، ويتصدره جدار يحتوى على محراب ذي « مقنطرات» و«معقودات» وأشكال تزينية آية في الجمال.

من صفات الأسرة السورية القديمة

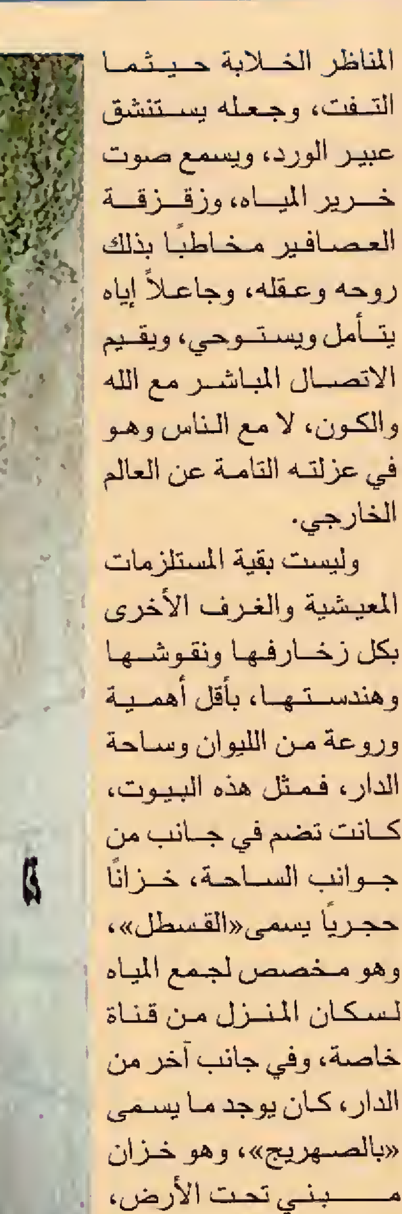
ولأن الأسرة السورية قديماً، لم تعتد الخروج من الدار كثيراً، ولم ترض أن يراقبها أحد أو يطلع غريب على حياتها، جعلت من ساحة الدار مكاناً أشبه بالحديقة الغناء، حيث توجد في وسطها بركة ماء مرمرية ترطب الجو، وتعكس أرضيتها ضوء القمر والنجوم وتحتل أحواض الورد والزهر والياسمين جوانب الساحة كافة، وتنتصب أشجار الكبّاد والليمون والبرتقال و«دوالي» العنب في كل مكان.

حتى كأن المعماري السوري في ذلك، أراد أن يخاطب فيما بناه وصنعه كل حواس الإنسان، فأراه



حفلة عائلية في مطاعم دمشق القديمة

www.ahlaltareekh.com



المدخل المؤدي إلى الفنادق والمطاعم في حلب

المناظر الخلابة حيثما التفت، وجعله يستنشق عبير الورد، ويسمع صوت خرير المياه، وزقزقة العصافير مخاطبًا بذلك روحه وعقله، وجاعلاً إياه يتأمل ويستوحي، ويقيم الاتصال المباشر مع الله والكون، لا مع الناس وهو في عزلته التامة عن العالم الخارجي.

وليست بقية المستلزمات المعيشية والغرف الأخرى بكل زخارفها ونقوشها وهندستها، بأقل أهمية وروعة من الليوان وساحة الدار، فمثل هذه البيوت، كانت تضم في جانب من جوانب الساحة، خزانًا حجريًا يسمى «القسطل»، وهو مخصص لجمع المياه لسكان المنزل من قناة خاصة، وفي جانب آخر من الدار، كان يوجد ما يسمى «بالصهريج»، وهو خزان مبني تحت الأرض، ومخصص لجمع مياه الأمطار شتاءً، وذلك إضافة إلى البئر أيضًا،

وتتميز جدران الغرف بالسماكة إلى الحد الذي يمنح ساكنيها الدفء في الشتاء، والبرودة في الصيف، ويؤمن لهم كل الهدوء والسكينة ويحجب عنهم الضجيج والصخب، وكل غرفة في البيت لا بد أن تحوي تجاويف جدارية كبيرة، تستخدم كخزائن لحفظ الأمتعة، وقد تكون أسقف هذه الغرفة مكسوة بالخشب ومرصوفة بمختلف الرسومات الملونة والأشكال الهندسية الرائعة المؤلفة من مئات من قطع الموزاييك الصغيرة التي تشكل فن «الأرابسك» الذي أبدعته أنامل فنانين مهرة، وصل إلى حد الإعجاز، وقد أدّى اتساع الدور السورية القديمة دورًا كبيرًا في ترابط النظام الأسري السوري وتماسكه، فقد كان

www.ahlaltareekh.com

الجـد يسكن مـع أبنائه وأحـفـاده في الدار ذاتهـا، ويمارس عليهم سلطته، ويقيم التضامن الاجتماعي بينهم في السراء والضراء.

فنادق ومطاعم

تعدّ دمشق هي السباقة في هذه الظاهرة، فقد بلغ عدد بيوتها القديمة التي تحولت إلى مطاعم ومقاه حصراً دون الفنادق، أكثر من عشرين بيتًا، ويوجد أغلبها داخل سور مدينة دمشق القديمة الممتد من شارع مدحت باشا إلى باب الفراديس، وفي أماكن أخرى متفرقة في وسط المدينة، وقرب المسجد الأموي، وقد جاء في استطلاع لآراء بعض الزوار لهذه البيوت، نشرته إحدى الصحف السورية منذ فترة، أن أكثر البيوت الدمشقية ارتياداً وإقبالاً، هي بيت جبري وبيت أبي العز، والقيشاني، وحجة الزوار في ذلك، أن أصحاب هذه الدور أو «المطاعم» كانوا يعملون من قبل في مختلف مجالات السياحة، ولهذا راعوا كل التفاصيل والحيثيات السياحية الدقيقة في مشروعاتهم السياحية القائمة حاليًا، التي تهم الزوار العرب والأجانب على حد سواء، وعرفوا كيف يستثمرون هذه النقاط التي عدّت عوامل رئيسة لجذب الناس واستقطابهم من كل حدب وصوب، وقد بدأت هذه البيوت الدمشقية وغيرها، تشهد في الآونة الأخيرة إقبالاً ملحوظًا من قبل الزوار، ولكن بيت «جبري» الواقع قرب المسجد الأموي الذي بني عام ١١٥٧هـ/١٧٣٧م، على الطراز الإسلامي استحوذ على هذا الإقبال، وصار يشهد حركة دائمة لا تنقطع على مدار العام، وهو من أوائل البيوت الأثرية الدمشقية الموجودة حاليًا، كما أنه يعّد أول بيت قديم يتحول إلى مطعم دمشقي بعد إصلاحه وترميمه. وكان قبل نحو ٣٠٠ عام يعود لآل «الشلبي» ثم عادت ملكيته فيما بعد لعائلة جبري، وتحديداً للسياسي السوري رشاد جبري، وبعدها للشاعر شفيق جبري، ومن ثم للورثة أبناء العائلة، ويتألف هذا البيت الذي تبلغ مساحته ١٢٠٠م٢ من ٢٣ غرفة موزعة على طابقيه العلوي والسفلي، وتعدّ هذه المساحة متقاربة في معظم البيوت الدمشقية القديمة، ثم تلاه بعد ذلك عدد من البيوت الشامية الأخرى التي تحولت إلى مطاعم ومقاه حصراً، ومع أن دمشق كانت البادئة في هذا الاتجاه قبل نحو ١٥ عاماً إلا أن مدينة حلب التي تنبهت متأخرة، أقحمت نفسها



إحدى الكنائس التي لا تزال قائمة في منطقة «الجديدة» منذ مئات السنين

www.ahlaltareekh.com



وفد سياحي في أحد المطاعم والفنادق القديمة في حلب

في هذا الخط، ولكنها لم تكتف بالمطاعم فقط كما حصل في دمشق، بل عمدت إلى تحويل بيوتها القديمة إلى مطاعم وفنادق أيضاً، وقد لاقى هذا الاتجاه كل الترحيب والرضا من قبل أثرياء البلد والمغتربين والسياح بمختلف جنسياتهم، ولعل أكثر ما ساعد على نجاح هذا الاتجاه في حلب، هو كونها مدينة من أقدم مدن العالم، إضافة إلى تمركز مثل هذه البيوت في منطقة واحدة تعدّ من أقدم مناطق حلب تاريخياً، وهي منطقة «الجديدة»، وذلك فضلاً عن قيام أصحاب هذه المطاعم والفنادق بمعاملات مميزة لروّادهم وزوّارهم، كالاتصال بهم من حين إلى آخر للسؤال عنهم والاطمئنان عن صحتهم حتى ولو كانوا خارج القطر، وإرسال الهدايا لهم في المناسبات والأعياد المتنوعة، واختيار عناصر خدمة المطاعم والفنادق من المجازين والمؤهلين وممن يتقنون عدة لغات .. إلخ.

لذلك ... وبهذا الأسلوب الذكي وغيره من الأساليب الأخرى، استطاع أصحاب مثل هذه المشروعات في حلب، أن يوجهوا الأنظار إلى مدينتهم، حتى أصبحت هذه المدينة بفنادقها ومطاعمها الأثرية الستة، وخلال فترة قصيرة قبلة للزوار والسياح، ومقصدهم الثاني بعد مدينة دمشق، هذا إن لم يكن الأول في أغلب الأحيان، وحتى تاريخه لم تشهد مدينة حلب قيام أي مشروع آخر يماثل

www.ahlaltareekh.com

المشروعات السياحية الستة الموجودة فيها في منطقة «الجديدة»، وسواء أكان ذلك بسبب عدم منح موافقات التراخيص اللازمة لإقامة مثل هذه المشروعات مجدداً، أم بسبب التكاليف الباهظة التي تتطلبها ضرورات التصليحات والترميمات لهذه البيوت الأثرية لتحويلها إلى مطاعم وفنادق، والتي قد تصل إلى عشرات الملايين من الليرات أحياناً، أو لأي من الأسباب الأخرى المتنوعة، فإن ما يمكن قوله، هو أن هذه الدور الأثرية الست لا تزال في كل الأحوال هدف الزوار والسياح، ولا يزال الإقبال عليها يزداد يوماً بعد يوم، وهذه البيوت وغيرها من البيوت الأخرى الموجودة في المنطقة المذكورة، بناها بعض الميسورين في القرنين الخامس والسادس عشر، وهي تحفل منذ القديم ولا تزال ببعض الكنائس والأديرة. وهذه الدور هي «كان زمان»، و«السيسي»، و«الياسمين»، و«زمريا»، و«القنطرة»، و«بيت وكيل».

دور مميزة

وفي هذا الخصوص تقول السيدة سميرة هلسا صاحبة دار «كان زمان»: «إن منزلها عمره أكثر من ٣٠٠ عام، وهو يتسع لأكثر من ٢٠٠ شخص، ويضم الكثير من القطع الأثرية والتحف الفنية القديمة، إضافة إلى مغارة الدار التي تصلح لإقامة الحفلات العائلية والتي تتسع لـ ١٥٠شخصاً أو يزيد، كما يشير السيد محمد حيلاني مدير دار الياسمين، إلى أن اسم المنزل جاء من اسم الحارة الواقع فيها، والتي كانت منذ القديم مشهورة ببيع الياسمين للذاهبين إلى الكنائس أيام الآحاد، وأهم ما في هذه الدار أنها تحوي على كهف قدر المهندسون عمره بأكثر من ١٥٠٠عام، وهو موصول بسرداب يؤدي إلى باطن قلعة حلب، وكذلك الأمر بالنسبة إلى دار السيسي، التي تعود تسميتها، إلى إمبراطورة النمسا «إليزابيت»، التي كان شعبها يدللها ويطلق عليها اسم «السيسي» تحبباً إليها، وقد



أكثر شيء يهتم السيّاح بشرائه «النحاسيات والشرقيات»

www.ahlaltareekh.com



بانتظار نزلاء الفندق على الطعام في ساحة أرض الدار

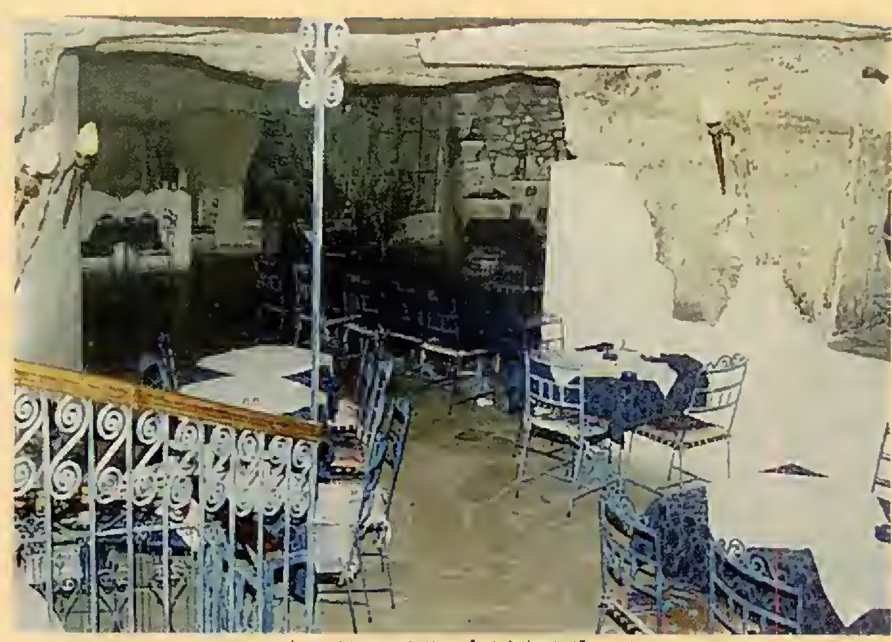
حمل المكان اسمها بعد أن زارته الإمبراطورة في يوم ما وهو لا يزال بيتًا أثريًا قديمًا، وهكذا ينطبق الأمر على «بيت وكيل» و«زمريا» و«القنطرة» وغيرها من البيوت القديمة الأخرى التي بقيت بيوتًا سكنية، ولم تتحول إلى مشروعات سياحية، ولم يبرحها أهلها، بل حافظوا عليها وتوارثوها عبر الأجداد والآباء، وكان لكل بيت من هذه البيوت حكاية عريقة، وذكريات لا تنسى، وتاريخ مجيد يشهد على عظمة مدينة حلب وأصالتها.

ومع أن هذه الظاهرة قد توقفت في حلب مؤخرًا، ولم يعد يسمح بتحويل مثل هذه البيوت إلى مشروعات سياحية لأسباب متنوعة، إلا أن مدينة دمشق لا تزال ماضية في هذه الخطة، إذ زاد الطلب في السنوات الأخيرة على البيوت الدمشقية القديمة، وراح أصحاب رؤوس الأموال يشترونها من أهلها، ويحولونها إلى مطاعم ومقاه، وصار هذا الأمر في ظل غياب المخطط التوجيهي العام للمدينة القديمة، يشكل خللاً في النسيج العمراني لها، ويؤثر سلبًا أحيانًا في المدينة بشكل عام، وذلك بسبب انعدام الضوابط والشروط المتعلقة بمسألة الترخيص السياحي للمباني الأثرية القديمة، والتي أصبحت تمنح بشكل عشوائي ومزاجي، مما حدا بالجهات المعنية إلى الإسراع في تعديل المخطط التنظيمي واستكمال المسح الشامل للمناطق والأحياء كافة، وتطوير التشريعات السياحية، وتوضيح الأسس التي يمكن من خلالها تحديد الأماكن المسموح باستثمارها سياحيًا، بما ينسجم مع تحقيق التوازن بين المحافظة على طابع المدينة وأصالتها وتحديث مرافقها المختلفة وتطويرها.

إستديوهات للتصوير

لأن أغلب الدور السورية القديمة بحاراتها وشوارعها وأزقتها كافة، عاصرت عددًا من الأحداث

www.ahlaltareekh.com



إحدى قاعات الطعام في مغارة بيت «كان زمان»

والوقائع المختلفة التي مرت على سورية خلال تاريخها الطويل، فقد توجهت إليها أنظار المخرجين أيضًا لتصوير أعمالهم ومسلسلاتهم التلفازية، ولا سيما تلك التي تتحدث عن حقب تاريخية قديمة، وراحوا في كثير من الأحيان يغيرون معالمها، ويبدلون خصائصها وسماتها، لتصبح أكثر ملاءمة للحدث الدرامي المراد تصويره، وهذا ما كثر بشكل أو بآخر في هذه البيوت وخصائصها المميزة، ومن المسلسلات التي صورت مؤخراً في بيوت مدينة حلب وحاراتها نذكرعلى سبيل المثال: «خان الحرير» للمخرج هيثم حقي الذي صور في عدد من بيوت مدينة حلب وخاناتها، و«باب الحديد» للمخرج رضوان شاهين الذي صور في منطقة باب الحديد وساحة بزة وفي بعض بيوتها وحاراتها القديمة القائمة حاليًا، و«الثريا» لهيثم حقي أيضًا الذي تم تصوير أغلب مشاهده في الأسواق والبيوت الواقعة في مناطق «الأصيلة» و«البياضة» و«تحت القلعة» وفي بعض القصور القديمة الموجودة في ريف حلب، ومسلسل «العرس الحلبي» للمخرجين فواز كيلارجي ومأمون البني الذي صور في بيت «جنبلاط» و«باب قنسرين»، وكذلك مسلسل «حي المزار» و«التركة» و«صهيل الألم» وغيرها، كما صورت في بيوت مدينة دمشق القديمة أيضًا، الكثير من المسلسلات التلفازية الأخرى، نذكر منها على سبيل المثال: مسلسل «سحر الشرق» للمخرج أنور قوادري الذي صور في بيت «نظام» الأثري، و«تمر حنة» للمخرج محمد فردوس الأتاسي صور في «بيت عنبر»، وحمام القيشاني» للمخرج هاني الروماني في بيت «نظام» أيضًا، و«الفصول الأربعة» للمخرج حاتم علي صور في بيت «جبري»، والكثير من المشاهد لمسلسلات أخرى متنوعة، من مثل«أخوة التراب» لنجدت أنزور، و«أحلام لا تموت» لغسان باخوس، و«الأيام المتمردة» لهيثم حقي، و«الخوالي» لبسام الملا، و«الخيزران» لمحمد بدرخان، إلى غير ذلك من المسلسلات الأخرى التي صور أغلب مشاهدها أو بعضها في بيوت دمشقية قديمة أمثال: بيت العقيقي، وبيت سقا أميني، وبيت السباعي، وبيت الدحداح، وبيت الجلد ... وغيرها.

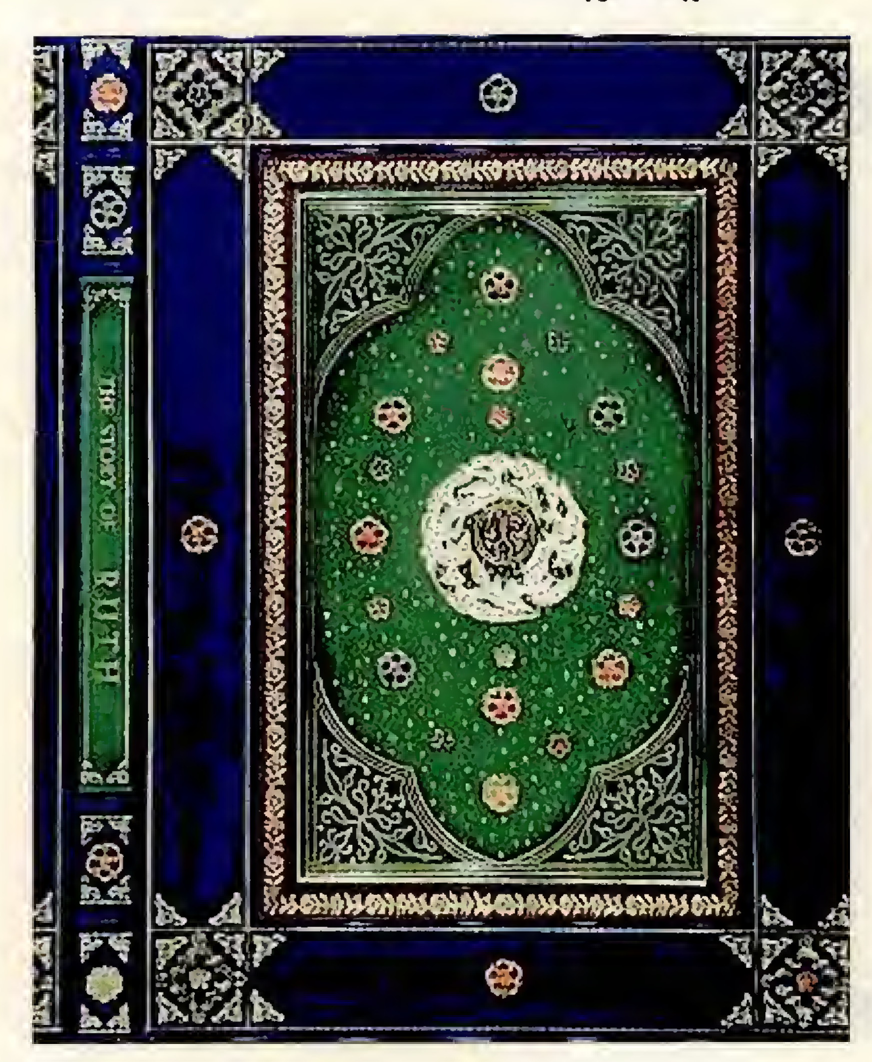
وفي هذا الخصوص، يجمع المخرجون السوريون على أن البيوت السورية القديمة تعطي انطباعًا صادقًا عن الحدث، ويبقى لها خصوصيتها الحميمة المميزة، التي لا تستطيع «الإستديوهات» المبنية أن تمنحها، مهما كان بناؤها دقيقًا ومبدعًا أوقريبًا جدًا من الواقع الانطباع الحار والصادق لأن هذا الانطباع لا تمنحه إلا هذه البيوت ولا سيما عندما يكون اختيارها صحيحاً ومتناسباً مع الأحداث الدرامية لهذا المسلسل أو ذاك، فمن عاش الحدث ليس كمن سمع به وحاول شرحه ووصفه.

www.ahlaltareekh.com

فنون التجليد والترصيع بالحلي في المغرب والأندلس

السعيد بنموسى
الرباط ـ المغرب

**كان تجليد المخطوط وترصيعه بالحلي في المغرب والأندلس ، في غاية التقدم والإتقان.
ففي العصر الموحدي تطور هذا الفن تطوراً عظيماً، وبلغ قمة الرقي والكمال لدرجة أن المجلد كان يجلّد المخطوط وهو مازال عند الناسخ ينسخه.**



وكما هو معروف كانت النساخة قديماً تقوم مقام الطباعة في وقتنا الحاضر، فمثلاً: إذا كان المخطوط عند الناسخ ينسخه ولم يتم النسخ، وصاحبه يريده أن يكون تمامه بالنسخ والتجليد سواء، فكانت طريقة تجليده هو أن يعلم المجلد أولاً عدد كراريس المخطوط، وقياس طوله وعرضه وعلوه، ويعلم مقدار ما يقصص من الكتاب، ثم يعمل الدفاف أو الدفات على حد ذلك، ويفصل له قطعة

www.ahlaltareekh.com

من الجلد، ثم يلصق على الدفة اليسرى مقدار ذلك العدد الذي أخذه عن ظهر الكتاب أو أكثر بقليل، وينزل اللسان الذي يتميز به التجليد العربي والإسلامي. ثم يعطف أطراف الجلد على الدفاف، ويذهّب كسوة الغلاف الجلدي بعد أن يجف طبعًا من الغراء. فإذا تم المخطوط بالنسخ وجاء للمجلد، يخيطه، ويقصه، ثم ينسخ له البرشمان، ويركب عليه كسوة الغلاف فيأتي كأنه جلد تجليدًا عاديًا غير ناقص ولا زائد على الكتاب المخطوط.

وهذا النوع من التجليد كان يسمى

استخدم الموحدون في تزيين بعض كسوة أغلفة المصاحف، السندس الأخضر، أي: الحرير الأخضر بدل الجلد، والصفائح الخشبية في باطن السندس بدل الصفائح الورقية، ثم رصّعوا هذه الأغلفة الحريرية بصفائح الذهب والفضة

(الظاهر من صنعة التسفير) وقلما يحكم عمله إلا من يجيد الصنعة، ويحفظها عن ظهر قلب، كما يقول الشيخ بكر بن إبراهيم الإشبيلي في كتابه الذي ألفه في عهد يعقوب المنصور الموحدي «التيسير في صناعة التسفير»(١).

التجليد التركيبي

هناك نوع آخر من التجليد كان يستخدم في هذا العصر، وسمّاه الشيخ الإشبيلي (المكسر)، أي: التجليد التركيبي، وهو أن يجلد المجلد الكتاب دون (اللسان) ثم يجلد اللسان بمفرده



www.ahlaltareekh.com

ويركبه على الكتاب، فيأتي بعد تذهيبه كأنه جلد بجلدة بأكملها. ولا شك أن هذه العملية كانت تستعمل في الكتب الكبيرة الحجم والضخمة، وخاصة إذا كانت الجلدة صغيرة لا تكفي تجليد سائر الكتاب.

إلى جانب هذه الفنون فإن صنائع أخرى كان المجلد يصنعها بنفسه في هذا العصر بالجلد ألا وهي صناعة أحفظة المصاحف، والمجمع الذي يجمع فيه أدوات النساخة.

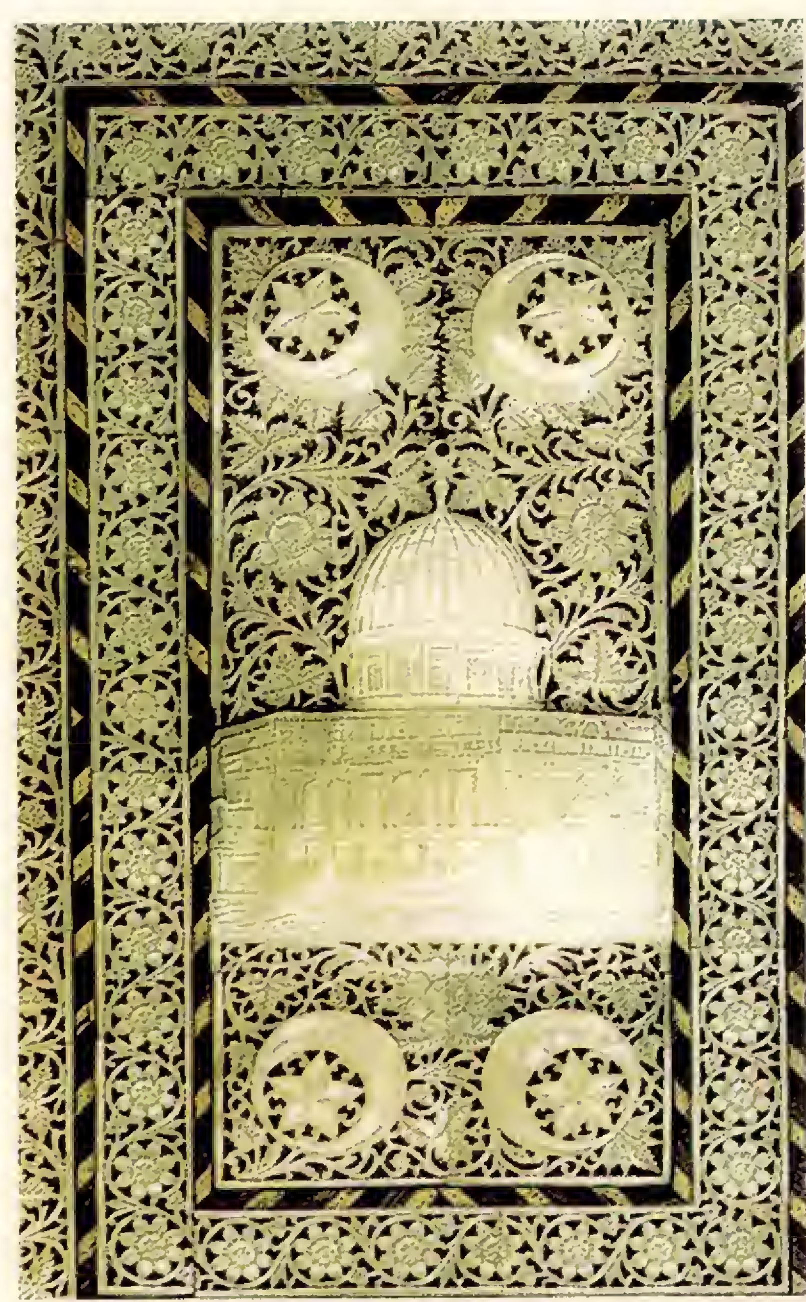
وحتى الفرشاة كان المجلد يصنعها في العصر الموحدي بالجلد بنفسه ليطلي بها الغراء.

فكان يأخذ قطعة صغيرة من الجلد ويرققها بالسكين حتى تتلين، ثم يرسم خطوطاً فوقها بالمخط، ويقصصها بالمقراض في شكل سيور، ثم يجمعها، ويشدها بالخيط على قبطها.

ومن المعلوم أن صناعة الفرشاة تطورت مع تطور العصر، وأصبحت فيما بعد تصنع من وبر الجمال والأرانب وغيرها.

البرشمان العربي والبيزنطي

استخدمت في العصر الموحدي في تزيين رؤوس كراريس المخطوط عدة أنواع من البرشمنة (الأحباك)، فإلى جانب البرشمان العربي (الدالي) الذي شكله مثلثات، كانت هناك أنواع أخرى من البرشمنه كالبرشمنة البيزنطية التي اشتهرت قديماً بالمنسوجات الحريرية، مثل الشطرنجي أي الذي شكله مربعات، والمضلع الذي جميع أضلاعه متساوية، والقلب وغيره. وقد وصف لنا الشيخ الإشبيلي في باب الحبك جل هذه الأنواع في مؤلفه السابق الذكر بغاية الدقة.



طابع مميز لفن التجليد الإسلامي

«... والعمل في هذه الأحباك الرومية (البيزنطية) أن تأخذ الخيط بالإبرة فتشبك كما ذكرت لك أولاً، إلا أنك تأخذ في أول كراسة مرتين قبل أن تأخذ في الثانية، وقد قدمت لك أنك تأخذ في الأولى، وفي الثانية، وحينئذ ترجع إلى الأولى، فهذا نقيض ذلك ، ثم تجعل المفتول بعد

www.ahlaltareekh.com

أخذك في الكراسة مرتين، وتشد الخيط عليه. ويكون طرف الخيط تحت المفتول، وفي التشبيك الأول لا يكون إلا محمولاً عليه، ثم تستمر إلى آخر الكراريس ... إلخ».

ويخبرنا الشيخ الإشبيلي أن بعض المجلدين كانوا يكتبون في البرشمان بألوان الحرير عنوان الكتاب أو ما يشتمل عليه الكتاب الأول من كذا إن كان كذلك أولاً، والثاني إن كان ثانياً.

ولا شك أن هذه العملية تحتاج إلى مهارة عالية جداً.

التجليد التركيبي هو أن يجلد المجلد الكتاب دون (اللسان)، ثم يجلد اللسان بمفرده، ويركّبه على الكتاب، فيأتي بعد تذهيبه كأنه جلّد بجلدة كاملة

ترصيع أغلفة المصاحف بالحلي

استخدم الموحدون في تزيين بعض كسوة أغلفة المصاحف، السندس الأخضر أي الحرير الأخضر بدل الجلد، والصفائح الخشبية في باطن السندس بدل الصفائح الورقية، ثم رصّعوا هذه الأغلفة الحريرية بصفائح الذهب والفضة، وزيّنوا جوانب هذه الصفائح بالياقوت، وألوان الزجاج الرومي، والأحجار الكريمة.

ومثل هذه الأغلفة النفيسة والثمينة استخدمت في مصحف عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الذي وصل هدية إلى الخليفة عبدالمؤمن ابن علي الموحدي من أهل قرطبة.

ولتعظيمه اجتمع بمدينة مراكش التي كانت دار الخلافة، حذّاق كل صناعة، ومهرة كل طائفة من مجلدين، مزوّقين، ورسامين، وصوّاغين، ونقّاشين، ومرصّعين، ومهندسين، ونجارين وغيرهم.

وتمكنوا من تغليفه بأغشية من السندس الأخضر، ورصّعوا ذلك بصفائح الذهب والفضة، وزيّنوا جوانبها بأنواع اليواقيت، وأصناف الحجارة الكريمة، والزجاج الرومي، وصنَع له صندوقاً أتوماتيكياً وكرسياً يحمله عند الانتقال ..

وقد كتب ابن طفيل (٢) رسالة طويلة يصف فيها ما عمله الصناع بأمر الخليفة عبدالمؤمن بن علي في تغليفه وترصيعه وتحليته.



قام الكاتب بتجليد كتب وترصيعها بالأحجار شبه الكريمة

www.ahlaltareekh.com

ولقد ظل ارتباط تزيين المصاحف بالجواهر واليواقيت والذهب والأحجار الكريمة قائمًا طوال العصر الموحدي، ثم العصر المريني، ثم العصر العلوي. ففي العصر المريني كتب السلطان أبو الحسن بخط يده ثلاثة مصاحف ليوقفها على ثلاثة مساجد مقدسة، مسجد المدينة المنورة، ومسجد مكة ومسجد بيت المقدس فجمع لها القراء لضبطها، والخطاطين والوراقين لتنميقها، والمجلدين والمذهبين لتغشيتها وتذهيبها وترصيعها.

فصنع لها ظرفًا من الأبنوس والعاج والصندل الفائق الصنعة، وغشّاها بصفائح الذهب ورصّعها بالجوهر والياقوت، واتّخذ لها صوانًا من الجلد المحكم المرقوم بخطوط الذهب، ومن فوقها غلائف الحرير والديباج، وأغشية الكتان، وأخرجها في حلة فريدة من الفن المغربي البديع(٣). أما السلطان المولى عبدالله بن إسماعيل العلوي، فقد بادر بإصدار أمره بتجليد ثلاثة وعشرين مصحفًا بين كبير وصغير، ومن جملتها المصحف العقباني الكبير، فجلّدت كلها، ورصعت بالذهب والياقوت، ثم بعثها هدية للحرم النبوي (٤). أما في عهد السلطان محمد (الثالث) ابن عبدالله بن إسماعيل فقد بعث إلى الخاقان العثماني عبدالحميد الأول مصحفًا شريفًا محلّى بالذهب، ومرصعًا بالماس يساوي مئة ألف دينار(٥). ولسوء الحظ لم تصل إلينا مثل هذه



إبداع في صنع الأغلفة

المصاحف ذات الأغلفة الثمينة ما عدا المصاحف المكتوبة بماء الذهب أو الفضة.

أما أهم أدوات الترصيع بالحليّ فهي:

خشب الأرز، ومنشار، ومثقب، ومسمار، ومطرقة لتسمير الحليّ على كسوة الأغلفة الخشبية، والمقلع لقلع الحلي، ومملسة، ومضلف.

وكان العرب من أقدم الذين فطنوا إلى فكرة حماية المخطوطات من الأرضة، فقد كانوا يطبخون الأغرية مع نباتات طاردة للأرضة مثل الإفسنتين والعلقم والحنظل والصبر أو الصبار، وكل هذه النباتات أوراقها مرة الطعم.

المراجع

١. شرحه وحققه وقارنه ووضع صدره السعيد بنموسى.

٢. (نفح الطيب).

٣. التاريخ الدبلوماسي للمغرب، عبدالهادي التازي، ج٧، ص ٢١٠، ٢١٢،٢١١.

٤. الاستقصا، أحمد الناصري.

٥. تاريخ الوراقة المغربية، محمد المنوني، ص ١٤٨، نقلا عن مخطوطة «درة السلوك» للأمير عبد السلام بن السلطان محمد ٣: الخزانة الحسنية، ٢٣٧.

www.ahlaltareekh.com

فن المسرح وإشكالية اللغة

نجيب الجباري

طنجة - المغرب



إن إشكالية اللغة في المسرح إشكالية معقدة تضرب بأعماقها في أغوار فنية وفكرية وثقافية كثيرة. ويبقى السؤال المطروح على كل المهتمين بفن المسرح مفتوحًا في انتظار الإجابة: ماذا نريد أن نعطي للمشاهد/ المتلقي ؟ هل نعيد على مسامعه مجموعة من الحوارات الهابطة يظل يلوكها حتى تخلق لديه سلوكًا اجتماعيًا وفكريًا معينًا على المستوى ذاته؟ أو نريد أن نرسّخ لديه فكراً ساميًا وعاطفة راقية تولد لديه فكرة أو سلوكًا راقيًا كذلك؟

www.ahlaltareekh.com

أهمية المسرح في تعليم اللغة

يقول هنري كوك، وهو أحد أهم الباحثين في تعليم اللغة: «إن تعليم الطفل اللغة والتمكن منها لا يتأتيان من القراءة والاستماع التقليديين، بل من الحركة والفعل والتجربة»(١) انطلاقاً من هذه القولة يتبين مدى أهمية المسرح ومساهمته في تنمية مهارة الاستماع وإدراك معاني الألفاظ. فالحوار المسرحي هو أهم ألوان الكلام، وأفضل طريقة لاستخدام اللغة وممارستها، كما أنه أداة فعالة في تعليم اللغة العربية، وكل اللغات، وتدريب المتعلم على إتقان مهارات السماع والكلام والقراءة والتعبير. وفن المسرح كغيره من الفنون الأدبية الأخرى يقوم بدور كبير في نشر اللغة وتعميمها وتطويرها، وقد نيطت به هذه المسؤولية منذ القديم.

لكن استخدام اللغة على شكل حوار داخل المسرحية استخدام معقد غاية التعقيد، وجملة الحوار التي تنطقها شخصية ما في اتجاه شخصية أخرى قد تحمل خبراً لا يعرفه المتلقي، وهذا يعني أن لوسائل الإخراج ولفن التمثيل والإضاءة والديكور والموسيقى أيضاً تأثيرها في جملة الحوار؛ فقد تنطلق بها إلى آفاق رحبة، وقد تحدُّ من حريتها، وقد تخرج بها من حقل دلالي إلى حقل آخر. من هنا ثارت إشكالية اللغة في المسرح، وتعرّض لها الكتّاب والنقاد والباحثون والمهتمون بفن المسرح.

المسرح و اللغة

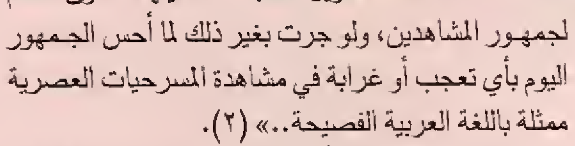
واجه المسرح العربي، وما زال يواجه، عدة أسئلة، منها ما يرتبط بعلاقة المسرح بالواقع أو ما يتعلق بطغيان الإيديولوجي على حساب الجمالي الفني، ومنها ما يمس الجوانب الأدبية في المسرح وأشكال تمفصلها مع المعطيات التقنية، ومنها ما يخص علاقة المسرح بالهوية والغرب/ الآخر .. إلى غير ذلك من الاسئلة الكثيرة، إلاّ أنه نادراً ما تم الاهتمام بوسائل التعبير عند كتّاب المسرح واللغات المختلفة التي يستعملونها، وخاصة جانب التعبير والتقنية الموظفة في المسرح.

هكذا أضحت قضية اللغة من القضايا التي ما زال المسرح العربي يعانيها ويشكل الاتّفاق حولها أمراً مستحيلاً، فما زال الخلاف حاداً والحوار ساخناً حول كيفية كتابة الحوار المسرحي؛ أيكتب بالعامية أم بالفصحى؟ أم بهما معاً؟

هناك من الكتّاب من يؤمن بأن العامية هي لغة المسرح؛ وذلك باسم الديمقراطية تارة أو باسم الواقعية تارة أخرى، وبخاصة أولئك الذين يكتبون مسرحيات كوميدية ودرامات عصرية اجتماعية، إذ يعتقدون أن العامية هي وحدها الصالحة لكتابة الحوار في مثل هذه المسرحيات، كما أنّ كتابتها بالعامية تلقى استجابة واسعة لدى الجمهور الذي يرى فيها حياته الفعلية وقضاياه الواقعية لكونها لغة حياته اليومية؛ ولأن المسرحية العصرية إذا كتبت باللغة الفصحى لن تلقى من الجمهور اليوم التجاوب والتعاطف اللذين تلقاهما لو كانت بالعامية، لكن سبب ذلك، كما يؤكد الدكتور عبدالعزيز المقالح، يرجع «إلى العادة التي اتبعتها الفرق المسرحية المحلية عندنا منذ وقت طويل، فطبعت عليها الذوق العام



توفيق الحكيم



لجمهور المشاهدين، ولو جرت بغير ذلك لما أحس الجمهور اليوم بأي تعجب أو غرابة في مشاهدة المسرحيات العصرية ممثلة باللغة العربية الفصيحة..» (٢).

بينما يرى فريق آخر أن كتابة المسرحيات باللغة العامية فيه ابتذال للأدب وحطّ من قيمته، وإخراج للحوار الدرامي من العمق إلى السطحية والتفاهة، بينما اللغة الفصحى هي وحدها القادرة على التعبير بعمق عن قضايانا العربية المعاصرة.

كما أن الفصحى هي لغة القرآن الكريم التي يجب الحفاظ عليها والارتقاء بها إلى مستوى نشر العلم والثقافة، وتذوقها بجميع الوسائل، بما في ذلك المسرح، ويحتج أصحاب هذا الرأي بكون الكتابة بالعامية تعطي المسرحية

www.ahlaltareekh.com

طابعاً محلياً، وتحصرها في حيّز صغير ونطاق إقليمي ضيق بحكم اختلاف اللهجات العامية بين قطر عربي وآخر، بل بين لهجة وأخرى في القطر نفسه، بينما تعدّ اللغة العربية هي اللغة القومية الوحيدة التي تقوم بدور التواصل والتفاهم بين جميع الشعوب العربية.

وهكذا تبقى الفصحى هي اللغة القادرة على تجاوز حدود المكان والزمان، والارتفاع بالقضية الاجتماعية إلى مستوى يسمو على الثرثرة حول أمور الحياة اليومية. لكننا نشير إلى أن هناك شخصيات يناسبها النطق بالفصحى من فئة المتعلمين والمثقفين، وأخرى تناسبها العامية، كالعمال والفلاحين ومن شاكلهم، أي أن اللغة يجب أن تخضع للمستوى الثقافي والاجتماعي للشخصية، ومن ثمّ للفكر أو المشاعر التي يمكن أن تعبر عنها الشخصية بكلامها، فعلَ هذا فرح أنطون في مسرحيته «مصر الجديدة ومصر القديمة» (٣). والفنان المغربي أحمد الطيب العلج في مسرحيته «بين نارين»، فقد قدمها بلغة مزدوجة، الشباب فيها ينطقون بالفصحى والشيوخ يلتزمون اللسان العامي.

ومن جانب آخر، يمكن أن تتوزع العامية والفصحى على الموضوعات المسرحية فللفصحى الترجمات والاقتباسات والمسرحيات التاريخية كما نجد في نص «الخادمات» مثلاً لجون جونيه الذي قدّمته فرقة مسرح الأنس المغربية، فنجد أن عملية النقل مرت من مرحلة الاقتباس إلى مغربة هذا النص وإدخاله في طقوسية اللهجة المغربية وبعض قضايا المغرب السياسية والاجتماعية بشعارات كانت ترمي بالحوار إلى أقصى درجات التمرد على النص الأصلي. ولكن الإضافات كانت أقوى من

استخدام اللغة في المسرحية لا يكون استخداماً اعتباطياً، ولا يخضع للعوامل الأدبية فحسب، ولكنه عكس ذلك يتأثر بالعوامل الفنية المحيطة به، عوامل الزمان والمكان والأحداث وطبائع الشخصيات



الطيب الصديقي

بلاغة اللغة ومجازيتها في كتابات جون جونيه (٤).

أما العامية فلها المسرحيات الاجتماعية أو «الملهوية» مثلما نجد في مسرحية «زنقة جحا رقم ١٣» التي قدمها المسرحي المغربي أحمد الطيب العلج بوصفها نموذجاً للكتابة الكوميدية القائمة على الحكايات الشعبية التي تقدّم السخرية والمفارقات بين المواقف في بنية لغوية عامية وراقية تجعل الموروث الشعبي سنداً لها، وتجعل الأمثال والحكم والنوادر ممسرحة بحوارات النص في النص.

وقد أسهم توفيق الحكيم في هذا الجدال الدائر بين العامية والفصحى با قتراحه فكرة اللغة الثالثة: إننا لا ندعو إلى أن يقمع المسرح بفصحى جاهزة أو عامية جاهزة أو بتوليفة مفبركة من عامية مفصحة أو فصحى مقربة «فقد تستدعي متطلبات بعض التجارب هذه اللغة أو تلك، أو الاثنتين معاً، ولكن لا يشكل ذلك قانوناً جاهزاً صالحاً لكل التجارب» (٥).

إن محاولات التقليل من شأن اللغة العربية الفصحى وصلاحيتها لعلوم العصر و آدابه وفنونه وإبعادها عن فن المسرح منطلقها هو الاستعمار والمستشرقون والمتغربون الذين أرادوا إحداث الشرخ الثقافي في جسم الأمة العربية وتحويل لغة القرآن والثقافة العربية إلى لغة ميتة وتراث عقيم.

إن المسرح أدب عماده الكلمة المجنحة، والفن والأدب جزء من المعطى الثقافي، ومجال من مجالات الإبداع النابع من الأمة والمتصل بهمومها وفكرها وقضاياها ومصيرها. أما العامية فلا قواعد لها ولا أصول ولا ثوابت ولا تراكيب سليمة.

إن من بين أهداف فن المسرح تربية ملكة السمع على الفصحى وإيصال المعنى من خلال كلام الشخصيات، ألمْ

www.ahlaltareekh.com



المسرح كتابة لاتتم بالأقلام، ولكن بالأجساد

يقل ابن خلدون قديماً « السمع أبو الملكات اللسانية»؟ وهل من رسالة أخرى للمسرح غير رسالة إصلاح وصقل لغة العرب؟

اللغات المسرحية غير الكلامية

لا يختلف اثنان في كون المسرح تركيبة أو توليفة من فنون مختلفة، فهو ليس فناً واحداً، ولكنه أبو الفنون، لذا بات من المعروف أن اللغة البشرية أو الكلام ما هو إلا عنصر واحد من بين عناصر كثيرة في التعبير المسرحي، فهناك الحركة والإيماء والإيقاع، وهذا ما يؤكده المسرحي المغربي عبدالكريم برشيد قائلاً: «المسرح كتابة لاتتم بالأقلام، ولكن بالأجساد، والأجساد الحية والمتحركة والمفعلة بالمحيط والفاعلة في المحيط، وقد خدعونا عندما قالوا : المسرح في أصله يوناني المولد والنشأة؛ لأن الحقيقة غير هذا، المسرح نشاط يومي، يكون دائماً وأبداً حيث يكون الأحياء» (٦).

إن المسرح هو مجال الكلمة المتحركة، وفي هذا المجال عناصر جسدية وحركية تتوحد مع العناصر الكلامية لكي تكملها أو تحل محلها. إن كتّاب مسرح العبث لا يعتمدون على اللغة الكلامية، ولا يثقون فيها أداة للتعبير؛ إنهم يفضلون عليها لغة الصراخ والصياح والإيماء والإثارة والحركة والضوضاء والأصوات البشرية والأفعال التي يتألف منها جميعاً فوق منصة المسرح التي يطلق عليها «أرتو» مذبحة عامة. وهذا ما نجح في تطبيقه المسرحي المغربي الطيب الصديقي الذي تولى كتابة أعماله المهمة وتمثيلها وإخراجها التي عرف بها مثل «ديوان عبدالرحمن

www.ahlaltareekh.com

المجذوب» و«مقامات بديع الزمان الهمذاني» اللذين استخدم فيهما حيلاً مسرحية بسيطة مثل الأقنعة والمهمات المسرحية الساذجة كقطع الخيش، كما أنه امتاز فيهما بفن الأضاءة المسرحية، وفن استخدام أجساد الممثلين استخداماً تشكيلياً أخاذاً كما يحدث في حالة المقامات ويعدّ الحلم لغة خاصة في المسرح الحديث، إذ يؤكد الكاتب الإنجليزي جوزيف أديسون في مطلع القرن ١٨ أن الحلم هو عرض مسرحي. ومن المعروف أن يونسكو من أكثر الكتاب استغلالاً للأحلام والكوابيس في مسرحياته. ويصل جان جونيه بعالم الأحلام حتى تصبح اللغة نوعاً من السحر أو الرقية أو التعزيم بدلاً من أن تكون وسيلة اتصال.



فرح أنطون

ويتحدث مسرحيون آخرون عن الصمت كلغة من لغات المسرح الحديث، ويعنون به الصمت الحقيقي الذي يختلف عن الوقفات أو الاستراحات التي تشل في بعض الأحيان حركة الشخصيات، أما الصمت المقصود في العمل المسرحي فهو ذلك الصمت الذي يرمز إلى دلالات كبيرة والذي يعبر عن انفعال المتحدث، ويستجيب لمتطلبات روحه.

وشبيه بلغة الصمت فن الميم أو التمثيل الإيمائي الذي استخدمه المسرحي عبدالكريم برشيد في مسرحيته «الناس والحجارة».

وهكذا يتبين لنا أن كل شيء في المسرح لغة كما قال «يونسكو»: الإيقاع لغة، والمناجاة لغة، والتنغيم لغة، والصور البيانية لغة، والديكور لغة، والملابس والإضاءة لغة .. ومن خلال استغلال كل هذه العناصر المصاحبة للغة البشرية يتم التواصل والتفاعل بين الممثل والجمهور. هذا الأخير يجد نفسه أمام عمل فني مركب ومعقد من الصعب أن يحل رموزه ويفك طلاسمه بسهولة.

إن استخدام اللغة في المسرحية لا يكون استخداماً اعتباطياً، ولا يخضع للعوامل الأدبية فحسب، ولكنه عكس ذلك يتأثر بالعوامل الفنية المحيطة به، عوامل الزمان والمكان والأحداث وطبائع الشخصيات وغير ذلك.

وخير ما نختم به مقالنا هذا قول الدكتور يعقوب شدراوي المخرج المسرحي اللبناني: «إن لغة المسرح تختلف عن جميع لغات الفنون الجميلة لا صورة، ولا تمثال، ولا لوحة زيتية، ولا حتى شريط سينمائي أو تلفزيوني، ولا معزوفة موسيقية، ولا أي شيء من هذا القبيل؛ لأن الممثل يلد شخصيته الفنية أمام عينيك على خشبة»(٧).

الهوامش والمراجع

١ـ نقلا عن مسرح الطفل والتربية، سعاد حسن، جريدة الاتحاد الاشتراكي المغربية، ١٩٨٩م، ص٢.

٢ـ البدايات الأولى للمسرح المعاصر في اليمن، عبدالعزيز المقالح، مجلة عالم الفكر، المجلد ٨٧، العدد ٤، الكويت ١٩٨٧م.وانظر الأدب وفنونه لمحمد مندور: دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، دون تاريخ.

٣ـ راجع عرضاً لها في مسرح الدم والدموع، علي الراعي، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣م، ص٧٧ـ ٩٤. انظر المسرح في الوطن العربي، علي الراعي: مجلة عالم المعرفة، العدد ٢٤٨، ط٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، أغسطس ١٩٤٨م.

٤ـ انظر العلم الثقافي، د. عبدالرحمن بن زيدان، المغرب، سبتمبر ٢٠٠٠م.

٥ـ ندوة التسويق والترويج المسرحي، مجلة الموقف العربي، العدد ٣٩٩، ديسمبر ١٩٨٩م.

٦ـ مجلة البيان: الكويت، العدد ٢١٧، أبريل ١٩٨٤م، ص ١٤٦.

٧ـ على مسرحنا أن يتغير، د. يعقوب شدراوي، مجلة الرافد، العدد ٥٢، س ٢٠٠١م، ص ١١٢. ١١٦ وأنظر:

- اللغة في المسرح النثري، عصام بهي، مجلة فصول، المجلد ٥، ع٢، ١٩٨٤م.
- هموم اللغة في المسرح الجزائري، أحمد دوغان، مجلة الكويت، العدد ٨٥، ١٩٨٩م.
- مجلة الفيصل العدد ٣٠٢، أكتوبر/نوفمبر ٢٠٠١م.
- جريدة الفنون ، مارس/آذار ٢٠٠٢م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- مجلة الوحدة: العدد ٩٤. ٩٥، أغسطس/آب١٩٩٢م، المجلس القومي للثقافة العربية.

ـ مصادر الصور: الإنترنت.

www.ahlaltareekh.com

الإنفاق التعليمي ومصادر تمويله

عبدالله بن محمد بن صالح المالكي

الرياض ـ السعودية

التكلفة Cost(١): هي المصطلح المتعارف عليه لدى الاقتصاديين لما ينفق على التعليم من أموال. وتتضمن التكلفة التعليمية ما يأتي:

١ـ المصروفات أو النفقات الرأسمالية، مثل: نفقات المباني المدرسية والتجهيزات الطويلة الأجل ونحو ذلك.

٢ـ المصروفات أو النفقات الجارية «الدورية»، مثل: نفقات الرواتب والأجور للمعلمين والموظفين والعمال ونحوها.

٣ـ التكاليف غير المباشرة «تكاليف الفرصة Opportunity Costs»: وتعني المكاسب التي كان من الممكن أن يحصل عليها الأفراد لو أنهم انضموا إلى سوق العمل ولم يستمروا في التعليم، وتضاف هذه التكاليف، في حالة حساب التكاليف الإجمالية للتعليم أو العوائد الاقتصادية للتعليم أو لغرض الدراسات والأبحاث، إلى التكاليف المباشرة.

وقد عرف هينجيت Hungate تكلفة التعليم بأنها «مقياس لمقدار الإنفاق النقدي الذي يتم في سبيل تحقيق منفعة محددة». وعرفها حجازي بأنها «المبالغ النقدية التي يتحمّلها المشروع التربوي في سبيل الحصول على عوامل الإنتاج الضرورية لتحقيق الأهداف التي قام المشروع من أجلها»(٢).

ويعدّ العالم الألماني فريدريك إدينج F. Edding ـ رائد المدرسة الألمانية لاقتصاديات التعليم ـ من أشهر الباحثين والمهتمين بدراسة النفقات التعليمية وتطورها في عدد من الدول ولفترات زمنية مختلفة، وينطلق إيدنج Edding في دراساته من الحقيقة القائلة: «إن التعليم يمثل المفتاح الذهبي لرفاهية المجتمع المعنوية والمادية، وإن الجهود التي تبذل من أجلها لا تزال مقصرة عن المدى المطلوب، فنفقات التعليم إذا قيست إلى جملة الدخل تكاد تكون ثابتة لا تتطور تطوراً يذكر، في حين أن من الواجب أن تزداد هذه النفقات إذا نحن أردنا أن نجاري تسارع التقدم الاقتصادي المنشود».

والإنفاق العام على التعليم هو الأموال التي تدرج في الموازنات العامة للحكومات، ويطلق عليها عادة مخصصات الدولة للتعليم أو الإنفاق الحكومي على التعليم ولا تدخل الأموال التي تنفق من قبل الأفراد أو القطاع الخاص ضمن تلك الأموال. ومن المعروف أن

www.ahlaltareekh.com

الحكومة هي التي تتحمل الجانب الأكبر من الإنفاق على التعليم في الدول النامية؛ وذلك بخلاف الدول المتقدمة التي يتولى القطاع الخاص والأفراد ذلك الجانب بشكل أكبر، ويكون دور الحكومة في هذه الدول الإشراف وتمويل التعليم الأساسي في الغالب.

وفي المملكة العربية السعودية فإن الدولة هي التي تتولى تمويل الإنفاق على التعليم العام والعالي والفني على السواء وتقدمه بالمجان، بل تقدم المكافآت والإعانات للطلبة والطالبات في التعليم العالي والفني، إضافة إلى تكفلها بنقل الطالبات في جميع المراحل في المدن والقرى كما أنها تقوم بدعم التعليم الأهلي والإشراف عليه.

ويعدّ تمويل التعليم من أبرز القضايا المعاصرة التي تواجهها الدول والأنظمة التعليمية على المستوى العالمي، بل إنه من أكثر موضوعات اقتصاديات التعليم جدلاً؛ وذلك لا ختلاف وجهات النظر حول من يتولى الإنفاق على التعليم الفرد أم الدولة أم القطاع الخاص أم كلاهما؟

يعدّ تمويل التعليم من أبرز القضايا المعاصرة التي تواجهها الدول والأنظمة التعليمية على المستوى العالمي، بل إنه من أكثر موضوعات اقتصاديات التعليم جدلاً؛ وذلك لا ختلاف وجهات النظر حول من يتولى الإنفاق على التعليم الفرد أم الدولة أم القطاع الخاص أم كلاهما؟

مصادر «بدائل» تمويل التعليم

هناك عدد من المصادر لتمويل التعليم Alternative Financing Education تختلف من مجتمع إلى آخر، وذلك حسب الأنظمة السياسية والاقتصادية، ولكنها بشكل عام لا تخرج عن المصادر الآتية: الدولة «الحكومة» من خلال الضرائب المباشرة وغير المباشرة أو أي مصادر أخرى للدخل «كالنفظ في دول الخليج العربي»، ويظهر ذلك من خلال ما تخصصه الدول للتعليم من موازناتها السنوية، وما يدفعه الأفراد من رسوم نظير حصولهم على خدمة التعليم، والأرباح التي تحصل عليها المؤسسات التعليمية مقابل ما تقوم به من أنشطة إنتاجية بجانب الأنشطة التربوية والتعليمية، والمصادر الأخرى مثل التبرعات النقدية أو العينية، والمساعدات الدولية سواء عن طريق اتفاقيات ثنائية أو متعددة أو من خلال المؤسسات الخيرية الكبيرة أو عن طريق المنظمات الدولية.

إن السبب الحقيقي وراء تزايد الإنفاق التعليمي هو زيادة الطلب الاجتماعي (الإجمالي) والاقتصادي على التعليم الذي يقود إلى التوسع في التعليم من ناحية، وتحديث التعليم وتحسينه من ناحية أخرى. ويرى بعض الاقتصاديين أن من أهم عوامل زيادة هذا الطلب، زيادة عدد السكان «النمو السكاني المتسارع» وما يترتب على ذلك من ازدياد في أعداد طالبي الخدمة التعليمية وكذلك المعلمين، وانخفاض القوة الشرائية للنقود، وكمية الخدمات التعليمية ونوعيتها، والتطور التقني والعلمي وزيادة الاهتمام بالتعليم العالي وغيرها. ولمواجهة تلك الزيادات فإنه من الضروري البحث عن مصادر تمويلية جديدة باستمرار لتخفيف العبء عن كاهل الدولة من جانب، وللاستفاد من الموارد المتاحة قدر الإمكان من جانب آخر، ولتطوير التعليم من جانب ثالث. ومن أهم المصادر التي نادى بها بعض الباحثين والمفكرين ما يأتي:(٣)

- السلف التعليمية أو الطلابية:

لزيادة الطلب الاجتماعي على التعليم الجامعي والعالي في السنوات الأخيرة، والتزايد المستمر في أعداد الطلاب الملتحقين به، وما ينتج عن ذلك من زيادة في الأعباء المالية لتمويله بشكل لم تعد تتحمله الموازنات الحكومية للدول المختلفة، لذلك بدأ التفكير في مصادر أخرى «بديلة» للتمويل، ومن هذه المصادر ما يسمى نظام السلف «القروض» Loans. وقد نادى بهذا المصدر أو النظام بعض الاقتصاديين البريطانيين، مثل: بريست Prest ١٩٦٦م، وبيكوك Peacock، ووايزمان ,Wiseman ١٩٦٤م، ومارك بلوج ١٩٧٠م

www.ahlaltareekh.com


التعليم يمثل المفتاح الذهبي لرفاهية المجتمع المعنوية والمادية

،M. Blaug، وميشان Mishan, ١٩٦٩م.

ويرى أتكنسون أن المؤسسات المالية تعارض علمياً تنفيذ هذا النظام؛ وذلك لأن الطلاب يفتقدون الضمانات لأن الاستثمار التعليمي يكمن في الإنسان «الطالب»، ولا يمكن أن يقدم أي ضمان، كما هو الحال في المشروعات الأخرى. وبذلك فإنه لا بد من توفير بعض الضمانات عن طريق الحكومة بما يتيح للمؤسسات المالية تقديم قروض للطلاب دون تردد أو مخاوف. وقد وجه لهذا المصدر التمويلي أو النظام بعض الانتقادات، وأشار الحمدان إلى أنه قد قامت عدة تجارب في كثير من دول العالم أثبتت جميعها أن نظام تسليف الطلبة أو إقراضهم بشروط ميسرة من أجل تمويل تعليمهم قد حقق الكفاءة والعدالة بشكل كبير. وقد قامت دراسات كثيرة لتعرف أثر القروض في التعليم وكفايته في بعض دول العالم وفي إمكانية تسديدها، ونتج من تلك الدراسات أن القرض يستعاد بنسبة ٨٧.٥٪ خلال عشر سنوات من التخرج بمعدل ١٥٪ من القرض (ومع تمديد الفترة أكثر يستعاد القرض كاملاً). وقد بلغت نسبة عدم الوفاء بالسداد في أمريكا اللاتينية ١١٪ فقط(٤).

ـ ضريبة الخريجين «أو الضريبة التشجيعية»:

أي فرض ضريبة على الهيئات التجارية والاقتصادية العاملة في الدولة ليخصص ريعها للإنفاق على التعليم الجامعي والعالي. وقد طبق هذا النظام في عدد من الدول النامية منذ الستينيات، مثل: كولومبيا ١٩٥٠م، في أمريكا اللاتينية، والهند، والباكستان في آسيا، وكينيا، ونيجيريا في إفريقية، كما طبق أيضاً في بعض الدول المتقدمة، مثل الدول الأوربية

www.ahlaltareekh.com

والإسكندنافية وبريطانيا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية. ويفضل هذا المصدر على نظام السلف التعليمية Student Loans الذي لاقى نقداً شديداً، وقد نادى به بعض الاقتصاديين البريطانيين في السبعينيات مثل بريست ١٩٦٦م، وبيكوك وبلوج ١٩٧٠م.

ـ الكوبانت التعليمية «سندات التعليم» Education-al Vouchers

تعود فكرة هذه الكوبونات في الأصل إلى توم بين Tom Paine في مؤلفه « حقوق الإنسان» وطورت الفكرة حديثًا عن طريق الاقتصادي الأمريكي ميلتون فريدمان Milton Friedman، كما طورها كل من وايزمان Wiseman ١٩٥٩م، وويست West ١٩٦٥م في بريطانيا.

وهي منح مالية خاصة في صورة كوبونات أو سندات تدفعها الحكومة لأولياء الأمور «الآباء» بهدف مساعدتهم على تعليم أبنائهم في المدرسة التي يرغبونها. وهذه الكوبونات تعادل تكاليف التعليم في المدارس الحكومية، ويتم الاستفاد من هذه الكوبونات من قبل أولياء الأمور «الآباء» لدفع مصاريف أبنائهم في المدرسة التي يرغبونها سواء أكانت حكومية أم خاصة، ويعاب على هذا المصدر «النظام» أنه يعمل على زيادة الفوارق الطبيعية وعدم تكافؤ الفرص التعليمية، ومن مزاياه أنه يوفر حرية الاختيار لأولياء الأمور. وفي ظل هذا النظام فإن توفير التعليم يكون مسؤولية المدارس الخاصة. أما الدولة فإن دورها يكون مقصور على تمويل التعليم لضمان حد أدنى من خلال التفتيش الدوري (الإشراف) وفرض الانتظام في الدراسة إلى سن معينة.

التخصيص « أو الخصخصة»

التخصيص Specialization هو تحويل الأنشطة الاقتصادية المملوكة للقطاع العام «الدولة» إلى القطاع الخاص.

وفي هذا الشأن يشير الحميد ١٩٩٧م، إلى أنه على الرغم من الطبيعة الخاصة للتعليم إلا أن بعض الاقتصاديين يرى أن حل المشكلات المالية التي تواجه القطاع التعليمي في عدد من دول العالم يكون في تخصيص التعليم. فهناك من يرى أن السيطرة الكاملة للدولة على التعليم تعد بمنزلة تأميم لقطاع اقتصادي مهم، ومن ثم لا بد من إزالة هذا التأميم. وفي المقابل يرى آخرون أن عملية التخصيص يجب ألاّ تلغى دور الدولة بالكامل. ويعد الاقتصادي الأمريكي الشهير ميلتون فريدمان Milton Friedman من أبرز المتحمسين لدخول القطاع الخاص إلى معظم الأنشطة التي تمارسها الدولة، ومنها القطاع التعليمي حتى مع اعترافه بضرورة الإبقاء على دور ما للدولة، ينحصر في دعم مؤسسات القطاع التعليمي، وليس في إدارتها؛ وذلك لإيمانه واقتناعه بقدرة القطاع الخاص على إدارة تلك الأنشطة. ويلخص فريدمان الفوائد التي يعتقد أنها سوف تتحقق من تطبيق هذه الفكرة فيما يأتي:

السبب الحقيقي وراء تزايد الإنفاق التعليمي هو زيادة الطلب الاجتماعي (الإجمالي) والاقتصادي على التعليم الذي يقود إلى التوسع في التعليم من ناحية، وتحديث التعليم وتحسينه من ناحية أخرى

ـ عندما تدار المؤسسات وفقًا لأسلوب إدارة القطاع الخاص، فإن هذه المؤسسات سوف تكون أكثر كفاءة، وهذا يعني أن تخلّي الدولة عن إدارة المؤسسات التعليمية للقطاع الخاص سوف ينهي جميع المشكلات التي يعانيها النظام التعليمي.

ـ أن رواتب المعلمين سوف تكون أكثر انسجاماً مع المنطق الاقتصادي «منطق السوق» القائم على العرض والطلب.

ـ أن التخصيص سيتيح لولي الأمر «الأب» أو المستفيد من الخدمة التعليمية لكونه عميلاً بالمعنى الاقتصادي مجالاً أوسع لحرية الاختيار، علمًا أن فريدمان قد عدل اقتراحه فيما بعد، وقال: إنه بالإمكان المحافظة على المدارس الحكومية وعلى المدارس الخاصة بشرط أن يحصل دافع الضرائب الذي يريد

www.ahlaltareekh.com

إرسال ابنه إلى مدرسة خاصة على مبلغ من الحكومة يعادل التكلفة الدراسية للطالب في المدارس الحكومية «وهذا ما أشرنا إليه في الصفحات السابقة». وقد وجهت انتقادات عدة لاقتراحات فريدمان، وهذه الانتقادات تنطلق من الخصائص التي يتصف بها التعليم، والتي تميزه من الأنشطة التي تهدف إلى تحقيق الأرباح. ويضيف «الحميد»: إلاّ أنه في الواقع من الصعب تطبيق هذه الفكرة التي نادى بها فريدمان، فبالإضافة إلى الاعتبارات الفلسفية التي أبداها البعض والتي تعوق تبني هذه الفكرة، فإن هناك صعوبات عملية تجعل سلبيات هذه الفكرة تفوق إيجابياتها وخاصة في بعض المناطق التي قد لا يكون من السهل إقامة مشروعات تعليمية أهلية فيها مثل القرى والهجر وما شابهها. ويرى الحميد أنه إذا كان من الصعب أو المستحيل تطبيق الفكرة بحذافيرها فإنه بالإمكان تحويرها بحيث تتلاءم مع طبيعة الأنشطة التعليمية في دولة ما حيث إنه يرى أن التخصيص كفكرة يبدو واعداً جداً، لكن أسلوبه ونطاقه والفترة الزمنية وغير ذلك من الاعتبارات بحاجة إلى دراسة وتروٍ وتمحيص قبل الشروع في تطبيقها(٥).

نفقات التعليم إذا قيست إلى جملة الدخل تكاد تكون ثابتة لا تتطور تطوراً يذكر، في حين أن من الواجب أن تزداد هذه النفقات إذا نحن أردنا أن نجاري تسارع التقدم الاقتصادي المنشود

مصادر «أو بدائل» أخرى مقترحة لتمويل التعليم

بسبب ازدياد أعداد الملتحقين بالتعليم «الحكومي»، وفي ظل التغيرات الحديثة التي طرأت على النظام التعليمي وعلى النظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي بشكل عام فإنني أرى أنه من الممكن لقطاع التعليم في المملكة العربية السعودية الاستفادة من مصدر أو أكثر من المصادر المقترحة Other Alternative الآتية:

- بالنسبة إلى التعليم الأساسي، يتم فرض رسوم رمزية « تكون في متناول الجميع» مقابل أي من القيد «التسجيل» أو الكتب الدراسية، والرسوب «أو الإعادة» وخاصة الطلاب غير السعوديين على أن يستثنى من ذلك الطلاب المتفوقين والطلاب غير القادرين على دفع تلك الرسوم، ويمكن أن تحمل هذه الرسوم إلى الجهات التي تستفيد من هذه العمالة «غير السعودية».
- فرض رسوم رمزية على المخالفات السلوكية التي تلحق أضراراً أو تلفيات في الممتلكات العامة.
- فرض سن إلزامي للتعليم في المملكة بشكل عام بحيث يضمن بقاء الطالب في التعليم العام إلى سن الخامسة عشرة على الأقل. وفي التعليم الفني والمهني أو ما يعادلها إلى سن ١٨سنة، مع العمل على رفع كفاءة النظام التعليمي الداخلية.
- الحد من توجه الدارسين في المرحلة الثانوية إلى القسم الأدبي والعمل على إلغائه بالتدريج من عموم المدارس وقصره على مدارس معينة في كل منطقة تعليمية أو مركز إشراف تربوي ووضع اختيارات قبول ومفاضلة له؛ ذلك للإقبال الكبير على هذا التخصص من قبل الطلاب، وما نتج من ذلك من فائض في هذا التخصص في المرحلتين الثانوية والجامعية، وفي المقابل انخفاض الطلب بشكل كبير عليه في سوق العمل، مما يؤدي إلى تكدس أعداد الخريجين والخريجات، كما أن هناك مدارس متخصصة مثل تحفيظ القرآن وما في حكمها والمعاهد المتخصصة مثل المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهذه قد تفي بالاحتياج من هذه التخصصات. وفي المقابل التوسع في الأقسام التقنية والتطبيقية والمهنية والعلمية والإدارية للبنين والبنات.
- التوسع في التعليم الفني والتقني والتدريب المهني مقابل الحد من التعليم الثانوي العام بما يتناسب مع المعدلات العالمية في هذا الشأن، وزيادة الحوافز لهذا النوع من التعليم «المادية والمعنوية» بما يفوق تلك التي تقدم حالياً في التعليم الجامعي و مايعادله؛ ذلك لأن سوق العمل ما زال بحاجة ماسة إليه (٦). وتجدر

www.ahlaltareekh.com

الإشارة إلى أن نسبة القيد في التعليم الثانوي كنسبة مئوية من مجموع القيد في المدارس الثانوية في المملكة تبلغ ٢.٨٪ فقط خلال الفترة من ١٩٨٨ـ ١٩٩١م. وهي نسبة منخفضة جداً مقارنة بالمعايير العالمية أو المؤشرات الدولية التي أوصت بها منظمة اليونسكو Unesco، وهي في حدود ٣٠٪ من نسبة القيد في المدارس الثانوية، وهذا هو المعدل الموجود بالفعل في الدول المتقدمة، مثل: اليابان وألمانيا.

- قصر المكافآت بالنسبة إلى التعليم العالي «الجامعي» وما يعادله على التخصصات العلمية والتطبيقية والتقنية، وبالذات تلك التخصصات النادرة التي التي يحتاج إليها سوق العمل .

- فرض رسوم قيد رمزية على الملتحقين بالكليات والأقسام النظرية في التعليم العالي (الجامعي) التي لا يحتاج إليها سوق العمل للحد من الالتحاق بهذه البرامج حتى لا ينتج من ذلك بطالة وارتفاع في معدلاتها.

- التوسع في التعليم الخاص «العام والعالي» بشرط أن يكون في متناول الجميع قدر الإمكان وتحت إشراف الدولة ورقابتها.

- التوسع في افتتاح المزيد من مراكز خدمة المجتمع للتخصصات الفنية والمهنية «ذات المؤهلات المتوسطة» لسد احتياج المجتمع من هذه التخصصات، ولتوفير فرص عمل جديدة، ولاستقبال الطلاب غير الراغبين في الاستمرار في التعليم الجامعي.

- التوسع في التخصصات العلمية والتقنية التي تلائم طبيعة المرأة من ناحية، وحاجة المجتمع من ناحية أخرى، مثل: الحاسب الآلي وتقنياته، والطب والتمريض، ورياض الأطفال واللغات والعلوم الإدارية والمالية والفنية والمهنية، مثل: الخياطة والتغذية وغيرها.

- التوسع في المعاهد المتخصصة والفنية وكليات المجتمع وفروع الجامعات في المحافظات والمدن الصغيرة والقرى (الأرياف)، ومحاولة ربط التخصصات بالبيئة واحتياجات المحافظة أو المدينة أو القرية التي تنشأ فيها قدر الإمكان.

- إطلاق أسماء من يتبرع أو من يقوم بدعم التعليم دعماً كبيراً أو من يقوم بتمويل إنشاء المشروعات أو المؤسسات التعليمية على المشروعات أو المؤسسات التعليمية وما شابهها.

- الاستفادة من أغلفة الكتب «الخلفية» وفواصل الفصول أو أجزاء الكتب وتخصيصها للإعلان التربوي الهادف.

- إصدار كتب ووسائط تعليمية مساعدة لتعليم الطلاب في التخصصات العلمية واللغة الإنجليزية (تطبيقات وتمارين ومسائل مشابهة لما هو مقرر) وبرامج حاسوبية، وبرامج لغات وخلافه بأسعار منافسة.

وأخيراً يجب ملاحظة أن بعض المصادر «أو البدائل» قد يتعذر تحقيقها في الوقت الحاضر لعدة أمور اجتماعية واقتصادية إلاّ أن ذلك سيكون محتملاً في المستقبل القريب.

المراجع والهوامش

١. يستخدم بعضهم مصطلح النفقة Expenditure.

٢. اتجاهات وأساليب حديثة في اقتصاديات التعليم، غانم سعيد العبيدي، الرياض ١٩٨٢م.

٣. تخطيط التعليم واقتصادياته، محمد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة،١٩٩٨م.

٤. للمزيد انظر: اقتصاديات التربية، ج .ب .أتكنسون، ترجمة عبدالرحمن صائغ، ١٩٩٣م، ص ص ١٨١ ـ ١٨٣، و كفاية التعليم الاقتصادي والتجاري: دراسة مقارنة بين خريجي كلية الاقتصاد والمعهد المتوسط التجاري بدمشق، من حيث التكلفة والعائد، سهيل الحمدان. ١٩٩٨م، ص ١١٤. وتمويل التعليم وتقنيات برمجة الموازنة ورشة عمل شبه إقليمية، حبيب حجار وآخرون، دمشق، ١٩٩٥م، ص ص ١٠٠ ـ ١٠٢.

٥. للمزيد انظر: اقتصاديات التعليم، استثمار في أمة، ورقة عمل منشورة مقدمة لـ اللقاء السنوي الخامس لمديري التعليم بالمملكة، عبدالواحد الحميد، القصيم،١٩٩٧م، ص ص ٥١ ـ٥٢.

٦. لا يزال سوق العمل في المملكة بحاجة إلى نحو ٤.٦ ملايين وظيفة مهنية وفنية يشغلها الآن عمالة وافدة، وللمزيد انظر: نحو إستراتيجية جديدة لإعادة الهيكلة النوعية للعمالة الوافدة وإحلالها تدريجياً بالعمالة الوطنية، إبراهيم فهد الغفيلي، ورقة عمل مقدمة إلى اللقاء السنوي الثالث عشر لجمعية الاقتصاد السعودية، الرياض ، ٢٠٠٠م.

المصادر الإضافية الآخرى:

أنظر على سبيل المثال لا الحصر:

١. قياس العائد الاقتصادي من الإنفاق على التعليم وبالتطبيق على القطر السوري، غادة اليان، دمشق، ١٩٨٢م.

٢. الاعتبارات الاقتصادية في التعليم، جمال مزعل، جامعة الموصل، ١٩٨٥م.

www.ahlaltareekh.com

أدب

التناص وشعر حسين عرب

نذير العظمة
دمشق - سورية

تعددت منهجيات دراسة النص الشعري، ومن أقدمها المنهج التاريخي الذي يربطه بسيرة المبدع وعصره، ومن خلال التراكم الثقافي والأدبي تولدت منهجيات أخرى اختزلها تين باللحظة والبيئة والعرف، وهي تربط الإبداع بالتاريخ والجغرافية والمجتمع وأنظمة السلالات العرقية. إلا أن المذاهب النقدية الحديثة التي تفرعت من البنيوية أو شاركتها، كالتشريحية والسيميائية والتقويضية تميزت بميلها الشديد إلى عزل النص عن كل ذلك، ورأت سلطته كافية لاستقلاليته عما سبقه أو أسهم في وجوده وتكوينه.

إن عقيدة التناص التي بشرت بها جوليا كرستيفا أعادت إلى النص تماسه مع النصوص الأخرى المتزامنة معه والسابقة له، وأصبح النص مع استقلاله وتميزه مجموعة نصوص أخرى من خلال إبداع المبدع. وحركة نقدنا الحديث لم تعش في عزلة عما يجري علي الساحة النقدية في الغرب بل غامرت باستخدام مصطلحاتها ووجهات نظرها دون التقيد بفلسفاتها الفكرية.

يستخدم د. عبدالله الغذامي في تقديمه لديوان حسين عرب مصطلح الاقتباس ليدل على التناص، قبل أن يتخذ من البنيوية التشريحية منهجاً والتناص من مصطلحاتها المهيمنة.


حسين عرب

والاقتباس كما نعلم من مصطلحات البلاغة والنقد في موروثنا العربي. ويعني تضمين شيء من النص القرآني في النص الشعري وغيره. لكن الغذامي يسحب الاقتباس على أقياس من الذكر الحكيم والحديث الشريف والشعر العربي قديمه وحديثه في شعر حسين عرب.

ويجري في تحليله لهذا الاقتباس مجرى السرقات، فيبين تحولات المعنى والصورة، وإضافات عرب على الأصل الذي اقتبس منه. ومرجعية ذلك في رأي الغذامي أن حسين عرب يستوعب التراث قديمه وحديثه فلا عجب إذا طفح في نصه الشعري.

ويضرب أمثلة بارزة على هذه الاقتباسات من

www.ahlaltareekh.com

القرآن والسنة والمتنبي وأبي العلاء المعري وابن الرومي وغيرهم من القدماء ومن المحدثين يتمثل بإبراهيم ناجي، والأخطل الصغير، وعمر أبي ريشة بقصائدهم المشهورة والمغناه أو بعض الأبيات السائرة، ويمكن لمن أراد أن يستزيد منها أن يعود إلى مقدمة الغذامي لديوان حسين عرب (ص٢٩ـ٣٥).

ونقدنا اليوم قد تحول من الكلام عن السرقات أو الاقتباسات إلى مصطلح التناص.

التناص منهجًا

كيف يمكن أن نتخذ من التناص منهجًا لدراسة قصيدة ما لحسين عرب بخاصة وشعره كله بعامة؟! وهل التناص يأخذ بيدنا إلى فهم أفضل للدخول إلى عالم عرب الشعري أم أنه سيكون من باب الموضة النقدية الدارجة في ساحتنا الثقافية.

ليس من الحكمة في شيء ولا الواقعية أن ننظر إلى إنتاج حسين عرب من منظور نقدنا أو موروثنا النقدي الكلاسيكي فحسب؛ لأن تغير العصر يقتضي تغير المنهج والتراكم المعرفي العلمي والثقافي يضع في أيدينا سلاحًا فكريًا أكثر مضاء لإدراك العوالم الشعرية المتعددة لشعرائنا المحدثين بمساحة الساحة العربية. كما أن التراكم الشعري والفني يجعل إبداع الشاعر الحديث أكثر صعوبة؛ لأنه سيواجه ذاكرة شعرية مفعمة بتراث الأجيال التي سبقت ، فإما أن يكرر ما قالوه، أو يحاذيه أو يتجاوزه.

وليس من الواقعي والمنطقي ألاّ ندرس الاتجاهات الكلاسيكية في شعرنا بحجة أنها تكرر مقولات الإبداع الموروثة ولا تأتي بجديد، وإن موقفًا كهذا يتسم بعدم المبالاة إلى حد الاستهتار وعدم المسؤولية ويأخذ بيد النقد إلى مواقف مذهبية تضر بالحركة الفكرية والشعرية والثقافية عمومًا. وتوصد الباب بين الحركة النقدية والمعارف الضرورية لها.

إن المنهجيات النقدية الحديثة تساعدنا على الخروج من هذه الورطة، ورطة التنكر للقديم شعرًا ونقدًا، وورطة التغاضي عن السلفي الجديد؛ لأنه يسير على نهج القديم في الإبداع والنقد.

ونحن لا نريد أن نتخذ موقفًا توفيقيًا مساومًا بين القديم والحديث فنصنع (نفبرك) من هذا وذاك أو نلفق طرحًا مهجنًا. لا هو بأصالة الموروث نقدًا أو إبداعًا بالواقع والعصر ومنهجياته المتوازنة.

حين ندرس إبداعًا ما في المناهج الحديثة لا بد لنا من أن نضع يدنا على مصادره، ونحن إذا درسنا مصادر شاعر أو أديب فلتمكننا هذه الدراسة من الدخول إلى عالم هذا الأديب وهذا الشاعر دخول الواثق والعارف.

تفاعل النصوص أو تناصها ليس تفاعلاً راكدًا محدودًا، بل تفاعل دينامي في المسارين التعاقبي والتزامني عموديًا وأفقيًا في الأدب القومي الواحد، ومجموع الأدب الإنساني (العالمي) كله

كان القدماء ينهجون منهج السيرة فيعددون شيوخ الأدباء؛ لأنهم كانوا يدركون أهمية هؤلاء الشيوخ في بناء شخصية هؤلاء الأدباء وثقافتهم.

أما في الشعر فتضم إلى المشيخة عنصر الرواة والرواية؛ لأنها أيضًا بمنزلة دراسة المصادر في المناهج الحديثة، فالأهمية واحدة، والمصطلح متعدد، المناهج القديمة تسرد علينا في سيرة هذا الأديب أو ذاك الشيوخ الذين جلس إليهم، أو الشعراء الذين روى لهم أو عنهم هذا الأديب أو ذلك الشاعر.

وهذا كله يندرج حديثًا في تسميته المنهجيات المعاصرة بدراسة المصادر.

فإذا اختلفت المصادر اختلف تركيب الشخصية الشعرية أو الأدبية وإذا ضاقت أو اتسعت رأينا ضيق هذه الشخصية واتساعها، وإذا أخذنا ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ نتاج كل من أبي العلاء المعري وجبران خليل جبران لوجدنا كيف تتسع شخصية المبدع باتساع مصادره وتنوعها.

وموروثاتنا الثقافية القديمة لم تترك اتصال

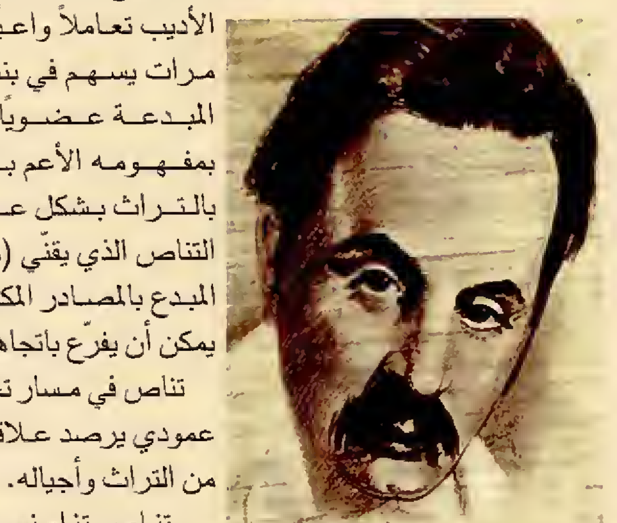
www.ahlaltareekh.com

الطريف بالتالد للمصادفة، بل ترك لنا القدماء مؤلفات ترصد هذه الصلة في كتب الطبقات أو المعجمات الشاكلة - كمعجم الأدباء ياقوت الحموي الذي احتوى على خمسمئة سيرة منمطة في الأدب، وطبقات الأطباء وما شابهه في العلم، كما أن هناك مؤلفات ترصد هذه الظاهرة في الحديث والتصوف وغيرهما.

لكننا في المنهجيات الحديثة لا نرصد هذه المصادر في السيرة الفنية أو الأدبية لنتبين معالم شخصية هذا المبدع أو ذاك فحسب.

فالتناص هو من أهم التقنيات النقدية التي تضع أيدينا على تركيب النصوص وتركيب الشخصيات المبدعة إن أحسنا استخدام هذه التقنية، وقدمنا لها الخلفيات اللازمة من ثقافتنا وتاريخنا، إذ لا يكفي أن نأخذ مصطلح التناص ونطبقه تطبيقًا حرفيًا على نصوص مبدعينا وشخصياتهم.

ويمكن أن نستفيد من مصطلحاتنا الموروثة التي قد تنطوي على ظاهرة التناص أو بعض دلالاتها ووظائفها في المنهجيات الحديثة.



جبران خليل جبران

فالسرقات الشعرية هي في الأعم الأغلب تدرس ظاهرة التناص أو أوجهًا من وجوهها المتعددة.

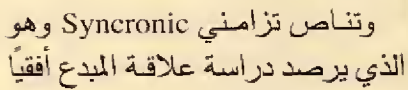
والمعارضات الشعرية كذلك تنطوي على وجه من وجوه ظاهرة التناص ومصطلحه، والنقائض يمكن أن يندرج موروث دراساتها النقدية في حقل التناص، كذلك ما يسمى بالتشطير والتخميس وما إلى ذلك. إلا أننا أشرنا سابقًا كيف نفهم التناص كتناص ظاهر Explicit Intertextuality، وتناص باطن Implicit Intertextuality، وهما من إضافاتنا على هذا المصطلح، وشاكلنا بينهما وبين المعارضة والمحاكاة، تباعًا، وربطنا المعارضة بالتناص الظاهر. كما ربطنا المحاكاة بالتناص الباطن.

ومؤسسة الرواية في تاريخنا الشعري تنطوي على كلا الأمرين بما يشبه التمرحل أو التحقيق في علاقة مبدع بمبدع أو شاعر بشاعر.

فالراوي لشاعر ما كثيرًا ما يتحول إلى شاعر بالمعارضة لبعض نصوص هذا الشاعر في المراحل الأولى والمبكرة، ولكنه يتحول إلى المحاكاة في حال نضج الشخصية الشعرية والفنية، وهكذا ينتقل من التأثر الواعي إلى التأثر اللا واعي الذي يتجسد بالمعارضة الواعية آنًا والمحاكاة اللا واعية آونة.

وهكذا فإن التعامل مع المصادر المكونة للشاعر أو الأديب تعاملاً واعيًا مرة ولا واعيًا مرات يسهم في بنية الشخصية المبدعة عضويًا ويصل التراث بمفهومه الأعم بالإبداع، والإبداع بالتراث بشكل عضوي. إلا أن التناص الذي يقنّي (من القناة) علاقة المبدع بالمصادر المكونة للشخصية يمكن أن يفرّع باتجاهين أو مسارين:

تناص في مسار تعاقبي Dicronic، عمودي يرصد علاقة المبدع بما سبق من التراث وأجياله.



وتناص تزامني Syncronic وهو الذي يرصد دراسة علاقة المبدع أفقيًا بالإبداع في عصره، وكلا التناصين يتداخلان في تكوين المبدع المعني ونصه.

وكلا التناصين التعاقبي والتزامني ليس محصورًا بثقافة المبدع بل يتخطى ذلك إلى الآداب والثقافات عمومًا. ويدخل في المنهجيات المقارنة في دراسة ما يصطلح عليه بدراسات التأثير والتأثر.

ونعود فنؤكد أن التناص من منظورنا ليس حضور نص ما في نص آخر حضورًا جزئيًا إن بالصورة وإن بالمعنى أو بخاصة أسلوبية أو شكلية قد يكون هذا كله طريقًا من طرق: حلول روح نص ما في جسد نص آخر.

هذا من منظور النص كجرم يسبح في فضاء

www.ahlaltareekh.com

الإبداع بعد أن يطلقه الشاعر فتتلقفه القرائح. يحرضها لتشكله تشكيلاً آخر أو يحرضها إلى إنتاج نص مضاد أو مشاكل أو متجاوز.

أما مجموعة النصوص لمؤلف ما التي هي بمنزلة أجرام في مجموعة شمسية واحدة. فقد يجد حضورها طريقة من مبدع إلى مبدع آخر. فتنتقل روح عالمه إلى عالم ذلك المبدع بقرائن لفظية أو شكلية أو إيقاعية وسمات معنوية أو ضمنية.

وقد يتجاوز مفهوم النص إطار الجرم الواحد، كما يتجاوز إطار مجموع نتاج المؤلف أو المبدع الواحد إلى عصر بأكمله. فيمكن الكلام على نص جاهلي في إطار العصر، ونص إسلامي، ونص عباسي، ونص نهضوي... إلخ.

فالحضور إذن يمكن أن يكون حضوراً جزئياً أو شاملاً، وعلى الناقد أن يكتشف حجمه ومداه وسعته كما عليه أن يحدد عناصره وجوهره.

وكثيراً ما يكون الإعجاب هو الشرارة التي تقدح زناد المعارضة أو المحاكاة أو التجاوز. يتوقف ذلك على تفاعل الأنا لمبدع والآخر المؤثر. فتفاعل النصوص أو تناصها بهذا المعنى ليس تفاعلاً راكداً محدوداً، بل تفاعل دينامي في المسارين التعاقبي والتزامني عمودياً وأفقياً في الأدب القومي الواحد، ومجموع الأدب الإنساني (العالمي) كله.

حسين عرب من منظور التناص

هناك قرائن لفظية دالة على أن ذاكرة حسين عرب الشعرية كانت ترشح أبياتاً أو أشطراً أو تعابير من محفوظه الشعري من إبراهيم ناجي وعلي محمود طه، وجبران خليل جبران، وأبي العلاء المعري، وغيرهم من الأقدمين.

إلا أن شخصية عرب الشعرية طراز منسجم ومتماسك على الرغم من تردد هذه القرائن في شعره خصوصاً في قصائد أشجان وألحان من ديوانه. وهذا في رأينا ليس مما يعيب القصيدة، وهو قاسم مشترك ومظهر من مظاهر التناص في الإبداع الشعري في شتى العصور. وقد أدرج النقد القديم بعضاً من التناص تحت مصطلح السرقات الشعرية، لكن التناص أوسع وأشمل من مفهوم السرقات. فإذا قال شاعرنا: سر إن استطعت في الهواء وئيداً يستدعي إلى الأذهان قول المعري: «سر إن اسطعت في الهواء رويداً».

وإذا تكلم الشاعر من السكارى بغير خمر من قبيل العربدة والنشوة. كما في سباعية من سباعيات قصيدة «قال الحكيم» نتذكر ما قاله جبران عن المعربدين والمنتشين في غير مجالس الشرب من خمور غير بنت الكرم.

فذا يعربد إن صلى وذاك إذا
أثرى وذلك بالأحلام يختمرُ

بينما يجعل حسين عرب الاختمار باللّذات:

بعض الرجال سكارى في مضاجعهم
بين الملذات تصبيهم وتنهملُ

كان لأبي العلاء عقيدة فلسفية محددة ينطلق منها، وإذا كان لجبران نزوع رومانسي معلوم يشكل قاعدة انطلاق نقده فإن حسين عرب ينطلق من الإيمان والعقيدة والتراث ليعيد الإنسان إلى تاريخه الذهبي في الفترة الراشدة التي غيّرت الكون في ضوء الإيمان الجديد

وعرب يدير نصه باتجاه الاجتماع والتاريخ والسياسة والسلطة والعقيدة لكن بهيكلية مشاكلة، وحين تأتي إلى النقد الاجتماعي والفكري والأخلاقي يتبيّن لنا مشروع الشاعر النقدي المتميز، وإن عبر أحياناً عن نزوع علائي هنا أو توجه جبراني هناك، وتميزه ينبع من موقفه العقدي والفكري والديني على حد سواء، لكنه لا ينحو منحى أبي العلاء في النقد من خلال مذهب فلسفي شامل. أو يتوجه توجه جبران الرومانسي الذي يكشف الغطاء عن عيوب المجتمع الفكرية والأخلاقية والاجتماعية والدينية ليقنع أو يعبر عن نزوع فلسفي لهجر المدينة والعودة إلى الطبيعة.

بينما حسين عرب يحتفظ للإنسان بسياقه الاجتماعي وإطاره التاريخي ويتوجه إليه بالنقد من

www.ahlaltareekh.com

أجل الإصلاح من منظور واقعي.

إن حضور النص الجبراني أو النص العلائي في بعض قصائد حسين عرب يعيدنا إلى ما ذكرناه سابقًا من أنه حضور لاواع ينثال من الذاكرة إلى جذوة الوجدان في لحظة الإبداع، وهو أدخل جزئيًا في المحاكاة منه في المعارضة، لذلك هو أوثق صلة بتناص لا واعٍ بين الشاعرين؛ لأن حسين عرب قد يتفق بمزاجه الشعري في النقد الاجتماعي والسياسي والأخلاقي مع جانب من نزوع أبي العلاء المعري أو توجهات جبران الانتقادية، لكنه يختلف عنهما بشخصية شعرية متميزة تسلط الضوء على الإنسان في الوضع التاريخي لا الوجودي، وتسعى إلى إصلاحه لا في المطلق الإنساني بل في ظروف لجذور عقدية متينة.

فإذا كان لأبي العلاء عقيدة فلسفية محددة ينطلق منها، وإذا كان لجبران نزوع رومانسي معلوم يشكل قاعدة انطلاق نقده فإن حسين عرب ينطلق من الإيمان والعقيدة والتراث ليعيد الإنسان إلى تاريخه الذهبي في الفترة الراشدة التي غيّرت الكون في ضوء الإيمان الجديد، وربطت عالم الشهادة بعالم الغيب من خلال عقيدة التوحيد كدين تاريخي يوفق ما بين الوحي والعقل في حضارة موحدة.

من هنا كانت الحكمة عنده وسيلة الذات المتغربة في العودة إلى موطنها، كما كانت الغربة سببًا من أسباب بزوغ الحكمة.

فالاجتماع عند الشاعر يرتبط بالإيمان والعقيدة، كذلك الأخلاق. وما الحكمة غير توهج آخر للعقيدة عن طريق العقل هبة الله التي تفوق كل الهبات، وتعود بالإنسان من عالم الفساد والضلال إلى الله والسعادة، والغربة إن هي إلا انقسام الذات لعدم تحقق هذه العودة.

من هنا كانت الحكمة هي الوسيلة لاستعادة هذه الذات توازنها وانسجامها وخروجها من الزمن المكسور إلى تاريخ الروح الواجدة التي تمظهرت في عقيدة التوحيد في فجر الرسالة وقمينة بأن تعود مرة أخرى إذا استعاد الإنسان الحكمة والهداية.

حضور النص القرآني في شعره

وللنص القرآني حضور في نصوص حسين عرب بأشكال وصيغ متعددة، ولتكررها عنده تكاد تشكل سمة بارزة من سمات سياقه الشعري، وجزءاً أساسيًا من بنية القصيدة عنده. والأرجح أن الشاعر قدم قسم «إيمان» من أعماله الشعرية الكاملة على الأقسام الأخرى ليدل على أهمية عاطفته الدينية ومكانتها من شخصيته وشعره، ونصوص إيمان بالإجمال وقصائد الأماكن المقدسة، حتى القصائد الوطنية والقومية لا تستقيم عنده إلا إذا كانت العقيدة ركنًا أساسيًا من أركانها. كما أن العودة إلى الأخلاق والقيم الإسلامية تشكل وجهًا آخر من وجوه التناص في شعره.



عبدالله الغذامي

وإننا لنحسب أن التناص مع النص القرآني والإسلامي (في الاجتماع والأخلاق) يجمع ما بين المسارين الأفقي التزامني والعمودي التعاقبي، فالشاعر يتطلع في إبداعه إلى أفقين: أفق التاريخ الذي يتجسد في الخط العمودي، وأفق الحاضر الذي يجسد المسار التزامني في استلهامه المعاصر والحاضر، واستنجاده بالماضي والغابر لإعادة بناء الإنسان في الحاضر، والأخلاق والاجتماع والتاريخ والمصير. وهذا التوجه هو بمنزلة الروح لإبداعه الشعري والنسغ الذي يجري في شرايين شعره وأوردة قصائده.

إلا أن التناص قد يتخذ شكلي التضمين والاقتباس لبعض الآيات القرآنية، ولا سيما تلك التي تتصل بالمبدع البارئ، والخليقة الإنسان، والطبيعة والكون

www.ahlaltareekh.com

والما وراء.

ففي قصيدة «قال الحكيم» يختص هذا الأمر بثلاث سباعيات أولها يرد بها على المنجمين الذين يربطون مصاير الناس بحركات الكواكب زحل والمشتري والزهرة وغيرها، وينعطف بعدها في سباعية تالية ليصحح الصورة إلى صورة الكون التي تنسجم مع الحقيقة والعقيدة، فالبارئ هو الله الذي أودع في الطبيعة سرها. والخليقة نواميسها، ويتحيز للقدرة الربانية تجاه النظريات العلمية فيقول:

قل للحكيم وفي الأفلاك سائرة
والكون يسبح والأفلاك ترتحلُ
دار الزمان عليها وهي دائرة
فلا الزمان تحاماها ولا الأجلُ
سر تنوء به الأجيال من قدم
والعلم أعياه عن أسراره الشللُ
الجاذبية ترعاها وتعصمها
من الجنوح فما يهوي بها الوكلُ
سبحان من علم الإنسان مسلكه
فيها، وليس له من علمها قبلُ
وأودع السر فيها ليس يدركه
سواه والخلق عن إدراكه ذهلوا
وكل شيء بأمر الله مؤتمر
ومنته بنواهيه ومحتملُ (جـ٢ـ ص ٩١ ـ ٩٢)

ولا ريب أن الشاعر حين تنزلت عليه هذه الأبيات، كانت ترفدها الذاكرة القرآنية بآيات الخلق التي هي علامة على الوحدانية التي تتجلى في الكون الواحد ونظامه وجماله. إنما هي من جمال المبدع البارئ ونظامه. وتتوارد للذهن عند الشاعر كما عند المتلقي آيات مثل: *كلٌّ في فلك يسبحون* يس: ٤٠. والشاعر استل منها صورة الكون يسبح، كما تتوارد *والشمس تجري لمستقر لها*. يس:٣٨. التي استل منها عرب: والأفلاك سائرة.. والأجرام ترتحل.. وكل شيء بأمر الله.

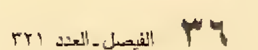
فالتناص هنا ليس لفظيًا أو بيانيًا فحسب بل يتبنّى في العقيدة ما جاء في العقيدة عن نظرية الخلق.

وحين تجابهه النظرية العلمية أو العلم بقانون الجاذبية الذي اكتشفه إسحق نيوتن لا يسفهه أو يتنكر له، بل يدرجه في إطار العقيدة كسر من الأسرار التي أودعها الله في الطبيعة والكون الذي ليس يدركه سواه. فالخلق عن إدراكه ذهلوا. فحسين عرب يقدم لنا تصورًا شائعًا وعامًا في التفسير. ويخرج بانتصار المقدّس على الإنسان، والدين على العلم، والنقل على العقل. فالنظرة إلى الحياة والكون حتى الشعر والفن جاهزة عنده ومتكاملة. ولا مجال للعلم في أفقه ورؤياه إلا باندراجه تحت سلطة البارئ والمكون. فالتناص هنا أبعد وأخطر من أن يكون صيغة بيانية؛ إنه رؤية عقدية وتصور معرفي مسبق للطبيعة والإنسان والكون.

إبراهيم ناجي

وينتقل عرب في سباعية تالية ليكمل لنا سرده لنظرية الخليقة يتجلى فيها التناص صورة ومعنى يسترفدهما الشاعر مباشرة من الذاكرة القرآنية. فالملائك من نور، والجن من مارج، والإنس من طين، والروح من أمره، والريح مقدر جريها وإعصارها، والشمس والظل والغمام والبحر، لكنها جميعًا ترتبط بخالق الكون ومشيئته.

صاغ الملائك من نور بحكمته
بين السموات والأرضين تنتقل
والجن من مارج من ناره، خلقوا
والإنس من حمأ من طينه جبلوا
والروح من أمره، تنساب سارية
في العالمين، وفيما شاء تمتثل
والريح تجري رخاءً ما أراد لها
فإن أراد فبالإعصار تنفتل
والشمس والظل والأنواء ممطرة
والبحر والفلك، والآلاء والظلل
والبعض منها فرادى، غير مشتمل
والبعض منها جميع الأمر مشتمل



www.ahlaltareekh.com

يا خـــالـق الكون منك الـعـــون نطلبـــه
ومن عطاياك، نستعطي وننتهل (ج٢ ـ ص٩٢-٩٣)

ومبعث التناص مع القرآن الكريم هنا عقدي يرتبط بالإيمان، لكن الشاعر يتحول به إلى سياق فني يتصل أو ينبثق من الوجدان، ثم يستكمل الدورة عائداً بالوجدان إلى الإيمان وبالفن إلى العقيدة.

ونرجح أن تكون سورة الرحمن في ذاكرته فمعاني في أبياته موصوله بمعاني الآيات، وإن صاغها الشعر صياغات أخرى اقتضتها القافية والوزن، دون أن نغلق السبيل بينه وبين السور الأخرى: *الرحمن علّمَ القرآنَ خلقَ الإنسانَ علّمه البيان.* **الرحمن:** ١ ـ ٤. *خلقَ الإنسانَ من صلصالٍ كالفخار وخلقَ الجانَّ من مارجٍ من نارٍ.* **الرحمن:** ١٤ ـ ١٥. وفي سور أخرى: *من حَمَأٍ مَسْنُونٍ.* **الحجر:** ٢٦.

عرب ومواكب جبران

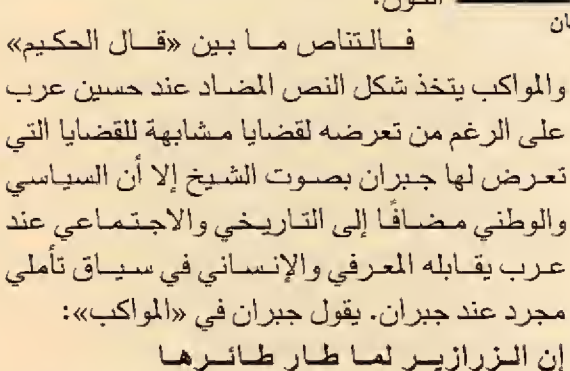
تنطوي قصيدة «قال الحكيم» لعرب على أصداء من قصيدة «المواكب» لجبران خليل جبران، لكن الحكيم عند جبران هو الشيخ الذي يشرح المدينة: عقيدتها وفكرها وعلمها وأخلاقها وانفعالاتها في سجال لا حوار مع الفتى ـ بينما يجرد حسين عرب على طريقة البلاغة العربية الحكيم من ذاته لا للحوار بل لينقل إليه المعرفة عن الناس، والعقيدة، والحب، والعلم إلى آخره. وإذا كان جبران يتماهى مع الطبيعة على لسان الفتى في قصيدة «المواكب» فإن الحكيم عند حسين عرب يتماهى مع العقيدة. فالحل عنده هو العودة إلى الله، بينما الحل عند جبران هو العودة إلى الطبيعة التي هي من منظوره مظهر من مظاهر الله.

لكن المنحى الاجتماعي والتاريخي والعقدي يشكل النسيج الأساسي في قصيدة «قال الحكيم» بينما ينصب جبران على النقد الفكري بطريقة تأملية مجردة. فالتشخيص عند عرب يقابل التجريد عند جبران والخبرة العملية في نقد عرب يقابلها التفكر والتأمل عند جبران.

وقرائن المعنى واللفظ بارزة في هذا الشأن، بارزة في قصيدة حسين عرب. فالبنية العميقة تحولت عنده من الطبيعة إلى العقيدة، لكن موقفه من العلم والمعرفة لا يمكن أن يتخلى عن الشريعة والفقه بحديهما الحرفي حتى إنه يهاجم بصراحة بعض النظريات العلمية، والاكتشافات الفضائية التي تتخلى في رأيه عن مصلحة البشر وهدي الخالق.

ولو استشرنا شعر جميل صدقي الزهاوي الذي نظم فيه بعض النظريات والحقائق العلمية كالكهرباء والفلك ونظرية النشوء والارتقاء لوجدنا مسافة واضحة عنده بين المعرفة العلمية والإيمان بينما هما ملتصقان عند حسين عرب، هذا على الخط التزامني مع بعض معاصريه. أما على الخط التعاقبي فإن الفكر المعتزلي حتى الأشعري قد يكون له موقف آخر من المعرفة والعلم يسفهه الشاعر بإيمانه الصارم وتفسير المشيئة الإلهية في الكون.


حسين سرحان


فالتناص ما بين «قال الحكيم» والمواكب يتخذ شكل النص المضاد عند حسين عرب على الرغم من تعرضه لقضايا مشابهة للقضايا التي تعرض لها جبران بصوت الشيخ إلا أن السياسي والوطني مضافاً إلى التاريخي والاجتماعي عند عرب يقابله المعرفي والإنساني في سياق تأملي مجرد عند جبران. يقول جبران في «المواكب»:

إن الزرازير لما طار طائرها
توهمت أنها صارت شواهينا
وفي الزرازير جبن وهي طائرة
وفي البزاة شموخ وهي تحتضرُ (ص ٣٥٦)

ويقول حسين عرب في قصيدة «قال الحكيم»:

أرى البغاث بأعلى الجو طائرة
على البزاة علت، واستنوق الجمل

www.ahlaltareekh.com

وصـــار كل جـــبـــان خـــائـن بطلاً
وغـاب في كـهــفـه المقـدام والبطل (جـ٢ ـ ص٨٣)

فـالتـمـثـيل بالـبـغـاث والـبـزاة هو نفـسـه عند الشاعـرين، وروابط المعنى والصورة متعـانقان عند الشاعـرين، فالزرازير هي من بغاث الطير والبزاة هم الأحـرار والأبطال الذين تغيـبـهم أو تحـاول أن تغيبهم الزرازير عند الشاعرين.

ومن الواضح أن كـلا الشـاعـرين جبـران خليل جبران، وحسين عـرب استـخدم البحر نفسه وهو البـحـر البـسـيط للتـعـبـيـر عن آراء الحـكيم وأفكار الشيخ.

نتيجة

فالتناص إذن لا يعني صـورة مكررة عن نص ما أو صـورة مـحـرفـة، بل قـد يتـخـذ سـبـيل التـشـويه والتخـريب بالمعنى الفني فيـهدم نصـاً مـا لينبني نص آخر، وإن استـخـدم عناصـر مـشـتـركـة بينه وبين النص الآخر.

ورب سائل يسأل: لماذا التناص كمنهجيـة حديثة تتصل بالبنيوية والسيميائية التشـريحية؟ ألم يوصد الدارسـون والنقـاد في موازنـاتهم هذه الروابط وهذه العوالق بين النصوص المختلفة من خلال المنهجيات المتعددة، كالتعبيرية وغيرها؟!.

ونجيب عن ذلك نعم، لكن المنهجيـات الحديثـة، ومنها التناص، تتصل عضوياً بمركز فكري وعلمي وفلسـفـي في النظر إلـى الحـيــاة والأدب لا يوازيه الرصـد الـفني وإن توسل البـصـيـرة الثـاقـبـة؛ لأن المنهجية كـالتناص تمنح الدارس رحابة وصلابة في آن في النظر إلى الأدب والفكر والحياة، كمـا تمنحه شمـول النظرة، وسعـة معرفـية شاسـعة، وتوقـعات أفقية للتعامل مع النصوص وتداخلها وصلاتها على الخطين التـزامني مع عصـر الشاعـر بسعة الـعالم، والتعاقبي العمودي بامتداد التاريخ.

هذا الأفق الإنساني الشامل، وهذا النظام الصلب المرن لا يمكن أن نجده بالموازاة في عـمليـة الرصـد ومـلاحظاتها المتـفرقـة والجـزئية لاكـتـشـاف حركـة النصـوص في المدين أو البعـدين الأفقي والعـمودي في المنهجية التعبيرية وغيرها.

وجـدير بأن نلاحظ أن الشـاعـر حسين عـرب يمارس حرية فنيـة وفكرية واسعـة في إعادة تشكيل ما ترسب في الذاكرة الشعرية من نصـوص، فيغير لا في الصـورة فحسب، بل في الـفكرة منسجـماً مع اللحظـة الإبداعـيـة لـلعـقـيـدة وسـيـاقـهـا المتـصـل بالحاضر.

هذا فيـمـا يخـتص بالنصوص الشـعـرية القـديمة والحـديثة أمـا فيـما يـتعلق بالنص المقدس، ولا سـيـمـا السور القرآنيـة، فالصياغة الشعـرية لإعادة التشكيل هو السائد عنده، حتى ليـجد القارئ أن تطابق الأفكار والصــور هو الغـالـب وتصـبح فـطرة حـسين عــرب الشعـرية حاملة لمضامين العـقيدة وأفكارها بإيقـاعات وجدانية تكاد تكون عفوية لرسوخها في نفسه.

ويتحول عنده عنصر التـغير وإعادة التشكيل إلى توظيف النص المقـدس كمـعـيـار أساسي للنصـوص المعـرفـيـة والإبداعـيـة، فـيلجـأ الشـاعـر في أغلب الأحـيان إلى التـوفيق بين النصين في إطار مـفـهـوم النص القرآني المهيمن، وتصبح عندئذ المعرفة جهداً إنسانياً لخدمة العقيدة، وتبيان معجزة الخالق، ويقوم وجـدانـه الشـعـري المؤمن بردم الهـوة بين النصين المقدس والمعرفة الإنساني بتوهج عاطفي مؤثر.

المراجع والهوامش

- انظر معجم الأدباء والكتاب السعوديين، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، الدائرة للإعلام المحدودة، ص ٢٣٢.
- هناك لمحات أيضاً عن حياة الشاعر في موسوعة الإثنينية، مجلد ١، عام ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣م، ص ١٦٩، وكلمات عنه في حفلته التكريمية والاحتفاء به (ص ١٧١ ـ ١٨٧).
- انظر أيضاً مجلة الفيصل التي أبرز نعيها له ملامح الروح الوطنية والعربية والإسلامية في شعره عدد (٣٠٩) ربيع الأول ١٤٢٣هـ/ مايو/يونيو ٢٠٠٢م، ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤.
- انظر أيضاً دراستنا في مجلة علامات في النقد ـ نادي جدة الأدبي بعنوان «الأعمال الشعرية لحسين عرب» عدد ٤٢، ص ١٦١ ـ ١٦٩.
- انظر أيضاً المصدر نفسه، دراستنا عن « أناشيد عرب وأهميتها» عدد ٤٣، ص ١٠٥ ـ ١٣١.
- انظر أعمال حسين عرب الشعرية الكاملة، الجزء الأول «المقدسة». وقصيدة «قال الحكيم» الجزء الثاني، ص ٨٠ ـ ٩٥.
- انظر أيضاً قصيدة «المواكب» لجبران خليل جبران من أعماله الكاملة، بيروت، دون تاريخ، ص٣٥٤.

www.ahlaltareekh.com

إعادة الاعتبار إلى الأدب الألباني في الأبجدية العربية

محمد. م. الأرناؤوط
دمشق - سورية

في عام ١٩٨٣م، حين نُشر كتابي «الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية» (سلسلة عالم المعرفة/ الكويت) لم يكن المحيط الثقافي الألباني يتقبل بعد مثل هذا الأدب (المكتوب في الأبجدية العربية) الذي كان ضحية التجاهل والازدراء من قبل الدارسين لأسباب كثيرة وردت في الكتاب المذكور.



وفي العام نفسه نشر الزميل د. محمود هيسا Mahmoud Hysa أول أبحاثه في هذا المجال، وتابع عمله بجدية ومنهجية علمية، ونشر عدداً من الدراسات الأصلية التي حملت من النتائج الجديدة ما غير بالتدريج من الموقف التقليدي (الجامد والأحادي) من هذا الأدب. وقد أحسن د.هيسا عملاً باختياره لمجموعة من دراساته المنشورة خلال عامي ١٩٨٣و ١٩٩٥م ليصدرها في كتاب بمجلدين تحت عنوان «الخميادو الألبانية» في عام ٢٠٠٠م(١).

وفي مقدمة الجزء الأول من الكتاب لا يخفي المؤلف أنه يأمل من خلال هذه الدراسات أن «يحتل الأدب الألباني المكتوب في الأبجدية العربية مكانة جديدة في إطار الأدب الألباني كاملاً، وذلك بالاستناد إلى المنهج العلمي المتحرر من المواقف المسبقة» (ص٦).

وفي الحقيقة أن ما قدمه د. هيسا في هذين

www.ahlaltareekh.com

المجلدين إنما يفترض أن يؤدي إلى هذا، أي إلى إعادة الاعتبار إلى الأدب الألباني المكتوب بالأبجدية العربية بعد طول تجاهل وازدراء.

استبعاد

وتجدر الإشارة إلى أن تجاهل هذا الأدب وازدراءه إنما جاء نتيجة لموقف منهجي (بدافع فكري سياسي) غير صحيح يتمثل في حصر هذا الأدب في تواريخ الأدب الألباني ضمن ما يسمى «الأدب القديم» الذي ينتهي في عام ١٨٣٦م، واستبعاد هذا الأدب تماماً مما يسمى «أدب النهضة القومية». وإذا أخذنا في الحسبان أن مرحلة «أدب النهضة القومية» (١٨٣٦ - ١٩١٢م) هي الأهم في تواريخ الأدب الألباني فإن استبعاد كل هذا الأدب (المكتوب بالحروف العربية) من هذه المرحلة إنما يشكك في قيمة هذا الأدب ومضمونه، لأن استبعاده يوحي بأن هذا الأدب من حيث الشكل الفني ومن حيث المضمون لا يستحق أن يدخل معه في «أدب النهضة القومية».

ومن المهم هنا أن المؤلف يشير بحق إلى أن هذا الموقف المسبق من هذا الأدب إنما يبرز خلال الستينيات في ألبانيا، وفي كوسوفا التي كانت تعتمد على ما تصدره تيرانا من تواريخ للأدب الألباني. وبعبارة أخرى فقد كان هذا الأدب قد ذكر بشكل ما في التواريخ التي وضعت للأدب الألباني كـ «الكتّاب الألبان» الذي صدر في تيرانا خلال عام ١٩٤١م و«تاريخ الأدب الألباني» الذي صدر في تيرانا خلال عام ١٩٥٩م. أما بعد ذلك فقد أخذ ذكر هذا الأدب ينكمش في تواريخ الأدب الألباني على الرغم من الدراسات الجديدة والمهمة التي نشرها آنذاك الباحث المعروف عثمان مدرسي O. Myderezi، وذلك لأمور أيديولوجية وسياسية، فقد جرت في ألبانيا عام (١٩٦٦م) الثورة الثقافية (على النمط الصيني) التي تمخضت عن هجوم عنيف على كل مظاهر تأثير الدين في الحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية، وأنهت ذلك بإغلاق كل الجوامع في ألبانيا. وبما أن الفكرة الشائعة عن هذا الأدب الألباني المكتوب بالأبجدية العربية تقول: إن المؤثرات الإسلامية تطغى عليه، فقد برز موقف جديد يحاول أن يحجم هذا الأدب إلى أدنى حد ممكن في تواريخ الأدب الألباني، وفي الثقافة الألبانية بشكل عام.

ولأجل ذلك يركز د. هيسا في دراسته الأولى في إثبات أن هذا الأدب (وإن كان يتميز بالمؤثرات الإسلامية) ليس بغريب عن محيطه الألباني، إذ إنه يتضمن إبداعات أدبية جميلة تتناول موضوعات إنسانية متنوعة كالحنين إلى الوطن، كما في أشعار نظيم فراكولا N. Fra-kulla، ومحمد تشامي M.Cami، وغيرهما، وموضوعات اجتماعية نقدية كما في أشعار حسن زيكو كامبيري H.Z.Kamberi وغيره. وفي هذه الدراسة يركز المؤلف في أن هذا الأدب عرف أيضًا الروح القومية في أعقاب «رابطة بريزرن» بين عامي ١٨٧٨ و ١٨٨١م، التي طالبت الباب العالي بوحدة الأراضي الألبانية في ولاية واحدة(٢). وقد برز شعراء ألهبوا المحيط بقصائدهم ذات النفس القومي كبابا ملك B. Melea وبابا إبراهيم B. Ibrahim وغيرهما (ص ٢٧ - ٣١).

المصطلح «أدب الخميادو» جاء من قاموس الاستشراق الأوربي المركزي، إذ إنه استخدم أول مرة في شبه الجزيرة الإيبيرية للدلالة على ما كان يكتبه الموريسكيون بلغتهم المحلية

شعراء بارزون

وفي هذا الإطار تأتي الدراسة التالية المخصصة لأحد أهم شعراء هذا الأدب، وهو نظيم فراكولا الذي عاش في النصف الأول للقرن الثامن عشر لتؤكد ما لهذا الأدب من قيمة فنية ريادية في تاريخ الأدب الألباني بشكل عام. فمع هذا يوضح د. هيسا النقلة المهمة التي حصلت في تاريخ الأدب الألباني، إذ إن فراكولا هو أول من وضع ديوانًا شعريًا (وهو يعي

www.ahlaltareekh.com

ذلك ويفتخر به) يتمتع بقيمة فنية حقيقية (ص٦٦). وبالمقارنة مع الأدب السابق، الذي كان محصوراً في الطائفة الكاثوليكية في الشمال ومحدوداً بقيمته الفنية، فإن الأدب الألباني المكتوب بالأبجدية العربية أصبح منتشراً أكثر في البلاد لكونه يعبر عن غالبية السكان، ومتنوعاً أيضاً بموضوعاته وأشكاله الفنية (ص٥٣).

وعلى هذا النمط يركز د. هيسا في دراستيه اللاحقتين في واحد آخر من أهم شعراء هذا الأدب، ألا وهو حسن زيكو كامبيدي الذي عاش في النصف الثاني للقرن١٨م، إذ يوضح ما أسهم فيه بأشعاره في إغناء الأدب الألباني بقيم وأشكال فنية جديدة لم تكن معروفة حتى ذلك الحين، خصوصاً أنه يعتمد في الدراسة الثانية على قصائد مخطوطة لم تنشر بعد.

ولدينا بعد ذلك ثلاث دراسات تتعلق بواحد آخر من أهم شعراء هذا الأدب، ألا وهو محمد تشامي الذي برز في النصف الأول للقرن التاسع عشر. ففي الدراسة الأولى يعرف بشعر هذا الشاعر من خلال بعض قصائده المخطوطة، التي لم تحظ بالشهرة، على حين أنه يركز في الدراسة الثانية على أشهر أعماله الشعرية، ألا وهي القصة الشعرية «أروى» التي كانت الأولى من نوعها في الأدب الألباني(٣).

ففي هذه الدراسة يركز د. هيسا في «مفهوم الإسلام» لأن هذه القصة الشعرية كانت قد حظيت باهتمام أحد شعراء النهضة القومية (ياني فريتو) Yani Frito التي نقحها ونشرها في الأبجدية اللاتينية في عام ١٨٨٨م. ففي هذا الدراسة يوضح د. هيسا كيف أن هذا «التنقيح» قد أدى إلى تغييب المفهوم الإسلامي الذي كان واضحاً جداً في المخطوطة الأصلية التي كتبت بالأبجدية العربية (ص ١٥٤ ـ ١٦٦). أما الدراسة الثالثة عن محمد تشامي فقد خصصها د. هيسا للقصة الشعرية الأخرى «يوسف وزليخة»، التي حاول أن يقارنها بما ورد في القرآن الكريم ليصل إلى ما هو مشترك وما هو مضاف إلى ذلك من خيال الشاعر (ص ١٦٧ ـ ١٧٧).

وبعد هذه الدراسات الثلاث عن محمد تشامي لدينا دراسات أخرى عن هذا الأدب لدى الشاعر نعيم فراشري وفي «قاموس الإعلام» لشمس الدين سامي فراشري يتتبع هذا الأدب لدى كاتب معروف آخر هو سعيد نايداني S. Najdai، ليقفل المجلد الأول بدراسة حول «الموضوع الاجتماعي في الأدب الألباني المكتوب بالأبجدية العربية» ص ٣٠٩ ـ ٣١٧.



الانتماء الإسلامي يبرز في الأدب الألباني

أصوات مشتركة

أما المجلد الثاني فيفتتحه بدراسة نقدية بعنوان «مفهوم منطو على مفارقة تاريخية حول الأدب الألباني في الأبجدية العربية»، حيث يعود فيها من جديد إلى الموقف السلبي من هذا الأدب. وهكذا فهو يقول: إنه على الرغم من النتائج الجديدة التي تم التوصل إليها (والتي تبين قيمة هذا الأدب وريادته)

www.ahlaltareekh.com

فإن «بعض الباحثين لا يزالون على موقفهم السابق ويرفضون رفع الظلم الذي لحق بهذا الأدب» (ص٧).

وفي هذه الدراسة يركز د. هيسا في أمرين في غاية الأهمية في نقده للباحثين الذين يتجاهلون ويزدرون هذا الأدب.

فبينما يتعلق بالأبجدية التي كتب بها هذا الأدب (أي العربية) يوضح المؤلف أن الكتّاب الألبان عرفوا كيف يكتبون بسهولة بهذه الأبجدية؛ لأن بعض الأصوات المشتركة (ذ، ث) ساعدتهم على ذلك.

وبعبارة أخرى ينتهي د. هيسا إلى أن الحروف اليونانية أو السلافية التي حاول أن يكتب فيها بعض الكتّاب الألبان (الأرثوذكس) لم تكن مناسبة أبداً، كما أن الحروف اللاتينية (التي نشرت لاحقًا) لم تكن مناسبة مما اضطر الكتّاب الألبان إلى إضافة حرف أو دمج حرفين حتى يتم التعبير بشكل مناسب عن الأصوات الألبانية كـ dh, th, nj, gj, yh, zh (ص٩).

والأمر الآخر الذي يهتم به هنا د. هيسا هو السبب في عدم انتشار هذا الأدب، الذي يركز فيه منتقدوه، فقد برز هذا الأدب في وقت (نهاية القرن التاسع عشر) لم تكن في إستنبول بعد (ولا مراكز الولايات) مطابع تطبع الكتب بالحروف العربية، بينما كانت تتوافر مطابع كثيرة في الجوار تطبع بالحروف اللاتينية. وحتى بعد أن أسست أول مطبعة في إستنبول في عام ١٧٢٦م لطبع الكتب بالحروف العربية، بعد فتوى مشهورة من شيخ الإسلام، فإن مكان هذه المطبعة كان بعيداً عن المجال (الألباني) الذي كان يتم فيه إبداع هذا الأدب (ص١٠).

وبعد هذه الدراسة، التي تعدّ من أهم الدراسات الموجودة في هذا المجلد، تأتي دراسة مطولة عن الشاعر المعروف نعيم فراشري وعن ترجمته المبكرة للقرآن الكريم التي نشرها في عام ١٨٩٨م، ويقارنها د. هيسا مع الأصل، وينتهي إلى أنها ترجمة مختارة ومجملة لم يتقيد فيها الشاعر بالأصل (ص٤٧).

وبعد ذلك لدينا دراسة مقارنة أخرى عن ترجمتين ألبانيتين لرباعيات الخيام، ودراسة أخرى عن نتائج الكاتب سعيد نايداني (ص ١٠٥ - ١١٨)، ومن ثم عدة عروض لكتب لها علاقة بهذا الأدب (ص ١٢١ - ٢٤٧).

وعلى الرغم مما في هذه الدراسات من أصالة وإضافة معرفية تسهم دون شك في تعزيز مكانة الأدب الألباني بالأبجدية العربية، إلا أنه لابد من التوقف قليلاً عند عنوان الكتاب.

بما أن الفكرة الشائعة عن هذا الأدب الألباني المكتوب في الأبجدية العربية تقول: إن المؤثرات الإسلامية تطغى عليه، فقد برز موقف جديد يحاول أن يحجم هذا الأدب إلى أدنى حد ممكن في تواريخ الأدب الألباني، وفي الثقافة الألبانية بشكل عام

لقد عرف هذا الأدب منذ البداية باسم «شعر أصحاب الأبيات» Poozi e bejtixhinive لأن كل ما كتب في البداية كان في مجال الشعر من قصائد وقصص وملاحم، وهو ما كان يكتب في وزن شعري معين يعتمد البيت bejt بشطريه.

أدب الخميادو

وقد شاع بعد ذلك في وسط الباحثين الدارسين لهذا الأدب مصطلح «الأدب الألباني المكتوب بالحروف العربية» أو «الأدب الألباني في الأبجدية الألبانية»، ويلاحظ هنا أن المؤلف يستخدم كلا المصطلحين، ثم يستخدم أول مرة مصطلح «أدب الخميادو» alamiada في الدراسة الأخيرة الواردة في المجلد الأول (ص ٣٠٩ - ٣٢٧) ثم في الدراسة الأولى التي تتصدر المجلد الثاني (ص٧ - ٣٨). وكان من المفترض، في مثل هذا الكتاب، أن يتوقف المؤلف في مقدمة هذا الكتاب عن هذا المصطلح حتى يصبح مفهومًا من القارئ ومنسجمًا مع كل كتاب.

www.ahlaltareekh.com

وتجـدر الإشـارة إلى أن هذا المصطلح «أدب الخميادو» جاء من قاموس الاستشراق الأوربي المركزي، إذ إنه استخدم أول مرة في شبه الجزيرة الإيبيرية للدلالة على ما كان يكتبه الموريسكيون بلغتهم المحلية، بعد أن تم تحريف «الأعجمي» إلى aljamiado. وفيما بعد شاع هذا المصطلح في الاستشراق الأوربي بصيغة alhamiado للدلالة على ما كتب في اللغات الأوربية الأخرى (البلغارية واليونانية والألبانية والصربية والبولونية...إلخ). بالحروف العربية، وقد استخدم هذا المصطلح aljam-ijado في يوغسلافيا السابقة د. فهيم بايراكتاروفيش F.Bajraktarovic (١٨٨٩ـ ١٩٧٦م) مؤسس قسم الاستشراق في بلغراد(٤). في دراسته عن قصائد المولد النبوي التي صدرت في عام ١٩٢٨م(٥). وتلميذه د. حشن كلشي H. Kaleshi (١٩٢٢ـ ١٩٧٦م) مؤسس قسم الاستشراق في بريشتينا(٦) في دراسته عن الأدب الألباني المكتوب بالحروف العربية(٧).

وقد شاءت الأقدار أن ألتقي المؤلف د. محمود هيسا في الندوة الدولية الحادية والعشرين للثقافة الألبانية، التي عقدت في بريشتينا في ١٨ أغسطس/ آب ـ ٢ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٢م، فقد كانت هناك محاضرتان عن هذا الأدب: الأولى لعبدالله حميدي A. Hamidi بعنوان «شعر أصحاب الأبيات ـ المؤثرات الشرقية الإسلامية والموقف منها»، والثانية لنهاد كراسنيشي N. Krasniqi بعنوان «جذور كتابة الخميادو عند الألبان»(٨).

وعلى هامش هذه الندوة جرى أكثر من نقاش حول هذا الأدب والمصطلح المناسب له مع الزملاء، إذ بدا أن معظم الزملاء يفضلون مصطلح «الأدب الألباني بالحروف العربية»؛ لأن المصطلح الآخر (أدب الخميادو) يعبر عن نزعة مركزية أوربية في إشارته إلى ما يكتب في حروف الآخر/ الأعجمي، بينما يرى الزملاء أن الحروف العربية لم تكن كذلك بالنسبة إلى المسلمين في البلقان الذين كانوا يستخدمون العربية في كتابة مقالاتهم المحلية.

وعلى كل حال، إن تحديد هذا المصطلح وتطوره التاريخي ومعناه الحالي كان يمكن أن يساعد المؤلف أكثر على اختيار الدراسات المناسبة لمثل هذا الكتاب بالعنوان المذكور، إذ إن بعض الدراسات الواردة فيه (وخاصة في المجلد الثاني) لا تدخل ضمن مفهوم مصطلح «الخميادو»، كالدراسة الممتازة المتعلقة بترجمة نعيم فراشري للقرآن الكريم، فقد نشرها في اللغة الألبانية بالحروف اللاتينية.

ومع ذلك لا بد من العودة إلى البداية، وبالتحديد إلى الإشادة بهذا الكتاب الذي يجمع دراسات أصيلة ويمثل إضافة معرفية في هذا المجال، والذي صدر في وقت مناسب (عام ٢٠٠٠م) لكي يسترد هذا الأدب الألباني المكتوب بالأبجدية العربية مكانته التي يستحقها.

الهوامش والمراجع

1 - Mahmoud Hysa, Alamiada Shqiptare 1 - 2, shkup 2000.

٢ـ للمزيد عن «رابطة بريزن» ودورها في التاريخ الألباني انظر: أنتوني سوريال عبدالسيد، الرابطة القومية الألبانية/ رابطة بريزرن الألبانية ١٨٧٨ ـ ١٨٨١م، القاهرة (دار الثقافة) ١٩٨٦م.

٣ـ للمزيد حول هذه القصة الشعرية ومكانتها في الأدب الألباني راجع دراستنا: أروى العربية وأروى الألبانية، مجلة المعرفة، عددها ٢١٨، دمشق أبريل/نيسان ١٩٨٠م.

٤ـ حول هذا المستشرق ودوره في الاستشراق اليوغسلافي انظر كتابنا: مراجعة الاستشراق: ثنائية الذات الآخر ـ نموذج يوغسلافيا، بيروت (دار المدار الإسلامي) ٢٠٠٢م، ص ٧٥ ـ ٧٨.

5 - Dr. Fehim Bajraktarovic, Srpske Muhamedovu rodjenju, Glasnik Skopskog naucnog drustva III, Skopje 1928, pp. 189 - 202.

٦ـ حول هذا المستشرق ودوره في الاستشراق اليوغسلافي/ الألباني انظر كتابنا: مراجعة الاستشراق، ص ٧٩ ـ ٨٨.

7 - Hasan Kalesi, "Albanska aljamiaoo Knjizevnost", POF XVI- XVII, Sarajevo 1966 - 1976, pp. 49 - 78.

٨ـ للمزيد عن هذه الندوة وما ورد فيها عن هذا الأدب انظر مقالتنا: على هامش الندوة الدولية الـ ٢١ للثقافة الألبانية: الأدب الألباني في الأبجدية العربية، جريدة «الرأي» عمان ٢٠٠٢/١٠/٢٥م.

www.ahlaltareekh.com

بعض ملامح الأسرة العربية: بين التاريخ والشعر

أمينة محمد علي بيطار
الرياض - السعودية

خلق الله آدم، وخلق حواء لتكون زوجًا له تشاركه حياته، ويسكن إليها، ويكوّنا أسرة فيها زهرة الحياة وهم الأبناء. قال الله تعالى: *ومن آياته أنْ خَلَقَ لكُم منْ أنْفُسكُم أزواجًا لتَسكُنوا إلَيْها، وجَعَلَ بَيْنَكُم مودةً ورحمةً، إنَّ في ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرون*. الروم:٢١.

ما كان الله سبحانه وتعالى ليدع الرجل يحمل أعباء الحياة وأثقالها وحده، بل خلق له من نظام نفسه من يذود عنه هموم نفسه، ويحتمل عنه الكثير من شؤون الحياة، تلك هي المرأة قسيمة حياة الرجل وعتاد بيته التي لها من صفاء القلب ونقاء السريرة وما ينبعث عنهما من وفاء وحنان وتسلية وتأسية ما يقيم مائل الأرض.

ولنتصورَ مكانة المرأة في الأسرة، نستعيد ما فعله رسولنا الكريم حين راعته رؤية جبريل الروح الأمين حين نزل عليه للمرة الأولى، فلم يجد من يسرّي عنه ويشدُّ قلبه إلا زوجه خديجة، التي قالت له: «كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك تحمل الكلّ (الضعيف الذي لا ولد له) وتُكسبُ المعدوم، وتعين على نوائب الدهر»، فكان قولها أنفذ في نشر دين الله من ألف سيف ينتضى في سبيل الله.

فالمرأة العربية في الأسرة مثار عاطفة الرجل، ومدار وجدانه، وسرّ حياته وموته. ولذلك فإن الرجل العربي وقف شرفه على شرفها، وعمل على حمايتها، وسفك دمه دون البلوغ إليها. فقد كان رفيقًا بالمرأة عطوفًا عليها، ينزل تحت حكمها، ويفيء إلى ظلها، ويطمئن إلى سلطانها، إذا آنس منها القدرة على قيادة الأسرة وسياستها.

المرأة.. الأم

وحين تنتقل المرأة الزوجة إلى طور الأمومة، فهناك تنزل عن حقها في الوجود لمن فُصلَ عن لحمها ودمها. تسهر الليالي لينام، وتظمأ ليروى، وتحتمل الألم راضية مغتبطة، وتجود بنفسها في سبيل راحة ابنها «والجودُ بالنَّفسِ أقصى غاية الجود».

وما كان لأحد من العرب أن يجاذب امرأته فخر تربية أبنائها، وفضل تأديبهم، لما للأبناء من أهمية كبيرة عند العرب، فهم عماد الأسرة، ومصدر قوتها ومكانتها، وجُبل العرب على حب الأبناء، وقد يكمن السبب في أن طبيعة الجزيرة العربية تعتمد على العصبية والحروب. وفي كثرة العدد عز ومنعة، وفي قلته ضعف واستهانة. فالأسرة التي يكثر بها الأبناء وخاصة الذكور منهم، تكون منيعة الجانب عزيزة، ذلك لأن الأبناء يزيدون في رصيد العائلة المادي، فيعملون ويساعدون أسرهم، ويقفون إلى جانبها في النوائب. وكان العرب يعيرون الرجل القليل الأولاد، فقد عيّروا عبدالمطلب بن هاشم جدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عندما أراد حفر بئر زمزم، ولم يكن له من الولد إلا الحارث، فنازعته قريش على الحفر، وقال له عدي بن نوفل: «يا

www.ahlaltareekh.com



عـبـدالمطلب أتسـتطيل علينا وأنت فـذٌ لا ولد لـك، فنذر عبدالمطلب إن رزقه الله عشرة أولاد ذكوراً أن ينحر أحدهم شكراً لربه(١).

كما عيّر أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أبتر، وذلك في معرض الفخر والتهديد، واستهزأ به قائلاً: «يا محمد: بمن تهددني، وإني أكثر أهل هذا الوادي ناديًا!! لأملأن عليك هذا الوادي خيلاً جرداً ورجالاً مرداً(٢)، فنزلت سورة الكوثر.

ويفخر العرب بكثرة الأبناء وكثرة أعداد أفراد القبيلة، قال عمرو بن كُلْثوم (ت: نحو ٤٠ ق هـ/ ٥٨٤م) يفتخر بكثرة عدد أبناء قومه:

مـلأنا البـرَّ حـتى ضـاق عنّا

وظَهْـر البَحْـرِ نَمْلَؤه سـفـينا(٣)

بنين وبنات

وتفضيل العرب للبنين على البنات تبدو من قصة أعرابي يعرف بأبي حمزة، أراد الزواج ليكون له أبناء ذكور، فقال: «زوّجوني امرأة أولدها ولداً، أعلمه الفروسية حتى يحوي الرهان، والنزعَ عن القوس حتى يصيبَ الحدق، ورواية الشعر حتى يفحمَ الفحول»، فزوجوه امرأة، فولدت له ابنة فتضايق، ثم ولدت له أخرى فغضب، ولما ولدت الثالثة هجر فراشها وتركها وذهب إلى جارتها. ويبدو أنها كانت تجيد الشعر كغيرها من سيدات العرب، حين كانت الفصاحة اللغوية سائدة بينهم، فقالت فيه:

مـا لأبي حـمـزة لا يأتينا

يظلُّ في البـيت الذيَ يلينا

غـضـبـانَ ألاَّ نَلِدَ البنينا

وإنّمـا نَأخُـذُ مـا أعْطِينا(٤)

وقد دعا الاهتمام بالأبناء وكثرة الإنجاب إلى الاهتمام بالمصاهرة بين الأسر والقبائل، وإلى أن تكون للزوجة مكانة كبيرة في الأسرة، وتزداد مكانتها إذا ما ولدت وتوثقت بها العرا، وبخاصة عندما تنجب ذكوراً، ولا تعد المرأة منجبة إلا إذا ولدت ما لا يقل عن ثلاثة بنين(٥)، وضربوا المثل بالمرأة المنجبة، فقالوا: « أنجب من ماوية(٦)، وأنجب من أم البنين(٧)، وأنجب من عاتكة)(٨)».

وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم الميل إلى كثرة الإنجاب، وإلى إيثار الزوجة الولود، فقال: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم»(٩).

الاهتمام بالنسب

ويهتم العربي بنسب أبنائه قبل الولادة، وذلك بحسن اختيار الزوجة من حيث حسبها ونسبها، وقال: حُرَيث بن مُحَفِّض (ت نحو ٦٥هـ/٦٨٥م) في مدح قومه:

بنو المجد لم تَقْعُد بهم أمهاتُهم

وآباؤهم آباء صدقٍ فأنجبوا(١٠)

وكان المقياس الذي يعتمده العرب في حسن نسب الزوجة إخوتها، فإذا كان أخو الأم (الخال) سيداً، شجاعاً، جواداً، فصيحاً، كان الأمل قوياً في أن ينزع إليه ابن أخته، فالولد لابد أن يشبه خاله في شكله وخلقه، قال الراجز في ولد وُلِدَ له سمّاه عصاماً، وقد غلب خاله على شكله وخلقه:

والله مـا أشـبـهني عـصـام

لا خُـلُقٌ منـه ولا قـوامُ

نمتُ وعِـرْقُ الخـالِ لا ينامُ(١١)

وإذا ولد لأحدهم ولد بعيد الشبه به غضب، فقد وُلِد للحارث بن عُبَاد ابن ضبيعة (ت نحو ٥٠ ق هـ/ ٥٧٠م)،

www.ahlaltareekh.com

ولدٌ أحمر اللون، فغضب وخرج ولم يأت زوجته أيامًا، ثم دخل عليها، فقامت إليه كعادة النساء، فصاح بها وانتهرها ثم أنشأ يقول:

لا تَمْشطي رأسي ولا تَفليني
واقتربي هَلُمَّ أخبريني
ما بالُهُ أحْمَرَ كالهجينِ
خالفَ ألوانَ بنيَّ الجونِ

فغضبت من سؤاله وشكه في أخلاقها، وقالت له:

إنَّ لَهُ من قِبَلي أجدادا
بيضَ الوُجوهِ كُرُمًا أنْجادا
ما ضَرَّهم يوم لَقُوا شَدَادا
وكَسَروا في صَدْرِهِ الأعوادا
ألاّ يكون لونهم سوادا (١٢)

وأوصى أكثم بن صيفي (ت٩هـ/ ٦٣٠م) قومه بالاهتمام بنسب الزوجة عند الإقدام على الزواج. قبل أي ميزات أخرى، فقال: «لا يكفيكم جمالُ النساء عن صراحة النسب، فإن المناكحَ الكريمةَ مدرجةٌ للشرف»(١٣).

وامتن أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ/٦٨٨م) على بنيه بقوله: «أحسنت إليكم كبارًا وصغارًا، وقبل أن تولدوا، قالوا: كيف أحسنت لنا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من النساء من لا تُسَبُّون بهن»(١٤).

وأنشد الشاعر الرِّياشيّ العباس بن الفرج (ت ٢٥٧هـ/٨٧١م) مذكرًا أبناءه بإحسانه إليهم، حين تخير لهم الأم التي يفخرون بنسبها وعراقته، فقال:

فأوّل إحساني إليكم تَخَيُّري
لماجدةِ الأعراق بادٍ عفافُها(١٥)

وعزز الإسلام هذه الفكرة، وحض على التخيُّر للنطف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَخيروا لِنُطَفِكم فإن العرق دساس»(١٦).

اختيار الزوج

وإذا كان الرجل يختار زوجته، فإن للمرأة البالغة الحق في اختيار زوجها والد أبنائها، يتضح ذلك مما جرى بين هند بنت عتبة (ت ١٤هـ/٦٣٥م) وأبيها عتبة بن ربيعة (ت ٢هـ/٦٢٤م) قبل خطبتها وزواجها من أبي سفيان(١٧)، ذلك أن هندًا اشترطت على أبيها عتبة بن ربيعة في زواجها قائلة: «إني امرأة قد ملكت أمري، فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه عليّ، قال: لك ذلك»، فقال لها يومًا: «إنه قد خطبك رجلان من قومك، ولست مسميًا لك واحدًا منهما حتى أصفه لك:

أما الأول: «ففي الشرف الصميم والحسب الكريم، تخالين به هوجًا من غفلته... حسن الصحابة، سريع الإجابة، إن تابعته تبعك، وإن ملت كان معك، تقضين عليه في ماله، وتكتفين برأيك عن مشورته».

وأما الآخر: «ففي الحسب الحسيب والرأي الأريب.. عزُ عشيرته، يؤدِّبُ أهلَهُ ولا يؤدبونه... شديدُ الغَيْرة.... إن حاجَّ فغير منزور، وإن نوزع فغير مقهور».

المرأة العربية في الأسرة مثار عاطفة الرجل، ومدار وجدانه، وسرّ حياته وموته. ولذلك فإن الرجل العربي وقف شرفه على شرفها، وعمل على حمايتها، وسفك دمه دون البلوغ إليها

فقالت هند: أما الأول فسيد مضياع لكريمته.... وأما الآخر، فبعل الحرة الكريمة، إنّي لأخلاق هذا لواقعة، وإني له لموافقة... وإن السليل بيني وبينه لحري أن يكون المدافع عن حريم عشيرته، الذائد عن كتيبتها، المحامي عن حقيقتها، المثبت لأرومتها.... فقال لها عتبة بن ربيعة، ذاك أبو سفيان بن حرب(١٨).

خيانة

وكان العربي يريد أن تبقى زوجته له إن كانت على عصمته، وإن كانت مطلقة منه، إن كان حيًا، وإن كان ميتًا، لأنه ارتبط بها بأبناء، ويرى بعضهم أن زواج زوجاتهم بعد وفاتهم نوع من الخيانة والغدر لهم ولأبنائهم، كان ذلك في الجاهلية، واستمر بعد الإسلام على الرغم من أنه ليس من أصول الدين.

قال ابن المعتز - الخليفة العباسي الشاعر (ت ٢٩٦هـ/٩٠٩م) في قصيدة له عنوانها: «بحياتي يا حياتي»:

لا تخونيني إذا متُّ
تُ وقد ماتت نُعاتي

www.ahlaltareekh.com

إنّمـــا الوافي بعـــهـــدي
من وفى بَعْـــدَ مماتي(١٩)

وهذا غسان بن جهضم(٢٠) كان متزوجاً من ابنة عم له تعرف بأم عقبة بنت عمرو بن الأبجر اليشكرية، وكانت امرأة فاضلة وجميلة، فلما مرض خشي أن يموت فتتزوج بعده، فأراد أن يعرف ماذا ستفعل بعد وفاته، وهل ستترك أبناءه وعلى رأسهم ابنه عقبة الذي لقب به، فقال لها:

أخْـــبِـــريني الذي تُريدينَ بَعْـــدِي
والذي تَصنْعينَ يا أمَّ عُـقْـبَـهْ
تَحْـفَظيني من بَعْـدِ مَـوتي لِمَـا قَـدْ
كان منّي من حُسْنِ خُلْقٍ وصُحْبَهْ
أم تُريدينَ ذا جَـــمـــالٍ ومُلْكٍ
وأنا في التُّراب في سَحْقِ غُرْبَهْ

فأجابته:

قَـد سَـمِـعْتَ الذي تقـولُ ومـا قَـد
خِفْتَ منه غسانُ من أمْرِ عُقْبَه
أنا من أحْـــفَظِ النســـاءِ وأرعـــا
هُ لِمَا قد أوْليتَ من حُسْنِ صُحْبَهْ
سـوف أبكيكَ مـا حَـيـيتُ بشَـجْـوٍ
ومَـــراثٍ أقـولُـهـا وبِنَدبَـهْ

فلما سمع ذلك سره الأمر، فأنشأ يقول:

أنـــا والـــلـــهِ واثـــقٌ بِـــكِ لـــكـــنْ
نَ احتياطًا أخافُ غَدْرَ النساءِ
بعـد مـوت الأزواج يا خـيـر من عـو
شِرَ فارْعَيْ حَقّي بحُسْنِ الوفاءِ
إنني قـد رَجَـوْتُ أن تحـفظي العَـهْـ
دَ فكوني إن متُّ عند الرجاءِ(٢١)

كما ظهر ذلك جليًا من الوصية التي أوصى أحد الشعراء ابنه المسمى غياثًا بأن يمنع أمه من الزواج إذا توفي، وإلا فليضرب عنقها. وذلك لأنه كان يرى أن زوجته اعتادت الاهتمام بزينتها وخضاب شعرها، فقد كانت تخضبه بالحناء والزعفران، فيبدو شعرها أشقر اللون، وكان زوجها يرى ذلك، فيقع في نفسه أنها ستتزوج بعده إذا توفي، وتدع أبناءه، وتهجر ذكره، فقال لابنه:



البنت أجمل ما في البيت لدى بعض العرب

غـيـــاثُ إن مِتُّ وعِـشتَ بعـدي
وأشْـرَقَت أمُك للتـصــدي
وارتَقَنَتْ بالزعـــفـــران الوردي
فـاضـربْ فـداكَ والدي وَجَدّي
بَيْنَ الرّعـــاثِ ومَناطِ العِـــقْـــدِ
ضَـرْبَةَ لاوانٍ ولا ابن عَـبْـد

غيرة من الأبناء

ولا يكتفي الرجل بأن يمنع زوجته من الزواج بعده، بل إنه كان يريدها أن تكون خالصة له في حياته، وكان يغار عليها حتى من أبنائه منها. فإذا رآها وقد شعرت بمكانة أبنائها، وحلتهم محله، غضب. وقد حدث مثل ذلك للشاعر سُلْمِيّ بن ربيعة(٢٢) مع زوجته تُماضر التي افتخرت بأبنائها وشعرت بمكانتهم، فبدا على زوجها الانزعاج، وبدأ يظهر محاسنه ومكانته، فقال:

زَعَـمَت تُمـاضِـرُ أنني إمَّـا أمُتْ
يَسْدُدْ أبَيْنُوها الأصاغِرُ خَلّتي
تَرِبَتْ يداكِ، وهل رأيْتِ لِقَـوْمِـــهِ
مِثْلي على يُسْري وحين تَعِلّتي

www.ahlaltareekh.com

رجلاً إذا ما النائبات غشينَهُ
ألفى لِمُعْضِلَةٍ وإن هي جَلَّتِ
وإذا العذارى بالدُّخان تَقَنَّعَتْ
واستَعْجَلَتْ هَزْمَ القُدور فملَّت
دارَتْ بأرزاقِ العُفاةِ مغالِقٌ
بيدَيَّ من قمْع العِشَار الجِلَّةِ(٢٣)

الزواج من الأباعد

غلب على العرب الزواج من المرأة الغريبة، ويرون أن الولد من القريبة يجيء ضاوياً نحيفاً، وفي أمثالهم: «النزائع لا القرائب»(٢٤). كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اغتربوا لا تضووا». أي انكحوا في الغرائب. قال أحدهم يصف ابن الغريبة وأنه يكون صاحب الشأن:

هو ابن غريباتِ النساءِ وإنّما
ذوو الشأن أبناءُ النساء الغرائب(٢٥)

على أن بعض العرب آثروا الزواج من بنات العم؛ لأنهم رأوا أن بنات العم أصبر على ريب الزمان ونبوة الخلق.

تسمية المولود

ويبدأ الاهتمام برعاية الأطفال منذ أن يكون جنيناً في بطن أمه، وحين تضع الأم مولودها يبدأ الاهتمام بتسمية المولود، ويشترك في ذلك الأبوان، وقد يشاركهما أفراد الأسرة، فإن كان المولود ذكراً تخير له من الأسماء كل صلب شديد، فمن أسمائهم صخر، وحرب، وحنظلة، وعلقمة، وأسد، وذئب وأشباهها. وذلك تفاؤلاً بأنهم سيكونون أشداء أقوياء على الأعداء، يشدون أزر الأسرة، ويحمون ذمارها، ويبدون أن عادة تسمية الأبناء التي كانت في الجاهلية، لم تعد عامة بعد الإسلام(٢٦).

وتعمل الأم على ألا يصدع سمع ابنها شيء من دنيء الألفاظ، بل تردد له في أثناء إرضاعه، وأثناء مناغاته ألفاظ الشرف والسؤدد، وتلقنه آيات المجد والكرم، وكذلك فإنها توصي المرضعات إذا أرسلته للرضاع في البادية بذلك(٢٧).

اهتمام بالأبناء

ولاهتمام الأم العربية بأبنائها وتربيتهم وصحتهم النفسية، فإنها ترفض الزواج إذا نكبت بوفاة زوجها، حتى وإن كانت في عسرة. فأم إثال آمت، وكانت من أجمل نساء اليمامة، فخطبها أشرافها، إلا أنها ردتهم قائلة: إنها لا تؤثر أحداً على ابنها، ولا ترضى زواجاً قد يشغلها عنه، وإن كانت في شظف من العيش، وإنها ستحافظ على كرامة ابنها بين الناس، لأن زواجها يطامن من عزته، ويحزنه، ويؤذيه، وأنشدت تقول:

لعمري إثالٌ لا أفدّي بعينِهِ
وإنْ كان في بعضِ المعاش جفاءُ
إذا استجمَعَتْ أمُّ الفتى غضَّ طرفَهُ
وشاعَرَه دون الدِّثارِ بلاءُ(٢٨)

كان العرب يخافون على بناتهم، ويغارون عليهن من كل شيء من الضرّ (الضّرة)، ومن الزواج من رجل لا حسب له، مما قد يصيبهن من الأذى إذا حدث لوالدهن مكروه، وخير ما يعبر عن خوف الآباء على بناتهم وحبهم لهن، ما قاله حطّان من المُعَلّى (شاعر إسلامي) الذي كان يخاف على نفسه من

كان المقياس الذي يعتمده العرب في حسن نسب الزوجة إخوتها، فإذا كان أخو الأم (الخال) سيداً، شجاعاً، جواداً، فصيحاً، كان الأمل قوياً في أن ينزع إليه ابن أخته، فالولد لابد أن يشبه خاله في شكله وخلقه

الموت خوفاً على بناته، كما كان يخشى أن يضرب في الأرض فيحدث شيء ما لهنّ، فقال:

لولا بنياتٌ كزُغْبِ القطا
رُدِدْنَ من بعضٍ إلى بعضِ
لكانَ لي مضطربٌ واسِعٌ
في الأرضِ ذاتِ الطُّولِ والعَرْضِ
وإنّما أولادُنا بيننا
أكبادُنا تمشي على الأرضِ
لو هَبَّتْ الرِّيحُ على بَعْضِهم
لامْتَنَعَت عَيْني مِنَ الغَمْضِ(٢٩)

وخاف إسحاق بن خلف البهراني (ت نحو ٢٣٠هـ/٨٤٥م) على ابنته أميمة من أن تهان إذا حدث له حادثٌ الموت لحبه الشديد لها، وخشي أن تتعرض للإهانة بعده، وقد وضح ذلك في شعره قائلاً:

www.ahlaltareekh.com

لولا أميمةُ لم أجزعْ من العَدَمِ
ولم أجُبْ في الليالي حِنْدِسَ الظُّلَمِ
وزادني رغبةً في العَيْشِ مَعْرِفَتي
ذُلَّ اليتيمةِ يَجْفُوها ذوو الرَّحِمِ
أحاذِرُ الفَقْرَ يوماً أن يُلِمَّ بها
فيَهْتِكَ السِّتْرَ عن لَحْمٍ على وَضَمِ
أخشى فظاظةَ عمٍ أو جَفاءَ أخٍ
وكُنْتُ أبكي عليها من أذى الكَلِمِ
تَهْوى حَياتي وأهوى مَوْتَها شَفَقًا
والموتُ أكْرَمُ نزّالٍ على الحُرَمِ(٣٠)

الأبناء عماد الأسرة ومصدر قوتها ومكانتها

وماتت أميمة التي كان يخاف عليها أبوها من الأذى، ويخشى عليها من الذل من بعده، فأبدى حسرته على موتها وتألمه لذلك، ولكنه أبدى في الوقت نفسه ارتياحه لهذا الحادث، لأن ما كان يخشاه عليها، لم يعد ليصلها، فقال:

يا شِقَّةَ النَّفْسِ إن النفسَ والِهَةٌ
حرَى عَلَيْكِ وَدَمْعُ العَيْنِ مُنْسَجِمُ
قد كُنْتُ أخْشى عَلَيْها أنْ يُؤَخِّرَها
عَنِّي الحِمامُ فيُبْدِي وَجْهَها العَدَمُ
فالآن نِمْتُ فلا هَمٌّ يُؤَرِّقُني
بَعْدَ الهدوءِ ولا وَجْدٌ ولا حُلُمُ
للموتِ عندي أيادٍ لَسْتُ أُنْكِرُها
أحيا سُرورًا وبي مما أتى ألَمُ(٣١)

وكما كان إسحاق بن خلف يحب ابنته أميمة، ويخاف عليها إذا مات قبلها، فقد كان أبو خالد القناني يزداد تعلقًا بالحياة من أجل بناته، خوفًا عليهن من البؤس والعري بعده فقال:

لَقَدْ زادَ الحياةَ إليَّ حُبًّا
بَنَاتي، إنَّهُنَّ من الضِّعافِ
أحاذِرُ أن يَرَيْنَ البُؤْسَ بعدي
وأن يَشْرَبْنَ رَنْقًا بعد صافِ
وأن يَعْرَيْنَ إن كُسِيَ الجواري
فتنبو العَيْنُ عن كَرَمٍ عِجافِ(٣٢)

وكان بعض الآباء من العرب يجدون البنت أجمل ما في البيت، وكثيراً ما أثَّر الذين يحبون البنات في مَنْ يكرهونهن، يتضح ذلك من الحديث الذي جرى بين عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان حين رآه عمرو ومعه ابنة له اسمها عائشة، فقال له: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال معاوية: هذه تفاحة البيت، فقال عمرو: «انبذها عنك، فإنهن يلدن الأعداء، ويقربن البعداء، ويورثن الضغائن» قال: «لا تقل كذا يا عمرو، فو الله ما مرّض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأحزان إلا هنّ». فقال عمرو: ما أراك إلا حببتهن إليّ(٣٣).

وأد البنات

ولحب العرب لبناتهن، وغيرتهم عليهن، فإنهم كانوا يأنفون من تزويجهنّ إلى الأعاجم، وليست معركة ذي قار التي وقعت بين العرب والفرس إلا بسبب ذلك(٣٤).

وكان للخوف على البنات ومحبتهن أثر بعيد الغور في بعض الأفراد، وبعض القبائل، فقد دفع الخوف عليهن إلى عادة من أقبح العادات، ألا وهي وأد البنات - وإن كان هناك وأد للأبناء، ولكن بشكل أقل - وكان من أهم أسباب الوأد إلى جانب الفقر الذي ذكر صراحة في القرآن الكريم، الخوف عليهن من السبي حيث تنتهك الحرمات، أو أن يتزوجن بغير أكفاء(٣٥)، أو أن يتصرفن تصرفًا لا يرضي أهاليهن.

وقد صرح بذلك قيس بن عاصم لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل عليه يحدثه، فقال له: «كنت أخاف سوء الأحدوثة والفضيحة في البنات، فما ولدت لي بنت قط إلا وأدتها، وما رحمت منهن موؤودة قط»(٣٦).

www.ahlaltareekh.com

ويعدو سبب وأد قيس بن عاصم (ت نحو ٢٠هـ/٦٤٠م) لبناته وهو سيد أهل الوبر كما وصفه رسول الله صلى عليه وسلم، إلى أن المشمرج اليشكري أغار على بني سعد، فسبى منهم نساء، واستاق أموالاً. وكان في النساء ابنة أخت قيس بن عاصم التي اصطفاها المشمرج لنفسه وتزوجها. ولما جاء قيس ابن عاصم لأخذ السبي ودفع ما يترتب عليه، اختارت ابنة أخته البقاء عند المشمرج على العود معه، فأغضبه ذلك، وأخذ بوأد كل بنت تولد له(٣٧).

وإذا كان القرآن الكريم قد نص على سبب واحد للوأد وهو الفقر، فإن الخوف من العار وغيره من الأسباب التي لم ينص القرآن عليها صراحة، لأن قيس بن عاصم والمهلهل بن ربيعة كانا يئدان البنات مع غناهما ووفرة مالهما، وكفالتهما للخدم في أثناء الأمر بالوأد. وكان وأد البنات هو الغالب، ولو كان الفقر هو السبب الوحيد لكان يتوجب وأد البنات والبنين؛ لأنهم جميعاً يحتاجون إلى الطعام، إضافة إلى أن البنات كن يقمن بأعمال البيت، وأعمال كثيرة خارجه، حتى إنه يمكن القول: إنهن كنَّ يعملن أكثر من الرجال(٣٨).

وقد وردت في القرآن الكريم آيات لم يذكر فيها سبب الوأد، ومن المحتمل أن سوء الأحدوثة، والخوف من العار والفضيحة، وأسر البنات في الحروب، وما يمكن أن يسببه ذلك من عار، كانت من أسباب الوأد الأخرى.

قال الله تعالى: *وإذا الموؤدة سُئلت بأيِّ ذنب قُتلت*. **التكوير**: ٨ و ٩. دون ذكر الفقر، كما قال تعالى: *وإذا بُشِّر أحدُهم بالأنثى ظلّ وجهُهُ مسوداً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوءِ ما بُشِّر به، أيُمسكُهُ على هُونٍ أم يَدُسُّهُ في التراب*.... **النحل** ٥٨، ٥٩.

كما أن من عادة بعض العرب في وأد البنات أن توأد البنت حتى تبلغ من العمر ست سنوات أو أكثر، ولو كان الفقر وحده هو السبب للوأد، لما انتظر الأب، وأنفق عليها مدة ثم وأدها، بعد أن تصبح مؤنتها أقل، والتعلق بها أقوى (٣٩) قال أحد

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ج٣، ص٤٢٢.
٢. الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس المكي (ت ٢٧٩هـ): أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، مكة، مكتبة النهضة الحديثة (١٤٠٧هـ)، ج٣، ص١٠٤.
٣. ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٦٣هـ)، العمدة، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت ـ دار الجيل، ط١ (١٩٩٦م) ج١، ص٣٧.
٤. ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ): العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، بيروت ـ دار الفكر (د.ت) ج٤، ص٦٣.
٥. ابن حبيب، أبو جعفر محمد البغدادي (ت ٢٤٥هـ): المحبّر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، بيروت، دار الآفاق؛ ص. ص ٤٥٥ ـ ٤٦٣.
٦. ماوية بنت معاوية بنت زيد الدارمية، إحدى المنجبات من النساء في الجاهلية. وهي أم: لقيط وحاجب وعلقمة بني زرارة بن عدس.. الأعلام للزركلي.
٧. هي ابنة عامر بن عمرو وزوج مالك بن جعفر، وأبناؤها: ملاعب الأسنة، وطفيل الخيل، وربيع المقترين، ونزال المضيف، ومعوّد الحكماء. انظر عنها عفيفي، عبدالله: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، القاهرة، شركة فن الطباعة، ج١، ص٦٩.
٨. هي بنت هلال السلمية، زوج عبد مناف بن قصي. أنجبت له هاشماً وعبد شمس والمطلب. انظر عنها: عفيفي: المرجع السابق، ص٦٩.
٩. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، دهوك، ط٢ (١٤٠٤هـ) ج١٠، ص٢٨٦.
١٠. الحوفي، أحمد بن محمد: الحياة العربية في الشعر الجاهلي، بيروت، دار القلم (١٩٧٢م)، ص ٨١.
١١. الحوفي: المرجع السابق، ص ١٣١.
١٢. المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ): أشعار النساء، تحقيق: سامي مكي العاني وهلال ناجي، بغداد، دار الرسالة للطباعة (١٩٧٦م) ص. ص ١٧١ ـ ١٧٢.
١٣. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨هـ): مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت ـ دار الجيل (د. ت)، ج٢، ص ٢١٨.
١٤ الحوفي: المرجع السابق، ص ١٥٠.
١٥. الألوسي، محمود شكري: عادات العرب في جاهليتهم، مختصر من كتاب بلوغ الأرب، القاهرة، المطبعة الرحمانية (١٩٢٤م)، ج٢، ص٢١.
١٦. الهندي، علاء الدين علي المتقي (ت ٩٧٥هـ): كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حيدر آباد، دائرة المعارف (١٣١٣هـ)، ج٨، ص ٢٨٨.
١٧. كانت هند بنت عتبة متزوجة قبل أبي سفيان من الفاكه بن المغيرة المخزومي.
١٨. القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ): الأمالي (د. م. ط. ت) ج٢، ص. ص ١٠٤ ـ ١٠٥.
١٩. ابن المعتز، عبدالله بن محمد (ت ٢٩٦هـ): ديوان ابن المعتز، بيروت ـ دار بيروت للطباعة والنشر (د.ت)، ص١١٠.

٢٠. لم أجد تاريخ وفاته في المصادر التي عدت إليها.
٢١. المرزباني: المصدر السابق، ص.ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣.
٢٢. شاعر جاهلي وفاته غير معروفة.
٢٣. القالي: الأمالي، ج١، ص٨١.
٢٤. ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج٧، ص١١٠.
٢٥. الميداني: المصدر السابق، ج١، ص٢٧٠.
٢٦. عفيفي: المرأة العربية، ص٧١، نقلاً عن خزانة الأدب، ج٣، ص٥٢٢.

www.ahlaltareekh.com

الرجاز يوضح أن وأد البنات خوفًا عليهن من العار:

سَــمَّــيْــتُــهــا إذْ وُلِدَت تموتُ
والقَـبْرُ صِـهْـرٌ ضـامِنٌ زِمِّـيتُ(٤٠).

والخوف من العار من البواعث القوية على وأد البنات؛ لأن الحروب والغارات كانت لا تخبو نارها، وكان السبي من آثارها، والعرب غُيُرٌ على النساء، والسبي معرّة في نظرهم(٤١).

وهكذا يتضح لنا أن الأسرة عند العرب - سواء أكان ذلك في الجاهلية أم في الإسلام - هي عماد المجتمع، وأن الأسرة التي تتألف من الوالدين والأبناء كانت تبنى على السكن والمودة، وإن كان في الجاهلية بعض الأخطاء التي حرّمها الإسلام أو هذّبها.

ويعد اختيار الزوجة من أهم ما يتبنّاه العربي، وأول شروطه في الزواج في الجاهلية، مكانة أسرتها وحسبها ونسبها - وإن كان هذا قد بقي بعد الإسلام، ولكن الدين تقدم عليه - ومقياس الحسب عندهم مكانة أخي الزوجة، وذلك لأثر الوراثة في أبناء الأخت. فالولد في رأيهم لابد أن يشبه خاله. واختيار الأب لزوجته مفخرة يفتخر بها على أبنائه، وذلك لأنه اختار لهم من لا يُسبّون بها.

والرجل يحب زوجته ويعزها ويعطيها الكثير من الصلاحيات، ولكنه يغار عليها في الوقت نفسه، ويرى أنها يجب أن تكون له حياً وميتاً، ولا يرضى أن تستبدل غيره به مهما كانت الأسباب.

والأبناء في الأسرة العربية لهم مكانة مهمة، فهم زهرة الحياة وزينة الحياة الدنيا، واستمرار الأسرة؛ ولذلك فإن الاهتمام بهم كبير، يبدأ من فترة الحمل، ثم في اختيار الاسم، وفي التربية السليمة وقوة الأبدان. والعرب يفضلون الذكور على الإناث ولهم في تفضيلهم أسباب، منها الخوف على البنت من العار، خصوصاً وأن الحروب بينهم لم تكن لتنتهي إلا لتبدأ من جديد، وهم يخشون سبي البنت وما يسببه من عار، إضافة إلى أنهم يخشون زواجها من غير الكفء.

٢٧ـ القالي: الأمالي، ج٢، ص١١٧، فقد كانت ضباعة بنت عامر بن قرظ تغني لابنها المغيرة بن سلمة وهي ترقصه ذاكرة سيادة آبائها وكرمهم وعزهم، وتأمل أن يكون ابنها مثلهم، فتقول:

نما به إلى الذرى هشامُ
قرم وآباء له كرام
جحاجح خضارم عظام
من آل مخزوم هم الأعلام
الهامة العلياء والسنام

وكان قيس بن عاصم المنقري يغني لابنه حكيم فيقول:

أشبه أبا أمك أو أشبه حمل
ولا تكونَنَّ كهلّوف وكَل
يبيت في مقعده قد انْجدل
وارق إلى الخيرات زنْأ في الجبل

٢٨ـ الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص١١٩ نقلاً عن بلاغات النساء لابن طيفور، ص١٣٢.

٢٩ـ المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ): شرح ديوان الحماسة، نشر أحمد أمين وعبدالسلام هارون، القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢ (١٩٦٨م)، ج١، ص ٢٨٧؛ الحوفي: المرجع السابق، ص ٢٨٣.

٣٠ـ المرزوقي: المصدر السابق، ج١، ص. ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣؛ القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ): زهر الآداب وثمر الألباب، شرح زكي مبارك، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، دار الجيل، ط٤ (د.ت)، ج٢، ص. ص ٥٢٩ ـ ٥٣٠.

٣١ـ القيرواني: المصدر السابق، ج٢، ص٥٣٠.

٣٢ـ المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج١، ص٢٨٤؛ الحوفي: المرجع السابق، ص٢٩١ نقلاً عن فوات الوفيات لابن شاكر، ج١، ص١٠.

٣٣ـ الثعالبي، عبدالملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ): اللطائف والطرائف، القاهرة، المطبعة الوهبية (١٢٩٦هـ)، ص ٦٨.

٣٤ـ الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط٢ (١٩٦٤م) ص.ص ١٩٣ ـ ٢١٢؛ ابن الأثير، علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ودار صادر (١٩٦٥م) ج١، ص.ص ٤٨٢ ـ ٤٩١.

٣٥ـ الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ): الأغاني، بيروت، دار الفكر (د. ت)، ج١٤، ص٦٩؛ ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان، الغيور والصبور (د.م. ط.ت) ص ٤٧؛ الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص. ص ٢٩٤ـ ٢٩٥.

٣٦ـ الأصبهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص٦٩.

٣٧ـ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، بغداد، مكتبة النهضة (د.ت)، ج٥، ص.ص ٩٠ ـ ٩١، ابن تنباك: المرجع السابق، ص.ص ٤٨ ـ ٤٩.

٣٨ـ ابن تنباك: المرجع السابق، ص٤٧.

٣٩ـ جواد علي: المرجع السابق، ج٥، ص٩٧؛ ابن تنباك: المرجع السابق، ص ٤٩؛ الحوفي: المرجع السابق، ص٢٩٨.

٤٠ـ جواد علي: المرجع السابق، ج٥، ص٩٠، نقلاً عن ابن عبدالبر، القرطبي، الجامع، ج١٩، ص٢٢٣؛ والطبرسي: مجمع البيان، ج١٠، ص٤٤٤. والزميت: الوقور.

٤١ـ الحوفي: المرجع السابق، ص ٢٩٦.

www.ahlaltareekh.com

بين الاستشراق والاستغراب أيهما أولى؟

مازن مطبقاني
المدينة المنورة - السعودية

هل ثمة مواجهة حقيقية بين من يدعو إلى الاهتمام بالاستشراق ولا يرى العناية بالاستغراب أو من يدعو إلى الاهتمام بالاستغراب ويقدمه على الاهتمام بالاستشراق؟ ربما كانت هذه المواجهة ضرباً من الخيال، أما الحقيقة فكلا الأمرين مطلوب، ولكن لا بد لمن يخوض في مجال أن يكون لديه القدرة والكفاءة والأدوات اللازمة وإلاّ كان جهده نوعاً من العبث.

سأبدأ بالحديث عن الاستغراب بتعريفه بأنه العلم (هو غير موجود حالياً) الذي يسعى إلى معرفة الغرب - بشقيه الأوربي والأمريكي - من النواحي العقيدية والتاريخية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية من أجل الإفادة من معطيات الحضارة الغربية المعاصرة في مجالاتها المختلفة. وبخاصة أننا بحاجة إلى هذه المعرفة والعلم لنبني عليها خططنا في الدعوة إلى الله على بصيرة، وقد عرف المسلمون الأوائل الأمم والشعوب الأخرى، ودرسوها دراسة واعية، وأفادوا مما لديها من علم وطرائق معاش. وكذلك عندما احتاج المسلمون أن يضبطوا أمر الخراج والإيرادات والأعطيات أخذوا من الفرس الديوان، ثم أبدعوا الدواوين حسب حاجتهم.

لماذا الاستغراب؟

نعم نريد أن نستغرب فكثير من الأمور سبقنا إليها الغرب اليوم، فهم قد سبقونا في الصناعة والزراعة وفي التجارة وغيرها من المجالات الدنيوية، كما سبقونا في العمل المؤسسي الذي تغلب فيه الغرب على الفردية والاستبداد. ونحن إن تعلمنا من الغرب فإنما نسعى لتكون هذه الأمة في مصاف الأمم الكبرى القوية في عقيدتها وفي واقعها في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية. أليس من الواجب علينا أن نتعلمها لنقوى. أين نحن من قوله تعالى: *وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم؟* **الأنفال:** ٦٠. فكيف نعد هذه القوة إن لم نتعلم الفيزياء والكيمياء والرياضيات، ونتعلم فنون الحرب والقتال وصناعة السلاح وأن نمتلك آخر ما توصل إليه البشر من أدوات القوة؟. ورحم الله الشيخ العلامة عبدالحميد بن باديس حينما تحدث عن تفسير قوله تعالى: *أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون* **الشعراء:**١٢٨، ١٢٩. فأكد أن المصانع المذكورة في الآية هي المصانع المعروفة اليوم بصناعة الأدوات والآلات وغيرها، وليست كما ذكر المفسرون القدامى.

أن نستغرب ليس المقصود به أن نفقد شخصيتنا وهويتنا وذاتيتنا ونذوب في الآخر (الغرب)، كما أُطلق على دعوات طه حسين ومن على شاكلته، مثل لطفي السيد، وقاسم أمين، وغيرهم في العصر الحاضر، مثل

www.ahlaltareekh.com

طائفة العلمانيين أو الليبراليين الذين ولوا وجوههم شطر الغرب إما لجهلهم بالإسلام عقيدة وشريعة ونظاماً في الاقتصاد والسياسة والاجتماع، وإما لأنهم عرفوا الإسلام، ولكن إعجابهم وانبهارهم بالغرب أفقدهم تلك المعرفة.

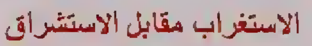
إن الاستغراب أن نعرف الأمم الغربية (أوربا الشرقية والغربية) والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبقية دول القارتين الأمريكيتين. أن نعرف هذه الشعوب معرفة دقيقة بأن ندرس قضاياها السياسية والاقتصادية والثقافية والأخلاقية والاجتماعية. ولن تتحقق هذه المعرفة دون أن نبدأ بإنشاء أقسام وكليات للدراسات الأوربية والأمريكية.



طه حسين

وهذه الأقسام ندرس فيها اللغات والآداب، ثم ينطلق بعض الطلاب فيدرسون علم الاجتماع، ويطبقونه على المجتمعات الغربية، فمثلاً يتخصص بعض الباحثين في قضايا الأسرة الغربية، ويتخصص بعضهم الآخر في قضايا الشباب (عقد المعهد السويدي في الإسكندرية - فبراير ٢٠٠٣م - مؤتمراً حول الشباب العربي المسلم) فمن قضايا الشباب في الغرب ما يطلق عليه جرائم الأحداث التي أوصلتهم في أمريكا وبريطانيا إلى حظر التجول على الشباب دون العشرين في ساعات معينة من الليل والنهار. ويختار بعض الباحثين دراسة التربية الغربية وينظر في مشكلاتها، ولكن على الذين يتخصصون في المجالات هذه أن يتلقوا تعليماً إسلامياً متميزاً حتى يكون لديهم الميزان والمعيار اللذان يطبقونهما على ما يشاهدون في الواقع، فكم من شباب عربي مسلم درس في الغرب وعاد إلينا ليطبق على أبنائنا التربية الغربية، ونسي أن التربية في الأمة هي شخصيتها، ونسي أن لنا تراثاً ضخماً في هذا المجال، ومن ذلك حديث: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم»، أخذ منها الفقهاء بعض آداب طالب العلم - كالجثو على الركب، وآداب السؤال، وغيرها من الأمور.

وننطلق في دراسة الأمم والشعوب الأخرى لأننا أمة الشهادة، وكيف يمكننا أن نشهد على الأمم الأخرى ونحن لا نعرفها؟ ولا ينبغي أن نكتفي بالمعرفة النظرية (كمن يتعلم السباحة بالقراءة) فلا بد أن ندخل إلى المجتمعات الغربية ونعرفها حق المعرفة، بل لا بد أن نصل إلى المشاركة معهم في دراسة مشكلاتهم الحياتية المختلفة، ويكون لنا رأي في قضاياهم الفكرية والفلسفية، ونعرض وجهات نظرنا مدعومة بخلفياتنا الشرعية المبنية على الكتاب والسنة. وقد شاهدت في القناة التلفازية الخاصة ببث مناقشات مجلس الكونجرس الأمريكي، فكانت إحدى حلقات النقاش حول قيم الأسرة في الأديان المختلفة، ولم أجد من يمثل الإسلام في هذا النقاش، ولو أننا فطنا إلى هذا الأمر لأطلعناهم على قيم لا بد أن يجدوا فيها الحلول لكثير من معاناتهم، وكذلك الأمر في القضايا الاقتصادية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية.



الاستغراب مقابل الاستشراق

ولا بد ونحن نتحدث عن هذه القضية أن نشير إلى الدكتور السيد محمد الشاهد الذي كان يدرس في قسم الثقافة الإسلامية، وقدّم اقتراحاً مفصلاً لكلية الشريعة قبل سنوات لإنشاء كلية للدراسات الأوربية والأمريكية، ونشر هذا الاقتراح في أحد أعداد «مرآة الجامعة»، كما نشره في جريدة «المسلمون» حيث كتب يقول: «إن أفضل وسيلة لتحقيق ذلك في رأيي هو إنشاء قسم علمي

www.ahlaltareekh.com

بجامعاتنا يعني بالعلوم الغربية في شتى المجالات، وبخاصة الاجتماعية والعصرية، وأقترح تسميته الاستغراب في مقابل الاستشراق (المسلمون، عدد ٢٧٠٤، ١١ـ١٧ رمضان ١٤١٠هـ) وكنت قد تساءلت في كتابي «الغرب في مواجهة الإسلام» الذي صدر سنة ١٤٠٩هـ قائلاً: «انظر كيف يدرسوننا، وكم يبذلون من الجهد والأموال لمعرفة ما يدور في بلادنا، وهل نحن ندرسهم بالمقابل؟» ولكن شأن أفكار الشاهد وأمثاله أن ترفض في البداية حتى يأتي إلى الجامعات العربية والإسلامية مسؤول أو مسؤولون ممن يتمتع ببعد النظر وسعة الأفق والإدراك الصحيح فيحقق هذه الاقتراحات، وقد علمت من رئيس جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان أنهم بصدد إنشاء كلية الدراسات الأوربية والأمريكية (ورئيس الجامعة كان أول رئيس لقسم الاستشراق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة) وسيكون لي الشرف أن أشارك معهم بإذن الله بوضع تصورات ومناهج هذه الكلية قريباً.

ومع أننا ندرس الغرب فيما أُطلق عليه الدكتور حسن حنفي «الاستغراب» في كتابه القيّم «مدخل إلى علم الاستغراب» لا بد أن نشير إلى أن أهمية دراسة الغرب في أنها تحولنا إلى ذات دارسة بعد أن كنّا ومازلنا موضع الدرس للآخرين (الأوربيين والأمريكيين، ودخل الآن الساحة لدراستنا اليابانيون والصينيون وغيرهم) فالتحول إلى ذات دارسة يعيننا على التغلب على مركب النقص الذي وضعنا فيه بجعلنا موضع الدراسة للآخرين، ويقضي على مركب الاستعلاء لدى الغرب بجعلنا موضعاً لدراساته وبحوثه، كما يعيد لنا بعض الثقة بالنفس وأخذ زمام المبادرة بالعودة إلى تسلم مسؤولية الشهادة على الأمم. ولله در الشيخ أحمد ديدات حينما التقيته قبل أكثر من خمس عشرة سنة في المدينة المنورة وقال لي: «لعلكم في هذا القسم تلجؤون إلى الدفاع التبريري، فتقولون: الاستشراق يتهم الإسلام بكذا وكذا، والإسلام بريء من ذلك، أو أن الإسلام يدعو إلى كذا، وليس كذا، الأولى أن تعرفوا الغرب من الداخل فتحدث المستشرق عمّا تعانيه المجتمعات الغربية من أزمات طاحنة مثل عدد المدمنين على المخدرات في نيويورك مثلاً،

أن نستغرب ليس المقصود به أن نفقد شخصيتنا وهويتنا وذاتيتنا ونذوب في الآخر (الغرب)، وإنما المقصود أن نعرف الأمم الغربية معرفة دقيقة بأن ندرس قضاياها السياسية والاقتصادية والثقافية والأخلاقية والاجتماعية

www.ahlaltareekh.com

وعدد المدمنين على الكحول، وارتفاع نسبة الطلاق ونسبة الجرائم من قتل واغتصاب وغير ذلك، ثم تواجه هذا الغربي بأن تقول له: الإسلام يحل لكم مشكلاتكم لو التفتم إليه حقيقة».

وأختم الحديث عن الاستغراب بالقول: يمكننا أن نسعى إلى الحصول على المنح الدراسية لعدد من أبنائنا النجباء المخلصين المتمسكين بدينهم وعقيدتهم للدراسة في الغرب، كما يمكن تشجيع بعض الدول العربية على إنشاء كراس للدراسات الغربية في جامعاتنا، كما فعلنا في إنشاء كراس للدراسات العربية والإسلامية في الغرب.

وأعود إلى أهمية دراسة الاستشراق لأختم بها حديثي، فقد سبقت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية جامعات العالم الإسلامي بخمسين سنة على الأقل بإنشائها هذا القسم العظيم الذي يدرس كتابات المستشرقين، ومن خلالها يدرس معتقدات الغرب واتجاهاته الفكرية والثقافية، وأوضاعه السياسية والاقتصادية. هذا القسم الذي يدرس فيه الطالب العربي المسلم جذور الحضارة الغربية كما يدرس أيضاً مظاهر الحضارة الغربية، المعاصرة، ويتدرب على آداب الحوار والمناظرة، ويمكنه من مادة مقارنة الأديان، ومن اللغات المختلفة.


عبدالحميد بن باديس


قاسم أمين

دراسة الغرب مهمة لكونها تحولنا إلى ذات دارسة بعد أن كنّا ومازلنا موضع الدرس للآخرين، والتحول إلى ذات دارسة يعيننا على التغلب على مركب النقص الذي وضعنا فيه بجعلنا موضع الدراسة للآخرين، ويقضي على مركب الاستعلاء لدى الغرب

إن هذا القسم بما أنجزه من رسائل علمية زادت على خمسين رسالة ماجستير، وعشر رسائل دكتوراه، وبما أنتجه بعض أعضائه من كتب ومؤلفات ومقالات، وما شاركوا فيه من محاضرات عامة ومؤتمرات، وما أنشؤوه من مواقع على الإنترنت سدوا ثغرة كبيرة في المجال العلمي، ونافحوا عن هذه الأمة، ولكن كما قيل: «المرء عدو ما يجهل»، فإن الحقيقة أن وجود قسم الاستشراق كقسم علمي أكاديمي تدرس فيه المواد المختلفة قد أدهش الغربيين وأثار انتباههم، بل إن بعضهم صرّح بذهول ودهشة واستغراب «هل حقًا لديكم قسم لدراسة الاستشراق؟» هذا القسم يوشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة. أليس في هذا وأد لأحد نجاحات الجامعة وريادتها على مستوى العالم الإسلامي؟! أليس في هذا إجهاز على تميز الجامعة وسبقها وعمقها وبعد نظرها عندما أنشأت هذا القسم؟! أليس إقفاله حدّ من سعة الأفق تلك التي أدت إلى إنشائه؟! أما من حيث الإمكانات، فإن الجامعة على مدى السنوات العشرين الأخيرة قد أصبح لديها كفاءات وقدرات على القيام ليس بقسم للاستشراق فحسب، بل حتى قيام كلية للدراسات الأوربية والأمريكية.

وأخيراً فهل ينطبق على حال هذا القسم «ولكن قسم الاستشراق لا بواكي له». فنحن بحاجة إلى أهل الغيرة على الإسلام للعمل على إنقاذ هذا القسم الذي كان من المؤمل أن يتحول إلى كلية للدراسات الأوربية والأمريكية، وأن تُعرف له الريادة في العالم الإسلامي.

www.ahlaltareekh.com



تراث العراق في مهب الريح

حسين حسن حسين - حوى النبي علي صالح
قسم التحرير

العراق أرض حضارات عريقة أسهمت في الحضارة الإنسانية بسهم وافر، وتركت هذه الحضارات ثروة ضخمة من الآثار التي تبين وجه الحياه في عصور سحيقة، مما يجعلها ملكًا للإنسانية لا للعراق فحسب.

وما تعرضت له هذه الآثار من نهب وسرقة وتخريب أرّق الضمير الإنساني الحي، ومثّل وصمة عار في جبين إنسان القرن الحادي والعشرين أينما كان.

وإدراكًا من «الفيصل» لخطورة هذا الاعتداء الصارخ على جزء عزيز من تراث الإنسانية، وتوثيقًا لهذا الحدث، وما صاحبه من ردود أفعال على مختلف المستويات والأصعدة كان هذا الرصد الذي يحاول الإحاطة بدقائق الحدث وتداعياته.

لمحة تاريخية

يتفق علماء الآثار والمؤرخون أن بلاد ما بين النهرين عرفت الاستيطان منذ أقدم العصور، ففي العراق قامت أولى المستوطنات الزراعية، وأولى المدن، وفيه اخترعت الكتابة، ووضعت أسس العلوم، والمعارف والقوانين المدونة، وفيه ظهر الاستقرار الحضاري والاجتماعي والاقتصادي قبل غيره من أقطار العالم، وقامت أولى المؤسسات السياسية والعسكرية، وأول برلمان في العالم، وشقت فيه أولى قنوات الري،

www.ahlaltareekh.com



لوح مركب من آجر مزجج بألوان زاهية نقشت عليه صورة أسد وجد في باب عشتار في بابل

واستخدمت أساليب الري المنظم والتعدين، وقد أكد أغلب المستشرقين الغربيين ومنهم العالم الآثاري جورج رو في كتابه «العراق القديم»: «أن حضارة وادي الرافدين لها تأثير على أعظم الحضارات في العالم كالحضارة اليونانية وحضارات الشرق الأدنى القديم».

وعرفت تلك البلاد أربع حضارات إنسانية كبرى هي:

ـ الحضارة السومرية (٣٠٠٠ ـ ٢٤٠٠ ق.م): وهي أقدمها، ويرجع الفضل للسومريين في اختراع الكتابة، وكتبت في عهدهم ملحمة جلجامش التي سبقت إلياذة هوميروس.

وكان الباحث الإنجليزي لايارد قد اكتشف آثار هذه الملحمة في عام ١٨٣٩م، وهي محفورة على ١٢ لوحة من الآجر، وعثر عليها في مكتبة آشور بانيبال في مدينة نينوى.

وأبرزت الاكتشافات الأثرية ما أحرزه السومريون من تقدم في النحت وصناعة المعادن والأختام، كما عرفوا فنون التجارة، وجابوا شواطئ الهند وباكستان وبلاد السند ومصر قبل عام ٣٠٠٠ ق.م.

ـ الحضارة البابلية (٢٤٠٠ ـ ١٢٤٧ ق. م)، ومن أهم آثارها شريعة حمورابي التي عثر عليها في عام ١٩٠٢م، وحفرت مواد هذه الشريعة على مسلة من حجر البازلت، وهي موجودة في متحف اللوفر في باريس.

ولم ينظم حمورابي أمور التجارة أو الزراعة فحسب، بل نظم أمور الزواج والطلاق، وأعطى المرأة كثيراً من حقوقها، وكانت تعمل بالتجارة، وتتلقى العلم جنباً إلى جنب مع الصبية.

ـ الحضارة الآشورية (١٢٤٧ ـ ٦١٢ ق.م): ومركزها نينوى، وكانت لها سيطرتها على مناطق سورية ومصر وآسيا الصغرى وقبرص.

ـ الحضارة الكلدانية (٦١٢ ـ ٥٣٩ ق.م) وسميت الحضارة البابلية الجديدة: لأنها أعادت بناء مدينة بابل التي دمرها الآشوريون.

ومن أعظم ملوكها الملك نبوخذ نصر، ومن آثارها حدائق بابل المعلقة، وهي واحدة من عجائب الدنيا السبع.

وكانت نهاية الإمبراطورية الكلدانية زوال هيمنة الشعوب

www.ahlaltareekh.com

السامية على الحياة السياسية والحضارية ليس في بلاد الرافدين فحسب، بل في جميع بلدان آسيا الغربية طوال ألف سنة تقريباً.

وشهدت تلك الفترة غزوات أجنبية، وتعاقب على حكم بلاد الرافدين الحثيون والفرس الأخميديون والإغريق السلاجقة، والبارثيون، والرومان، والفرس الساسانيون، وكان هؤلاء سبباً في دمار ما بنته الحضارات الأربع الأولى، ولم تنهض بلاد الرافدين إلا بعد الفتح العربي الإسلامي في سنة ١٥هـ (٦٣٦م).

وإذا كان صدر الإسلام في العراق قد شهد تعايش ثلاثة تيارات ثقافية هي: الفارسية والإغريقية والإسلامية، إلا أن العهد العباسي شهد إبداع المسلمين في كل مجالات الفكر والثقافة والعلوم حتى كادت الحضارة الإسلامية تسود قارات آسيا وإفريقية وأوربا، إلى أن كان الغزو التتري في سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٨م الذي عاث في الأرض فساداً.



حسرة على التراث الضائع

نهب المتحف الوطني

وأعاد التاريخ نفسه في هذا العصر، إذ صاحب الحرب الأنجلوأمريكية على العراق تدمير شديد لتراث هذا البلد، فلم تسلم متاحفه ومكتباته من يد التخريب التي طالت كل شيء فيه. وتحول «المتحف الوطني العراقي»، الذي يعدّ أكبر متحف في الشرق إلى مرتع خصب للصوص، ففي الوقت الذي كانت فيه الجماهير مشغولة بتحطيم تمثال صدام حسين، كان هناك من انهمك في نهب تمثال حمورابي صاحب التشريعات والقوانين المعروفة وتحطيمه، وتمثال كوديا أول مهندس معماري معروف حتى الآن، وغيرها من التماثيل والشواهد الحضارية الأخرى التي تنتمي إلى حضارة الرافدين.

وقد نهب اللصوص، الذين يبدو أنهم يعرفون ما يريدون، أكثر من ١٧٠ ألف قطعة أثرية قيمتها مليارات الدولارات، شملت آثاراً لا تقدر بثمن منها: القيثارة الذهبية السومرية من الألف الرابع، وتمثال دودو الوزير الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، وألواح من قوانين حمورابي، وأخرى من أسطورة جلجامش التي تعد أهم مخطوطة مكتوبة لأقدم اللغات المعروفة، ورقم للرياضيات قبل فيثاغورث بألف سنة وخمسمئة عام، وتمثال

www.ahlaltareekh.com

ربة الجمال والخصب الشرقية المصنوعة سنة ٥٨٠٠ قبل الميلاد، وحجر ذهبي من الألف الثالث قبل الميلاد، وعربة بابلية من الألف الثاني قبل الميلاد صنعت في أور.

ويبدو أن هذا الأمر كان مدبراً من قبل، فقد ذكر عبدالرحمن مجير، أحد حراس المتحف، أن أربع دبابات أمريكية تمركزت أمام المتحف عندما سيطرت القوات الأمريكية على بغداد، ولكنها انسحبت في وقت لاحق لتترك هذه الكنوز نهبًا للصوص، وعندما جاءت الدبابات لفترة قصيرة فرّ اللصوص، ولكنها رجعت سريعًا من حيث أتت تاركة الفرصة لهؤلاء النهابين ليكملوا مهمتهم، وقد لامت نائبة مدير المتحف نبيهة الأمين القوات الأمريكية لعدم استجابتها لطلب العاملين في المتحف لحمايته من اللصوص، وقالت: «لو كانت هناك دبابة واحدة فقط وجنديان، لما حدث ذلك».

كذلك رجّح وكيل وزارة المعارف المساعد للمتاحف السعودية الدكتور علي صالح المغنم أن تكون وراء عملية السلب التي تعرض لها المتاحف العراقية جهات ومافيا منظمة، بدليل أن النهب لحق حتى التحف الثمينة التي كانت تحفظ في البنوك.

ومن ناحية أخرى، كشف دوني جورج المدير العام للدراسات والبحوث في الهيئة العامة للآثار والتراث العراقية التابعة للمتحف الوطني في بغداد عن أن الجنود الأمريكيين لم يصلوا إلا بعد أربعة أيام من إبلاغهم طلب حماية المتحف من أعمال النهب والسلب، في الوقت الذي تمركزوا فيه أمام مبنى وزارة البترول العراقية منذ اليوم الأول لسقوط بغداد.



منحوتة آشورية

وكانت منظمة اليونسكو قد سلمت وزارة الدفاع الأمريكية قبل الحرب لائحة بأربعة آلاف موقع أثري هي من ضمن أهم الآثار العراقية، على أمل أن تتجنب القوات المتحالفة ضربها خلال الحرب، ولكن ذلك لم يمنع القوات الأمريكية البريطانية من ضرب بعض هذه المواقع بحجة أن العراقيين يحتمون في هذه المواقع ويخبئون أسلحتهم فيها.

ولم تقتصر أعمال السلب والنهب التي أصابت متحف بغداد

www.ahlaltareekh.com

على السلب والتدمير والنهب لآثاره وتحفه فقط، بل تم أيضاً تدمير قائمة القطع والتحف الأثرية الموجود فيه وإتلافها، وهي ذات أهمية كبرى إذ يتعذر من دونها إجراء أي جرد لموجودات المتحف.

تاريخ المتحف الوطني

يرجع تأسيس المتحف الوطني العراقي إلى عام ١٩٢٣م، وكان غرفة واحدة في مبنى السرايا، أسسته السكرتيرة الشرقية للمندوب السامي البريطاني المس بل، ووضع تصميمه المهندس الألماني دارتل هارخ عام ١٩٣٢م، وبدأ بناء المتحف العراقي في عام ١٩٥٧م، وتم إنجازه في عام ١٩٦٣م، وبدأت المديرية العامة للآثار منذ هذا التاريخ في الانتقال إلى المبنى الجديد الذي تم افتتاحه رسمياً في احتفال حاشد بتاريخ ٩ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٦٦م.

ويشتمل هذا المتحف الذي يضم مجموعة تنافس في حجمها وقيمتها مجموعة المتحف البريطاني على قطع أثرية تلخص تاريخ البشرية في الأعوام العشرة آلاف الماضية، ويقع المتحف في ٢٨ صالة تعرض فيها الآثار وفق ترتيبها الزمني، وقد رتبت المعروضات في خزانات زجاجية تحمل أرقاماً متسلسلة وفق المراحل التاريخية، وثبتت الآثار الكبيرة على الجدران أو فوق قواعد، وتضم هذا القاعات عشرات الآلاف من القطع الأثرية التي تغطي فترات زمنية تشمل العصور الحجرية والسومرية والبابلية والآشورية والإغريقية والفارسية والإسلامية وغيرها.

ومن أهم المعروضات الأثرية بالمتحف: هيكل عظمي لإنسان نياندرتال، والنسخة الجبسية من مسلة حمورابي منقولة عن الأصل الموجود في متحف اللوفر في فرنسا، إضافة إلى مسكوكات ومنسوجات من العصور الإسلامية.

..ومتاحف أخرى

كذلك تعرض متحف الموصل، الذي يعدّ من أقدم متاحف العراق، ويضم آثار مدينة نينوى الآشورية ومدينة



جزء من منصة عرش الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م) وجدت في نمرود

www.ahlaltareekh.com



موناليزا آشورية تعرف بموناليزا نمرود تعود إلى نحو ٧٢٠ ق.م

الحضر العربية للسلب والنهب، وقد فقد المتحف خلال ساعات فقط من اقتحام المدينة بواسطة القوات الأنجلوأمريكية أغلب محتوياته التي منها: تمثال الثور المجنح الآشوري العملاق برأس إنسان، والذي له شبيه في المتحف البريطاني سرقه عالم آثار إنجليزي منذ مئة سنة، وتمثال الملك سنطرون الثاني بالحجم الطبيعي الذي حكم مملكة الحضر العربية، بالإضافة إلى الرقم المسمارية التي لم تقرأ بعد.

وكانت الآثار العراقية قد تعرضت للنهب والسرقة في المتاحف الإقليمية التي يبلغ تعدادها ١٣ متحفًا إبان حرب الخليج الثانية، إلاّ أن متحف بغداد لم يتعرض لتلك المحنة؛ لأن السلطة يومها كانت تحكم قبضتها على المدينة، وكانت السلطات العراقية صارمة في التعامل مع سارقي الآثار حتى إن عقوبتها وصلت إلى الإعدام، وقد أُغلق متحف بغداد بعد الحرب للمحافظة على محتوياته، ولم يُعد فتحه إلا في أبريل/نيسان عام ٢٠٠٠م.

www.ahlaltareekh.com

لصوص الآثار

ولم يقف الأمر عند نهب القطع الأثرية التي يعود تاريخها إلى آلاف السنين، بل شمل حتى التحف الفنية الحديثة، فقد ذكر مسؤولون أمريكيون أنهم وجهوا الاتهام لموظف سابق في تلفاز فوكس للأنباء، ويحققون مع بعض الصحفيين العائدين من تغطية الحرب في العراق بعد أن ضبطوا ١٥ لوحة ومسدسات مطلية بالذهب وأشياء أخرى أخذت من العراق وهرِّبت إلى الولايات المتحدة.

كذلك ضبط مسؤولو الجمارك الأمريكيون لوحات أخذت من قصر أحد ابني صدام حسين، كما ضبطوا أسلحة مطلية بالذهب أخذت من منشأة حكومية عراقية، وصادروا سندات عراقية وسكاكين وأشياء أخرى. وكان غالبية من احتجزوا لتهريب أشياء من العراق مراسلين عائدين من تغطية الحرب. و يعتقد أن المتورطين في سلب القطع المطلية بالذهب هم أفراد من الجيش الأمريكي.

واتهم المستر دومينيك كولوم رئيس قسم الشرق الأدنى في المتحف البريطاني ما يعرف بالجمعية الأمريكية للسياسة الثقافية Accp، ومجموعة من جامعي التحف الفنية، وجماعة من المسؤولين في وزارة الخارجية والدفاع بأنها تتبنى تخطيطاً ظاهره الحفاظ على الآثار العراقية وباطنه تسهيل تسريبها إلى الخارج. وقد نُسب إلى أمين صندوق هذه الجمعية قوله: إن قوانين العراق الخاصة بالآثار صارمة، وإنه يجب تخفيفها والسماح بالتعامل فيها وتصديرها. وقد علق المستر كولوم على ذلك قائلاً: «إن هذه التصريحات تشجع عمليات النهب التي إذا باركتها السلطات الأمريكية فسيكون هناك عيد لتجار السوق السوداء للآثار».



القرآن الكريم بخط ابن البواب

واتهمت صحيفة «نيويورك تايمز» من جانبها تجار الآثار والتحف من خارج العراق، بينهم تجار من دول عربية مجاورة، بسرقة متحف بغداد الوطني بعد سقوط المدينة، وقالت الصحيفة: إن هؤلاء التجار كانوا على مدى السنوات الماضية يتصلون بتجار عراقيين محليين، ويطلبون منهم تحفاً محددة عثر عليها المنقبون، لذا كان هؤلاء اللصوص يعرفون بالضبط عما يبحثون.

وكان المسؤولون العراقيون قد خبؤوا مجموعة من القطع الذهبية وتلك المرصعة بأحجار كريمة، لعلمهم أن اللصوص يجهلون عادة أهمية القطع الأخرى، ولكن ما حدث أن النهب لحق القطع المتبقية، وهي أثمن بكثير من تلك

www.ahlaltareekh.com



تراث إسلامي ضخم في متاحف العراق

التي خبئت، وهذا ما يدل على أن اللصوص كانوا يعلمون تماماً حقيقة ما يقصدون.

وقالت الصحيفة: إن ما حدث مع آثار العراق ليس بجديد، فقد شهدت بلدان كثيرة مثله في التاريخ القديم والحديث، مشيرة إلى الدمار الذي أصاب الآثار القديمة لمدينة البندقية على أيدي أبنائها في القرن السابع عشر عندما حاصرها الجيش العثماني، فما كان من أهلها إلا أن اقتلعوا عشرات الأنصبة والأعمدة الرخامية التي يعود تاريخها إلى عهد الإمبرطورية الرومانية، واستعملوها في بناء المتاريس، ثم جرى تقطيعها ـ بعد إزالة المتاريس ـ واستعملت في ترميم المدينة، وعمليات البناء الأخرى، وحدث الشيء نفسه في البانتيون الذي لم يسلم من أهالي أثينا خلال الحرب الأهلية التي قادت إلى استقلال البلاد في عشرينيات القرن السابع عشر.

لذلك ترى الصحيفة أن وجود الآثار المهمة لدول العالم الثالث في متاحف لندن وباريس ونيويورك ربما يكون أسلم لهذه الآثار من أن تبقى في أوطانها الأصلية التي تتعرض دوماً للتقلبات السياسية، مما يعرض هذا الإرث الإنساني للخطر والدمار.

ذاكرة تحترق!

كان يوم الإثنين الثاني عشر من صفر سنة ١٤٢٤هـ الموافق ١٤ أبريل/نيسان ٢٠٠٣م، الماضي يوماً أسود في تاريخ العاصمة العراقية بغداد، إذ تعرضت ذاكرة العراق المكتوبة في هذا اليوم إلى حريق قضى على الأخضر واليابس أمام أعين القوات الغازية، فقد شب الحريق بفعل فاعل في المكتبة الوطنية والإرشيف الوطني، وهما يحويان ثروة من الوثائق التاريخية لا تقدر بثمن، ثم امتد الحريق بعد ذلك ليلتهم مكتبة علوم القرآن بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، لتتحول محتوياتها من نفائس الكتب إلى رماد وهباء، وهو ما حدث لهذه المدينة في الرابع والعشرين من صفر سنة ٦٥٦هـ، على يد هولاكو التتري الذي جعل مياه نهر دجلة تجري سوداء من حبر الكتب التي ألقيت فيه، مثل

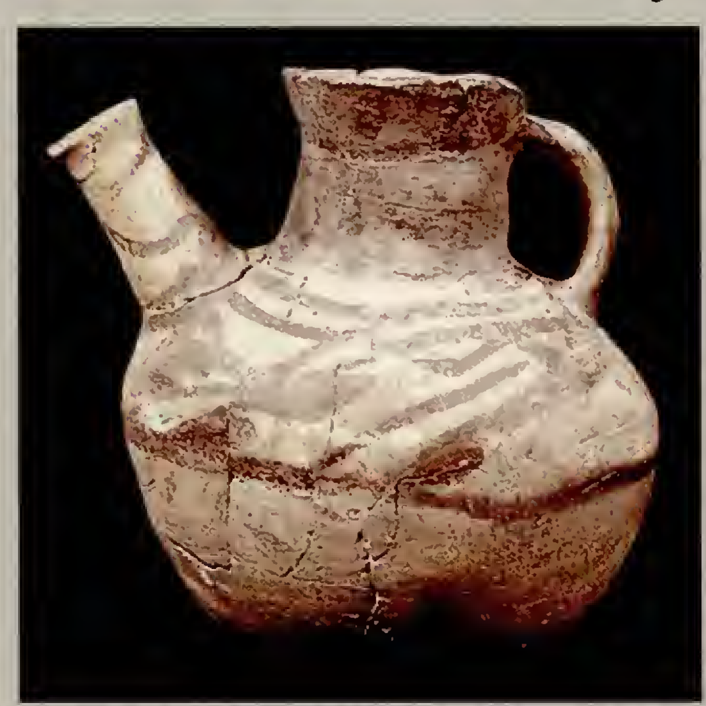
www.ahlaltareekh.com


هل يمكن إصلاح ما أفسدته يد التخريب

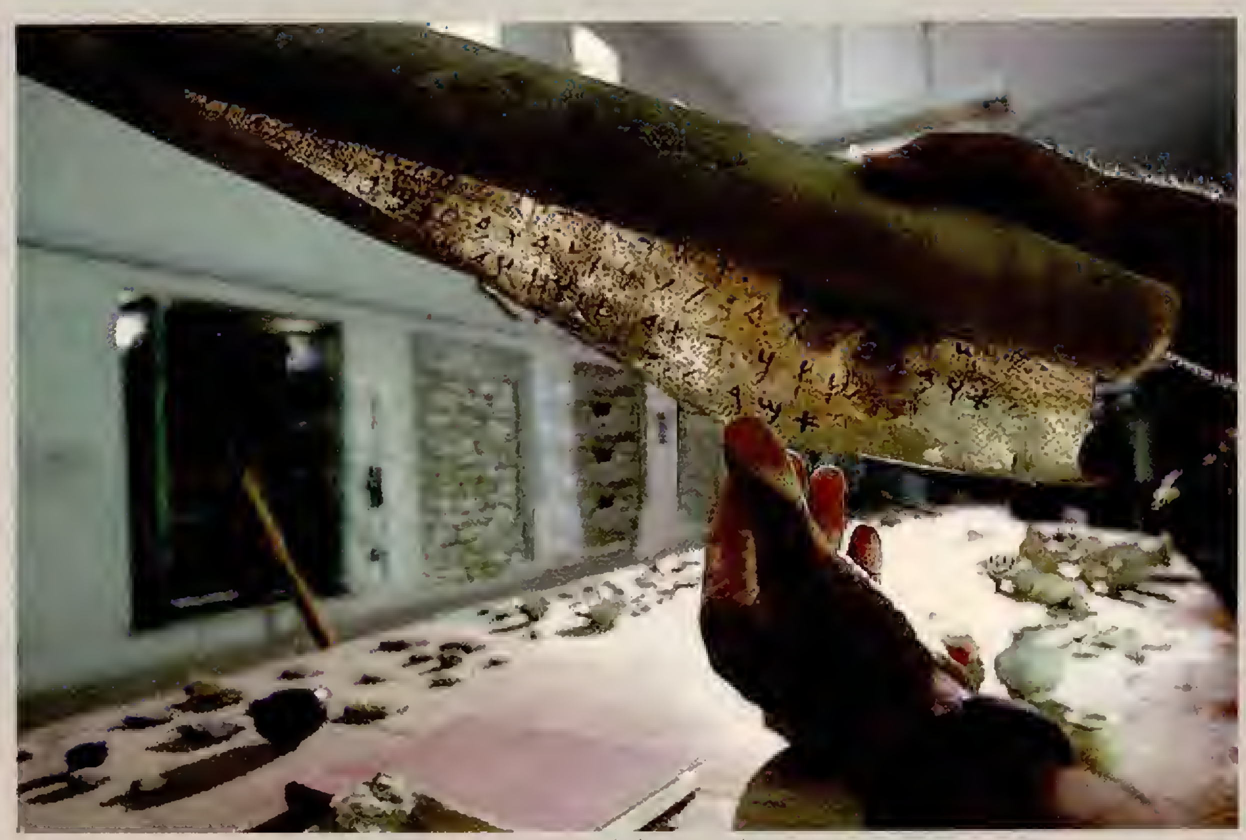
ما ملأ الرماد الأسود للوثائق التاريخية سماء العراق في ذلك اليوم.

ولم يكن المركز الثقافي العراقي بأحسن حظاً من سابقيه، إذ تعرض هو الآخر لاشتعال النار فيه، وقد ذكر أحد مثقفي العراق في حديث تلفازي أنه جمع ما تبقى من نفائس فنية في مركز صدام للفنون، وكلف بعض الشباب بحراستها، ولكن فوجئ الحراس ليلاً بوصول سيارتين نزل منها مسلحان أطلقا النار على الحراس، وأضرما النار في المركز الثقافي، ولا يزال مصير ٤٠ ألف مخطوطة قديمة ومنمنمات تعود إلى القرون الأولى للإسلام كانت موجودة في «دار صدام» في حي حيفا مجهولاً.

يحدث كل ذلك على مسمع ومرأى من جنود الغزاة الذين تجاهلوا كل أصوات الاستغاثة التي وجهت لهم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذا التراث، حتى من أبناء جلدتهم، فهذا هو الكاتب البريطاني روبرت فيسك يقول


تحفة نادرة من مقتنيات المتحف الوطني

www.ahlaltareekh.com



لم تسلم المخطوطات من الدمار

في صحيفة الأندبندنت: «ابتلعت ألسنة اللهب مكتبة بغداد، أتى السارقون ثم الذين أشعلوا النيران! تبخرت المكتبة الوطنية والأرشيف، هذه الوثائق التاريخية العثمانية التي لا تقدر بثمن، بما فيها الأرشيف الملكي القديم للعراق، كلها تحولت إلى رماد على درجة حرارة تبلغ ثلاثة آلاف.

رأيت الناهبين بأم عيني، وشتمني أحدهم حين طلبت من فتى لم يبلغ العاشرة أن يعطيني كتاب الشريعة الذي كان يحمله. في خضم اندثار التاريخ العراقي وتحوله إلى رماد، وقع نظري على ملف تتلاعب به الريح في الخارج: صفحات من رسائل مكتوبة باليد تبادلها ديوان شريف مكة الذي أشعل شرارة الثورة العربية ضد الأتراك وحكام بغداد العثمانيين.

أحرقت في الفناء رسائل توصية إلى محاكم العرب، طلبات مؤن للجنود، تقارير عن سرقة الجمال وهجمات على الحجاج، مخطوطات باللغة العربية مكتوبة باليد. كنت أحمل بين يدي بقايا التاريخ العراقي المكتوب. ولكن بالنسبة إلى العراق، عاد التاريخ من نقطة الصفر مع تدمير محتويات متحف الآثار، وإحراق الأرشيف الوطني والمكتبة القرآنية. اندثرت هوية العراق الثقافية بلمح البرق. ولكن لماذا؟ من أشعل النار؟ ولأي هدف دمّر هذا الإرث؟

حين لمحت المكتبة القرآنية تأكلها النيران على علو ١٠٠قدم، هرولت إلى مكاتب السلطة المحتلة، مكتب الشؤون المدنية التابع لقوات مشاة البحرية الأميركية. صرخ ضابط متوجه إلى أحد زملائه: «يقول هذا الشاب: إن المكتبة الدينية تشتعل». حددت له الموقع على الخريطة، والاسم المحدد بالإنجليزية والعربية، كما قلت له: إنه يمكن رؤية الدخان من على مسافة ثلاثة أميال، ولا يستغرق الوصول إليه سوى خمس دقائق في السيارة. بعد نصف ساعة، لم يكن أي أميركي في الموقع، وكانت ألسنة اللهب ترتفع مسافة ٢٠٠ قدم».

لقد تسبب حريق المكتبة الوطنية في إعدام كل الوثائق التي تؤرخ لعلاقة العراق بالخلافة العثمانية، وكذلك مراسلات العراق مع الشريف حسين في مكة قبل الثورة العربية الكبرى، وأحداث الحقبة الملكية في العراق، كما

www.ahlaltareekh.com

أصاب الحريق رقائق وأفلامًا لصحف عربية من القرن التاسع عشر، بالإضافة إلى مكتبة «ميكروفيش» الصحافة العربية وتاريخها، وأفلام لا توجد منها نسخ أخرى في أي مكان في العالم، وحتى وثائق حرب الخليج الأولى التي وقعت بين أعوام ١٩٨٠و١٩٨٨م، صارت عدماً مما يفتح المجال لتزييف واضح في تاريخ العراق.

لوحة مسمارية تصف مآثر الملك الآشوري سرجون (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م)

كذلك أصاب الحريق مركز دراسات الخليج التابع لجامعة البصرة، ويضم المركز ٢٠٠ ألف كتاب وخرائط تعود إلى العصر الوسيط، و ١٢٠ألف عنوان لدوريات ومجلات متنوعة، و ٢٥٠ مجلداً لصحف خليجية متنوعة، وقسماً للمايكرويف مما يشكل خسارة لا تقدر بثمن، ويعد مركز دراسات الخليج العربي التابع لجامعة البصرة أحد أهم المراكز البحثية في العالم، وقد تم تأسيسه عام ١٩٧٢م، ويضم خمسة أقسام ومكتبة ضخمة وقاعة ندوات، وكان خلال ثمانينيات القرن الماضي يمثل الهيئة العامة لمراكز الدراسات في منطقة الخليج العربي، وقد أدى دوراً علمياً مميزاً.

وفي خضم هذا الإحباط جاءت مؤخراً أنباء سارة تقول إن المدير العام بوزارة الثقافة والإعلام العراقية السابق الدكتور أسامة ناصر النقشبندي قد تمكن بمبادرة وجهد ذاتي وبمساعدة عدد محدود من منسوبي الوزارة من إنقاذ نحو ٤٠ ألف مخطوطة قديمة من بينها نسخة نادرة من القرآن الكريم تعود إلى خلافة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الكوفة، وتتناول أغلب هذه المخطوطات التي أمكن إنقاذها الحياة في بغداد في عصرها الذهبي تحت حكم الخلافة العباسية.

وكان النقشبندي، وهو من أصل كردي، يقوم قبل اندلاع الحرب بثلاثة أشهر، بنقل هذه المخطوطات، بمساعدة عدد محدود من موظفي الوزارة بسياراتهم الشخصية أو بسيارات نقل تجارية صغيرة لا تحمل لوحات حكومية حتى لا تلفت الانتباه، وتحويلها إلى ملجأ ضد الأسلحة النووية، وقد انتهي من مهمة النقل قبل أسبوع واحد فقط من اندلاع الحرب.

وكان عدد كبير من النهّاب والسرّاق قد ذهبوا إلى الملجأ على أمل أن يكون المسؤولون العراقيون قد خبؤوا أموالاً فيه، وقد تمكنوا بالفعل من اقتحام الباب الأول للملجأ ولكنهم عادوا خائبين، إذ لم يكن معهم من المتفجرات ما يمكنهم من فتح الباب الثاني.

أصداء

كان لجرائم النهب التي تعرضت لها متاحف العراق ومكتباتها صدى واسع في جميع أنحاء العالم، إذ وجهت

www.ahlaltareekh.com



ملك أور يقدم القرابين



بقايا قنبلة في المتحف

مجموعة من المثقفين العراقيين نداءً أكدت فيه أن «ذلة النهب وصور السلب للجامعات والمتاحف والتراث العراقي قد شجع عليه ضباط الغزو وجنوده الذين كانوا موجودين في تلك القواطع ...»، وعدّوا أن «ما حصل يشبه ما قام به هولاكو من تدمير للثقافة قبل ثمانية قرون»، وطالب المثقفون في بيانهم من «كل مثقف عربي وفي بلدان العالم كافة أن يقف ويفضح هذه الإبادة الثقافية للفكر وتراكماته».

وفي الرياض ناشدت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة جميع المكتبات والمتاحف والأفراد في العالم والمنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» والمنظمات الدولية والإقليمية إلى الوقوف بحزم أمام عمليات النهب وإتلاف التراث الثقافي والتاريخي في العراق، وذلك بعدم بيع أو شراء المخطوطات والكتب والوثائق والتحف الأثرية المسروقة، والتعاون مع المنظمات الدولية المعنية لإعادتها إلى العراق، وإقامة برامج توعوية حول ذلك.

وأصدر الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات بيانًا جاء فيه: «يقف المكتبيون وإخصائيو المعلومات العرب بحزم أمام هذه

www.ahlaltareekh.com

الاعتداءات والتجاوزات الخطيرة، يستنكرون جرائم الحرب، ويحملون الدولتين المعتديتين مسؤولياتهما الحضارية لضياع التراث الثقافي للشعب العراقي الشقيق، ويعبرون عن عميق انزعاجهم لعدم تحرك القوات الغازية للحفاظ على أمن المواطنين العراقيين وممتلكاتهم ورصيدهم الحضاري، بالقصف المكثف بالصواريخ والطائرات والمدافع للمباني والمواقع الأثرية».

ووجه الاتحاد نداءً إلى الدول المحبة للسلام والمنظمات الدولية العلمية والمعلوماتية للتحرك العاجل لإيقاف عمليات النهب وإتلاف التراث الثقافي العراقي، وقطع الطريق على أية جهة أجنبية تسعى إلى اقتناء المخطوطات والكتب النادرة المسروقة، وكذلك التحف الأثرية. وترصد تحركات العصابات، لأجل استرجاع جميع الممتلكات الثقافية التي نهبت من المكتبات والمتاحف والجامعات العراقية.

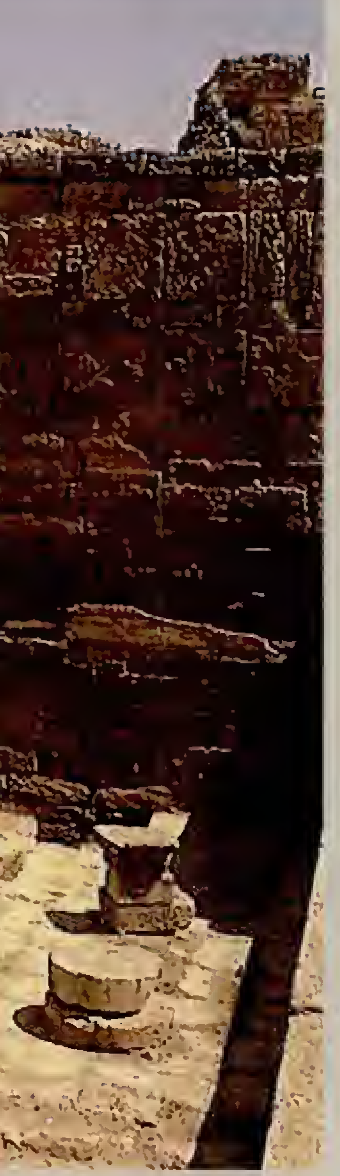
كما دعا الاتحاد إلى القيام بتقويم جميع الخسائر التي لحقت الرصيد الحضاري وحصرها عن طريق لجان علمية عراقية ودولية سواء ما لحق المباني الثقافية والأكاديمية أو ذخائرها النادرة، والتخطيط لإعادة ترميم المباني وترميم المخطوطات والوثائق الأرشيفية والتحف الأثرية، وإعادة بناء قواعد البيانات والفهارس الإلكترونية.

وأعلن الاتحاد في ختام بيانه استعداده للإسهام في عملية إنقاذ التراث الوثائقي داخل المكتبات ومراكز المعلومات العراقية، وإعادة إعمار هذه المرافق، وكذلك المؤسسات الثقافية وتفعيل دورها حتى تعود إلى سالف نشاطها.

كما وجهت جمعية مديري المتاحف الفنية التي تضم ١٧٥ متحفًا في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك، وتتخذ من نيويورك مقراً لها، نداءً إلى المتاحف وهواة جمع التحف في العالم، طالبة منهم عدم شراء أي تحف سُرقت أخيراً من متحف بغداد، وأعربت الجمعية «عن أسفها لنهب متحف بغداد، إضافة إلى تخريب الأماكن الثقافية والمواقع التاريخية في أفغانستان».

من ناحية أخرى، حثت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ـ اليونسكو ـ الولايات المتحدة وبريطانيا على اتخاذ إجراءات فورية لحماية آثار العراق بعد نهب الكنوز التي يحتويها متحف بغداد الوطني، ودعا المدير العام لليونسكو كويشيرو ما تسورا الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان إلى استصدار قرار من مجلس الأمن الدولي يلزم كل دول العالم منع تهريب الآثار العراقية وتداولها وتملكها خلال فترة معينة، كذلك من المفترض أن يدعو القرار الجديد دول العالم الـ ١٩١ إلى تطبيق مضمون القرار المنتظر، وإلى إعادة ما يكون قد وصل إلى أراضيها من الآثار العراقية المهربة إلى العراق نفسه.

وأعلن معهد الآثار الألماني «دي إيه آي» أنه سيرسل فريقًا من الخبراء إلى العراق لمساعدة الباحثين في تقويم ما نهب، والأضرار التي لحقت بالمتحف الوطني ببغداد، ويذكر أن مكتب المعهد افتتح في بغداد عام ١٩٥٥م، وقد هُجر في السنوات الأخيرة بسبب العقوبات التي فرضها مجلس الأمن على العراق، وأبدت مصر استعدادها للمساهمة في أعمال الترميم الأثري والمعماري للآثار العراقية التي تضررت من الحرب الأخيرة على العراق.



كما استقال رئيس اللجنة الاستشارية الرئاسية للشؤون الثقافية في الولايات المتحدة مارتن سوليفان استنكاراً لنهب متحف بغداد، وقال بعد استقالته عن هذه العمليات: إنها «كانت متوقعة، وكان بالإمكان تحاشيها»، وكذلك استقال عضو آخر هو غاري فيكان، مع احتمال تخلي أعضاء آخرين عن مهامهم في هذه اللجنة التي تقدم النصح للرئيس بوش في مجال السياسة والمبادرات الثقافية، وهي تتألف من ١١ عضواً، من الخبراء والمحترفين في الأوساط الفنية المختلفة، وهم يعينون لولاية مدتها ثلاث سنوات. ومارتن سوليفان هو رئيس «رابطة سانت ماري التاريخية» في ميريلاند «شرقًا»، وهو متحف مخصص لأحد أولى المستوطنات البريطانية في الولايات المتحدة، بينما يدير غاري فيكان متحف «غاليري والتر للفنون» في بليتمور في ميريلاند.

www.ahlaltareekh.com



آثار تكشف ثراء التراث العراقي

وأعرب الرئيس الفرنسي جاك شيراك عن «حزنه» لعمليات نهب المتاحف في بغداد والموصل، قائلاً: إنها «جريمة حقيقية ضد الإنسانية»، وأضاف: «أن عمليات النهب هذه تشكل جريمة حقيقية ضد الإنسانية، وكارثة ضد البشرية».

كما استنكر الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان «الخسائر الكارثية التي لحقت بالإرث الثقافي العراقي في الأسابيع الماضية».

كذلك عدَّ وزير الثقافة الفرنسي جان جاك إيلاغ عمليات النهب والتخريب في العراق التي لم تتمكن قوات الغزو من منعها «كارثة معنوية»، وقال في مقال نشرته صحيفة الفيغارو الفرنسية: «إن الحرب أفرزت مواكب من القتلى والجرحى والدمار والخراب، وهي تفتح أمام الشعب العراقي مستقبلاً غير واضح بعد».

ودعت الحكومة السويسرية هواة جمع القطع الأثرية وتجار الأعمال الفنية في البلاد إلى توخي الحذر، ورصد عشرات الآلاف من القطع المسروقة من المتاحف والمواقع الأثرية في

www.ahlaltareekh.com

العراق، كما أعلنت عن دعمها لمشروع اليونسكو بنشر جميع المعطيات المتعلقة بالتراث العراقي.

وأعلن البروفسور ماك غير جيبسون الأمريكي الجنسية، وهو خبير عالمي في الآثار العراقية، أن بعض ما نهب من المتاحف العراقية قد وصل بالفعل إلى عدد من العواصم العالمية، وجاءت تأكيدات جيبسون في مؤتمر صحفي عُقد في مقر اليونسكو في باريس عقب اجتماع دعت إليه المنظمة، وحضره نحو ثلاثين خبيراً دولياً للتدارس في ما يتوجب فعله من إجراءات لتدارك ما أصاب التراث الإنساني العراقي، وقد أعرب المؤتمرون في بيان لهم عن «صدمتهم» الشديدة إزاء الخسائر الضخمة التي أصابت التراث العراقي، ودعوا قوات التحالف إلى احترام مبادئ اتفاقية لاهاي الموقعة عام ١٩٥٤م، التي تنص على حماية الممتلكات الثقافية في زمن النزاعات المسلحة.

دفاع أمريكي

وفي واشنطن رفض وزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد الاتهامات التي وجهتها منظمات دولية وخبراء آثار بأن الجيش الأميركي يتحمل مسؤولية نهب آثار عراقية لا تقدر بثمن من المتحف الوطني في بغداد.

وأبدى رامسفيلد تعاطفه مع الذين نددوا بنهب المتحف عندما وقفت القوات الأميركية مكتوفة الأيدي، على حين كان اللصوص ينهبون الآثار أو يحطمون ما لا يستطيعون سرقته. لكنه نفى في مؤتمر صحافي بوزارة الدفاع الأميركية «البنتاغون» أن تكون خطة الحرب في العراق معدة بما يكفي لمواجهة مثل هذا الخطر. وقال: «النهب شيء مؤسف ... لا أحد يحبه. ولا أحد يسمح به». وأضاف «من الصعب وقفه عندما يقع في منطقة حرب».

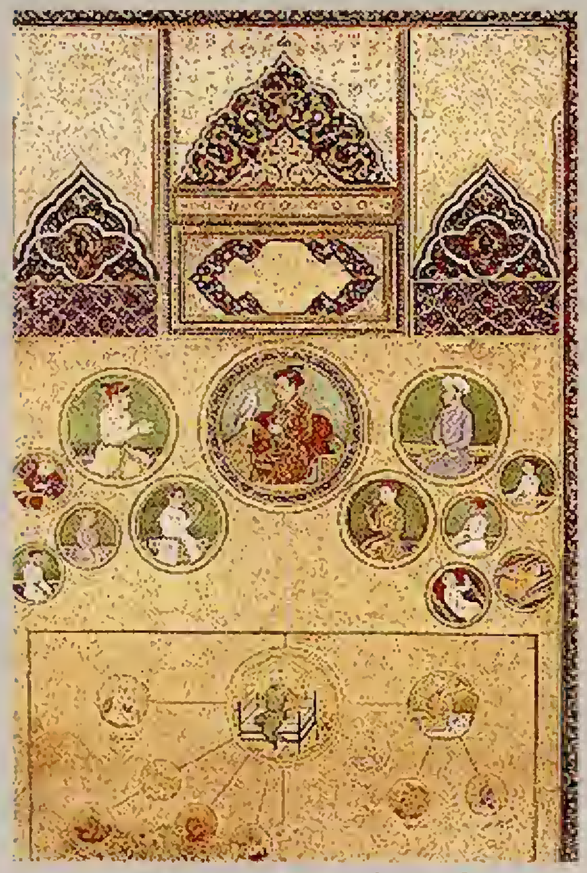
وأشار رامسفيلد إلى أن الولايات المتحدة عرضت مكافآت لإعادة الآثار ومن يدلي بمعلومات عن مكانها، وأنه يظن أن مسؤولي المتحف أخفوا بعض الآثار قبيل الحرب لضمان سلامتها.

كما أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أنها ستلاحق المسؤولين عن عمليات نهب الأماكن التي كانت تحوي التراث التاريخي في العراق وتخريبها وسرقتها حتى خارج البلاد، وأعلن وزير الخارجية الأمريكي كولين باول أن الولايات المتحدة تتعهد بحماية التراث العراقي التاريخي، وستساعد على إصلاح الأضرار التي لحقت بمتحف الآثار في بغداد نتيجة عمليات النهب، وأضاف باول أنه أجرى اتصالات بهذا الشأن مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو»، كما بحث المسألة مع وزير الخارجية اليوناني جورج باباندريو الذي تتولى بلاده الرئاسة الدورية للاتحاد الأوربي.

آثار العراق في الفيصل

في إطار اهتمامها بالحركة الثقافية في العالم، اهتمت «الفيصل» بنشر أخبار الاكتشافات الأثرية العراقية، وما تتعرض له آثار العراق من نهب، وذلك قبل زمن بعيد من قيام الحرب، ففي العدد (٢١١) نشرت خبراً عن اكتشاف قرية عمرها ١١ ألف عام جاء فيه:

«اكتشفت في منطقة حوض سد صدام قرب مدينة قايدة بشمال العراق قرية عراقية من العصر الحجري تعود إلى ما



آثار إسلامية نادرة تتضمنها متاحف العراق

www.ahlaltareekh.com



تمثال من الرخام يمثل ثوراً مجنحاً ذا رأس بشري وجد في مدخل قصر سرجون

قبل ٩ آلاف سنة قبل الميلاد. وعثر الآثاريون في القرية على بيوت دائرية مشيدة بالطوب (اللَّبِن)».

وأوردت في عددها (٢١٩) خبراً عما يواجه آخر أبراج بابل من خطر، إذ «ذكرت تقارير آثارية أوربية أن آخر أبراج بابل يغوص تحت الأرض بمعدل خمسة أقدام سنوياً. واكتشف الفريق الآثاري النمساوي الذي كان يعمل في العراق منذ عام ١٩٨٠م؛ بعد استئنافه عمله عقب انتهاء حرب الخليج، أن زقوات بورسيبا التي على بعد ١٠٠ كم من بغداد، وتعد من أقدم الصروح الهرمية المبنية بالطابوق، وترتفع عن الأرض ٦٠ قدماً، تعرضت للسرقة والنهب، وبدأ الفريق في محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الزقوات المحاطة بتلال من الأبراج المهدمة.

ويعود تاريخ زقوات إلى القرن السادس قبل الميلاد، إذ بناها الملك البابلي نبوخذ نصر لتكون بابل الثانية، وفقدانها يقضي على آخر أبراج بابل المشهورة».

وعن العثور على أول مسلة آشورية، جاء في عدد الفيصل في العدد (٢٨٠): «عثر فلاح عراقي كان يقوم بحرث أرضه الزراعية التي تقع بجوار منطقة أثرية محمية في محافظة نينوى على أول مسلة آشورية من حجر الحلان يرجع تاريخها إلى العهد الآشوري القديم.

وحضرت بعثة أثرية على أثر إبلاغ الفلاح إلى المكان، وقامت بانتشال المسلة الفريدة التي يبلغ ارتفاعها ١٢٠ سنتيمتراً، وعرضها ٦٠ سنتيمتراً، ونقش على محيطها صورة للملك سنحاريب، وكتب عليها ٢٦ سطراً باللغة

www.ahlaltareekh.com

المسمارية تتحدث عن هذا الملك العراقي، وإنجازاته والقوانين التي سنها في ذلك العهد».

وعن الآثار العراقية المسروقة، جاء في العدد (٢٨٢) من «الفيصل»: «عرف العراق بكثرة الحضارات التي تعاقبت على أرضه، فلا توجد بقعة إلا وفيها أثر للتاريخ حتى بلغت المواقع الأثرية المسجلة رسمياً لدى دائرة الآثار والتراث العراقية نحو عشرة آلاف موقع، ولكن هذه الآثار النفيسة تعرضت للنهب والسرقة والتدمير حتى بلغ عدد القطع الأثرية المسروقة من المتاحف والمواقع الأثرية خلال الأعوام الأخيرة أكثر من أربعة آلاف قطعة تشمل لقى أثرية وألواحاً طينية، وتماثيل من المرمر والفخار، ولم تعد من هذه الآثار إلا نحو ألف قطعة أثرية رجعت بمساعدة من السلطات الأردنية.

وعزا بعض خبراء الآثار هذه الظاهرة إلى وجود جهات أجنبية وراءها خاصة بعد سنة ١٩٩١م، بينما أرجعها بعضهم إلى التجاوزات التي تقع على المواقع الأثرية الكثيرة «عشرة آلاف موقع» التي تنتشر في أنحاء البلاد.

وقد قامت دائرة الآثار والتراث بعدة جهود من أجل إرجاع هذه الآثار المسروقة منها الاتصال بالمؤسسات العلمية المناظرة في مختلف أنحاء العالم، كما قامت بنشر أوصاف القطع الأثرية المسروقة في ثلاث دوريات عالمية».

وفي العدد نفسه خبر عن شراء المتحف العراقي ديناراً عربياً نادراً، جاء فيه:

«دفع المتحف العراقي مبلغ خمسة ملايين دينار عراقي ثمناً لدينار عربي نادر اشتراه من أحد المواطنين.

وعزا مصدر في المتحف أهمية هذا الدينار إلى كونه يمثل المرحلة الأولى من حركة التعريب للنقود في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ)، وهو من الطراز البيزنطي الذي كان متداولاً آنذاك.

الجدير بالذكر أن هذا الدينار لا يوجد له نظير في العالم



الاكتشافات الأثرية لا تتوقف في العراق

www.ahlaltareekh.com

إلا في أربعة متاحف فقط في العالم هي متاحف باريس ولندن ونيويورك وإستانبول».

كما أن هناك خبراً عن كتاب عن آثار عراقية باللغتين العربية والإنجليزية: «تم الاتفاق بين دائرة الآثار العراقية ومتحف ماينز الألماني على طبع كتاب الآثاري العراقي الدكتور دوني جورج الذي يكشف عن الأعمال الآثارية في «تل العمارنة»، حيث اكتشف الدكتور دوني جورج سوراً بناه العراقيون يعود تاريخه إلى ٥٥٠٠ عام قبل الميلاد. وسيطبع الكتاب باللغتين العربية والإنجليزية».

وفي العدد (٢٨٤) خبر عن العثور على الناي القديم فحواه: «عثر مزارع عراقي مؤخراً على آلة موسيقية يعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام، وقالت صحيفة «نبض الشباب»: إن المزارع سعد سلطان الذي يسكن أحد أرياف مدينة يعقوبة على بعد ٧٠ كيلو متراً شرق بغداد عثر في أثناء قيامه بحراثة أرضه على ناي يعود إلى ما قبل الإسلام، وإن المزارع قام بتسليم الناي إلى الجهات الآثارية بالمدينة».



مئذنة مسجد الجامع في سامراء المعروفة بالملوية من القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد)

وتضمن العدد (٢٩٣) من «الفيصل» إشارة قوية إلى ما تتعرض له آثار العراق ومجمل تراثه من نهب وسلب، فجاء تحت عنوان «كارثة المخطوطات العراقية»:

«يشهد العراق كارثة حضارية لم تُعرف من قبل، إذ بدأت مخطوطاتها العربية والإسلامية النادرة بالظهور في دمشق وعمان في محلات بيع الانتيكات والحلي القديمة - إثر عمليات تهريب واسع النطاق - ومنها تنتقل إلى أوربا على أيدي تجار أوربيين، كما تباع أيضاً إلى تجار يهود.

صرح بذلك لصحيفة الشرق الأوسط - في عددها رقم ٨٠٧٦ الصادر في السابع من يناير عام ٢٠٠١م - الخبير بشؤون المخطوطات العربية والإسلامية باسم السيد علي المقيم حالياً في دمشق مؤكداً أن مخطوطات نادرة تخص تاريخ العراق في العهد الملكي، ونوادر بالخط الكوفي، وأجزاء من القرآن الكريم يعود تاريخها إلى أكثر من ألف سنة، ومخطوطات أخرى تختص بالفقه والنحو، ومخطوطات تبحث في الجغرافيا والفلك والرياضيات كانت محفوظة في «دار صدام للمخطوطات» التابعة لوزارة الثقافة والإعلام العراقية، وفي مكتبات مدينة

www.ahlaltareekh.com

النجف، وفي مكتبة جامع الخلاني، وجامع الأصفية، وفي مسجد الحضرة القادرية، ومكتبة الشيخ عبدالقادر الجيلاني اختفت بشكل غريب، وظهر قسم منها في عمان ودمشق وإستانبول، حيث تباع للمتاحف والمكتبات الغربية وللمهتمين بالمخطوطات الإسلامية والعربية.

وتابع السيد علي: «إنه خلال وجوده في عمان، وقبل مغادرته للاستقرار في دمشق فوجئ بمن يعرض عليه بعض المخطوطات الإسلامية المهمة المهربة من العراق بقصد تقويمها وبيعها في أوربا، ولدى تعمقه في البحث هناك وجد أن بعض المحلات المتخصصة في بيع الأنتيكات والحلي القديمة تعرض بعض المخطوطات الإسلامية التي يعود تاريخها إلى أكثر من ألف سنة، إلى جانب مخطوطات وآثار ذهبية وفضية عبرية جرى تهريبها من كنس يهودية ببغداد والبصرة وبيعت لتاجر إسرائيلي يتردد عادة على محلات الأنتيكات في عمان، وعد ذلك خسارة؛ إذ إن هذه الآثار والمخطوطات هي جزء من تاريخ العراق والعرب والمسلمين».

ونشرت الفيصل في العدد (٢٩٧) عن آثار مهربة واكتشافات حديثة في العراق: «تعرضت الآثار العراقية في الآونة الأخيرة خاصة بعد حرب الخليج الثانية لهجمة شرسة من عصابات تهريب الآثار، التي نهبت كثيراً من المواقع الأثرية، واستولت على الآلاف من التحف النادرة، حتى إن المتحف العراقي الذي ظل مغلقاً طوال عشر سنوات لم يسلم من هذه الهجمة فتعرضت مقتنياته للضياع والنهب.

وفي سبيل حماية هذا التراث النادر والمحافظة عليه واسترجاعه من خارج الحدود قام العراق بتسليم الشرطة الدولية «الأنتربول» نشرة حملت أسماء نحو أربعة آلاف قطعة أثرية سرقت بعد حرب الخليج وأوصافها. وقد صرح رئيس هيئة الآثار والتراث العراقية ربيع القيسي: أن الشرطة الدولية أبدت اهتماماً بملاحقة الجهات التي تتعامل في الآثار العراقية المسروقة. وكانت هيئة الجمارك العراقية قد أحبطت مؤخراً عملية تهريب عدد من النسخ النادرة من التوراة كانت في طريقها إلى إسرائيل.

ومع قلة إمكانات هيئة الآثار والتراث العراقية إلا أن بعثات التنقيب مازالت توالي الاكتشافات الأثرية الحديثة، فقد توصلت البعثة الأثرية في مشروع ضفاف دجلة إلى اكتشاف بناء معماري يعود تاريخه إلى فترة تأسيس مدينة بغداد، كما تم العثور أيضاً بالقرب من مدينة الشرقاط «في شمال العراق» على وحدة سكنية آشورية قيل: إنها تعكس نمطاً من المعمار السكني للعاصمة «آشور».

وقد أشيع مؤخراً أن الهيئة عثرت على قبر الخليفة العباسي المعتصم، وهو ما نفاه رئيسها ربيع القيسي قائلاً: «إنه لا صحة لما أشيع في شأن اكتشاف قبر المعتصم»، مؤكداً أن «الدراسات مستمرة لغرض تحقيق ذلك الهدف».



ونشرت مجلة الفيصل



أماكن أثرية تحولت إلى مرعى!!

www.ahlaltareekh.com



امتازت الحضارة الآشورية بالمنحوتات الضخمة التي تصور جوانب الحياة المختلفة

أيضًا استطلاعات مصورة عن أهم مدن العراق: بغداد، وسامراء، والكوفة، والنجف، وكربلاء، وأربيل، والموصل، والحضر، وبابل، وكركوك، والمدائن، وغيرها، إلى جانب استطلاعات عن متاحفها، ورصد اكتشافاته الأثرية أولاً بأول.

ومما سبق يمكن استنتاج الآتي:

- وجود استهداف من جهات أجنبية للآثار العراقية قبل الحرب الأخيرة، بدليل ضياع آلاف القطع الأثرية من المتاحف والمواقع الأثرية.

- وجود أياد خفية لإسرائيل في عمليات النهب والسرقة، بدليل إحباط عملية تهريب نسخ نادرة من التوراة إلى إسرائيل.

- وجود عصابات للآثار يشارك فيها من يعرفون قيمة هذه الآثار، إذ لا يمكن تهريب كميات كبيرة من الآثار من دون مساعدة من نافذين في جهات مسؤولة.

- وجود ثروة كبيرة من الآثار العراقية التي تحتاج إلى جهد لاكتشافها، حتى إن فلاحين عثروا على آثار بالمصادفة، كما توجد مواقع أثرية غير مكتشفة أومهملة، مما يترك المجال للعبث.

- غياب التعاون العربي في هذا الميدان؛ لأن قلة الإمكانات تحول دون قيام الجهات العراقية المسؤولة بمهامها على الوجه الأكمل، كما أن الاستعانة بالجهات الأجنبية لا تخلو من مخاطرة.

وأخيراً .. فمهما قيل أو كتب، فإن الواقع سيبقى أبلغ من الكلمات، ومهما بذل من جهد فلن يستطيع أحد أن يعيد هذه الكنوز إلى وضعها السابق، أو يمحو آثار هذه الجريمة النكراء في حق الإنسانية وإرثها الحضاري.

www.ahlaltareekh.com

جائزة (أجفند) العالمية للمشروعات التنموية الرائدة

جدّد برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية (أجفند) Agfund الدعوة إلى المنظمات الأممية والدولية والإقليمية والمؤسسات العلمية واتحادات الجمعيات الأهلية، للترشيح لجائزة (أجفند) العالمية للمشروعات التنموية الرائدة، ونبّه على أن آخر موعد الترشيح للفروع الثلاثة للجائزة هو٣١ مايو/أيار. وتبلغ قيمة جائزة (أجفند) العالمية ٣٠٠ ألف دولار أمريكي.

وقد جاءت موضوعات الجائزة في عامها الرابع ٢٠٠٣م في الفروع الثلاثة على النحو الآتي:

- جائزة الفرع الأول، وموضوعها: (تأهيل اللاجئين والمهجّرين وتشغيلهم)، مخصّصة للمشروعات المنفّذة عن طريق المنظمات الدولية.
- جائزة الفرع الثاني، وموضوعها: (حماية الأطفال من الإساءة والإهمال)، مخصّصة للمشروعات المنفّذة عن طريق الجمعيات الأهلية.
- جائزة الفرع الثالث، وموضوعها: (مبادرات إبداعية في مكافحة الفقر)، مخصّصة للمشروعات التي بادر بفكرتها أو موّلها أو نفّذها أفراد.

ودعت إدارة الإعلام في (أجفند) Agfund المنظمات الأممية والدولية والإقليمية والجمعيات الأهلية والجامعات ومراكز البحوث إلى إرسال ترشيحاتها إلى العنوان البريدي:

إدارة الإعلام، برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية.

الرياض ١١٤١٥ ص.ب١٨٣٧١، أو على البريد الإلكتروني Prize @ Agfund. Org

أو عبر الاستمارة الإلكترونية المدرجة في موقع البرنامج

على الإنترنت www.agfund.org

وتعرض المشروعات المرشحة المستوفية للشروط على محكمين من ذوي الخبرة في مجالات الجائزة لتقويمها من حيث مطابقتها للمعايير المحددة في نظام الجائزة.

وتقر لجنة الجائزة أفضل مشروع في كل فرع.

www.ahlaltareekh.com

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣١٨)

ذو الحجة ١٤٢٣هـ / فبراير ٢٠٠٣م

الفائز الأول: محمد شفيق حيمور - عمان - الأردن.
الفائز الثاني: فاطمة هائل محمد الفقيه - صنعاء - اليمن.
الفائز الثالث: هاشم أحمد كيفي - مكة المكرمة - السعودية.
الفائز الرابع: رضا عبدالحليم إبراهيم - القاهرة - مصر.
الفائز الخامس: رضوي محمد عدنان ويس - حلب - سورية.
الفائز السادس: عبدالسلام لطيف الحاج طيب - صفاقس - تونس.
الفائز السابع: خلود خليل سلطان - الدوحة - قطر.
الفائز الثامن: منال علي عبده محمد - القاهرة - مصر.

حل مسابقة العدد (٣١٨)

١- وحاجة نفسٍ قد بلغتُ، وحاجة
تركتُ، إذا ما النفس شحَّ ضَميرُها
قائل البيت هو: شبيب بن البَرْصاء.
٢- أبو معشر: فلكي ومنجم عربي، يعدّ من أكبر الفلكيين المسلمين.
٣- اللامبرت: وحدة لقياس إشراقية سطح ما.
٤- هَيْجيا: إلهة الصحة عند الإغريق.
٥- الدعسوقة: خنفساء صغيرة مرقطة الجناحين.
٦- الأُسكان: شعب من شعوب إيطاليا القديمة.

أسئلة مسابقة العدد (٣٢١)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تردّ إلى قليل تقنعُ

☐ أبو ذؤيب الهُذَلِيّ ☐ أبو الأسود الدؤليّ.

(٢) المنصور بن أبي عامر:
☐ وزير عربي أندلسي شجع العلم والعلماء
☐ قائد بويهي قام بدور بارز في تأسيس الدولة البويهية.

(٣) البلاتيوس:
☐ حيوان مائي من حيوانات أستراليا منقاره كمنقار البطة
☐ حيوان ضخم منقرض يعتمد في غذائه على الطحالب والنباتات.

(٤) الروكوكو:
☐ أسلوب في التزيين وفن العمارة يتميز بالزخرفة الشديدة
☐ رقصة شهيرة تصاحب أغاني الروك آند رول في الخمسينيات.

(٥) الشَيَاتسو:
☐ طريقة يابانية لمعالجة الأمراض بالتدليك
☐ طبق ياباني شهير من الأكلات البحرية النيئة.

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

■ نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

www.ahlaltareekh.com



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

www.ahlaltareekh.com

الشاي
أوراق صغيرة أثارت حروباً كبيرة

جان ألكسان
دمشق ـ سورية

في كل يوم يعلن العلماء عن فوائد جديدة للشاي، وبخاصة الأخضر منه، لدرجة تثير الدهشة والاستغراب والتساؤل: هل في هذه الأوراق المغلية سوداء أو خضراء، جميع هذه الصفات التي توفر الفائدة والعلاج، فالناس يشربون الشاي دون أن تكون في أذهانهم قائمة بفوائده، بل يفعلون ذلك بحكم العادة، وقد تكون لديهم معلومات غير دقيقة أو صحيحة عن الشاي، ومنها أنه يساعد على هضم الطعام الدسم إذا تناوله المرء بعد الطعام مباشرة.

وأقرب مثال لنا هو الإنجليز الذين يمارسون طقس شرب الشاي، أو ما يسمونه «شاي الساعة الخامسة» بعد الظهر مع بعض الكيك .. كما أن الناس في الأرياف العربية يتناولونه بكثرة علماً بأن الدراسات والتجارب تثبت يوماً بعد آخر وجود فوائد صحية للشاي بشرط عدم الإفراط في شربه.



شاي لكل الأعمار والفئات

أحدث فوائد الشاي

ولعل أحدث ما أعلن عنه مؤخراً من فوائد الشاي، وخاصة الأخضر، ما يتعلق بمرض باركنسون الذي لم يجد العلماء حتى الآن علاجاً شافياً له، فقد كشف العلماء في صيف ٢٠٠٢م، عن فائدة أخرى للشاي الأخضر تتعلق بإمكانية توفيره الوقاية من الإصابة بمرض باركنسون، وقد استطاع العلماء تحديد وجود مادة كيماوية مضادة للأكسدة في الشاي الأخضر ظهر في السابق أن لها تأثيراً في أمراض مزمنة أخرى، وقد أشارت الأبحاث إلى أن

www.ahlaltareekh.com

شرب الشاي الأخضر مرتبط بالتقليل من خطر بعض الأمراض مثل: سرطانات الثدي، والقولون، واللثة لدى الإنسان.

ويحتوي الشاي على مادة البوليفينول المضادة للتأكسد التي أظهرت دراسات سابقة أجريت على حيوانات في المختبر أن مستخلص الشاي الأخضر قد تكون له منافع في الوقاية من مرض باركنسون دون توضيح الآلية التي يجري فيها، فقد تمكن علماء الأكاديمية الأمريكية لعلم الأعصاب من تحقيق تقدم في تصور الآلية التي تعمل بموجبها مادة الدوبامين التي تتحكم بالحركة. وقد وجد الباحثون في كلية باليور الطبية في هيوستن أن مضادات الأكسدة الموجودة في الشاي تساعد على مكافحة العناصر المشعة التي تلحق أضراراً بالدماغ، وتسبب مرض باركنسون والتجارب في طريقها للاختبار على الإنسان بعد الفئران.

الشاي أكثر السوائل استهلاكًا في العالم، بعد الماء، إذ يتجاوز عدد الأكواب التي تستهلك منه يوميًا في القارات الخمس تريليون كوب

الموطن الأول للشاي

تباينت الآراء حول الموطن الأول للشاي تحديداً، ولكنها اتفقت على أنه في الصين والهند، فهناك رواية تقول: يعدّ جنوب غرب الصين الموطن الأصلي للشاي. وتقول الأسطورة: إن الرعاة هم من اكتشف الخصائص العجيبة للشاي، وكان يكفي أن تتناول قطعان الخراف والماعز أوراق شجرة واحدة لتصبح بعدها مباشرة أكثر نشاطاً وحيوية، وعندما لاحظ الرعاة ذلك، قرروا تجريبها فجففوا هذه الأوراق وغلوها وأخذوا يشربون منقوعها العطر، ومنذ ذلك الوقت أصبح مشروباً مطلوباً، ثم مشروباً شعبيًا لعامة الشعب الصيني، وانتشر بصورة واسعة منذ القرن العاشر للميلاد، وقبل ذلك كان منقوع الشاي يستخدم كدواء لتعزيز القوة والإرادة، ومعالجة



للشاي الأخضر فوائد كثيرة

www.ahlaltareekh.com



حقول الشاي

الصداع، وتحسين الرؤية.

وقد حصل الشاي على تسميته الحالية من الكلمة الصينية «تشا» التي تعني «الوريقة الغضة».

وكان التجار الصينيون يكررون دائمًا من خلال تجاربهم مع روسيا كلمة «باي - خوا» مؤكدين النوعية العالمية لبضاعتهم، وكذلك نجد في اللغة الروسية كلمة «بايخوفي» تأخذ معنى عامًا يقصد به جميع أنواع الشاي، مع أنها في الأصل الصيني تعني القسم الأبيض من ورقة الشاي، وفي القسم العلوي منها.

وفي رواية أخرى أن شجرة الشاي ظهرت للمرة الأولى في البراري المحيطة بجبال «بورما» - الصين والهند - وقد أدّى هذا المشروب على مدى عدة قرون دورًا مهمًا في الاقتصاد الدولي، وكانت تجارة الشاي سببًا في قيام الحروب الصغيرة والكبيرة بين الدول المنتجة والدول المصدرة والدول المستهلكة كما أثرت هذه الحروب مباشرة في استقلال أمريكا.

ويعود أحد الباحثين بقصة اكتشاف الشاي إلى الصين عام ٢٧٣٧ قبل الميلاد في عهد الإمبراطور شين تونج الذي اكتشفه بنفسه .

ويعزو الهنود اكتشاف الشاي إلى الراهب البوذي

www.ahlaltareekh.com

اكتشف أن شرب الماء المغلي الذي وقعت فيه بعض أوراق الشاي قد أزال عنه النعاس والوهن.

وتختلف طرائق تحضير الشاي بين شعب وآخر، وخاصة بين الهنود والصينيين، ولا تزال لدى الشعبين منازل خاصة تسمى «بيوت الشاي» فيها غرف للتحضير وغرف للانتظار، ويجلس أبناء الأسرة بثياب محتشمة قبل أن يذهبوا إلى غرفة شرب الشاي بهدف تعلم الأتيكيت الحازم، وقد بلغت هذه الحفلات مداها في القرن السابع عشر عندما كان اليابانيون يحتسون الشاي وهم يشاهدون الفنون والحرف اليدوية.



يساهم الشاي الأخضر في وقاية المرأة من هشاشة العظام، وسرطان الثدي، وتسوس الأسنان، وتلف اللثة، وترهّل الجلد، وتجاعيد الوجه، والسمنة الزائدة



الإنجليز والشاي

وصل الشاي إلى بريطانيا محملاً بالحكايات والأساطير في عام ١٦١٠م، وبدأت حفلات الشاي البريطانية التي انتشرت بكثرة في القرن السابع عشر، وكانت في البداية لتبادل الأحاديث وتباهي السيدات بملابسهن.

أما في القرن الثامن عشر، فقد اعتادت الطبقات

«دارما بوديفيستا» الذي خصص من حياته سبع سنوات للتأمل، واكتشف الشاي بعد أن مضغ إحدى أوراقه التي سقطت من شجرته بعد أن

www.ahlaltareekh.com

العليا في بريطانيا تناول الشاي في غرف الرسم الأنيق «المراسم» جالسين على أثاث مخصص لهذه المناسبة المميزة، فقواعد غلايات الشاي والموائد والأباريق وعربات نقل الصواني، كلها مصنوعة من مواد فخمة ومستوردة: مثل العاج والفضة والخشب المصقول وعظام ظهر السلحفاة.

وفي أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كان العامل البريطاني يدخر ثلث راتبه الأسبوعي لكي يستطيع شراء بعض الشاي بعد أن فرضت على هذه المادة ضرائب باهظة، وقد ظلت بريطانيا مسيطرة على تجارة الشاي العالمية منذ عام ١٧٣١م، واليوم يصل إنتاج الشاي عالميًا إلى نحو ٢.٣٤٠ بليون كيلو غرام سنويًا، وتحتل الهند المرتبة الأولى في إنتاجه وتأتي بعدها الصين.

ثلاثة أنواع .. أم ألفان

أما عن أنواع الشاي فتتناقض الآراء بين هذين الرقمين وهاتين الروايتين:

تقول الأولى: هناك ثلاثة أنواع من الشاي يتم إنتاجها بطرائق تصنيع مختلفة:

- طريقة إنتاج الشاي الأسمر «السيلاني» أو«الإنجليزي» حيث تنقع أوراقه حتى تتخمر قبل تسويقه.
- الشاي الأخضر الفاتح ويأتي من اليابان أو من جنوب أمريكا.
- شاي التنين الأسود ويجمع بين خصائص اللونين السابقين، وفي أسواق الشرق الأوسط وشمال إفريقية لا تكتمل متعة التسوق إلا باحتساء كوب من الشاي مع حبوب الصنوبر أو مع النعناع أو مع الحلويات والكيك.

وتقول الرواية الثانية:

يوجد اليوم نحو ألفي نوع من الشاي، ومزارع الشاي الآسيوية عددها نحو ألف مزرعة توجد في الصين واليابان والهند وسيلان. أما الاختلاف في أنواع الشاي فيظهر في مرحلة معالجة الأوراق بعد جمعها.

ولا يتمتع الشاي الأسود في اليابان والصين بطلب كبير، ذلك لأن الاستهلاك الأكبر هو من الشاي

أثبتت التجارب الجديدة على الشاي أنه فعال في معالجة مرض باركنسون، ويحارب الآفات القلبية، ويحسّن تدفق الدم في الشرايين الإكليلية



من أجل الشاي قامت حروب

الطبيعي، أي: الأخضر الذي يساعد - كما يرى الأطباء - على تنقية الجسم، وعملية قطاف الشاي يجب أن تتم بطريقة رقيقة، إذ لا يتحمل النقل أكثر من خمسين كيلو غرام بعد قطافه مباشرة، وهذا يعني أن كمية الشاي المورد لأوربا وبقية بلدان العالم هي شاي معالج، وفي البلدان المستوردة تتم

www.ahlaltareekh.com



إعداد الشاي للتعبئة

عمليات المزج والإضافات المختلفة والتعبئة وإطلاق التسميات المتنوعة.

ويؤكد العلماء ضرورة عدم الإكثار من شرب الشاي للاستفادة من فوائده، إذ إن هناك من يحتسي من عشرين إلى ثلاثين كوبًا في اليوم الواحد.

فالشاي يعدل المزاج، ويحارب الإسهال، وينشط الجسم، ويجعل الفكر في حال صحو أكثر، وهو بلسم العافية والنضارة، ويجدد الحيوية، ويعالج الصداع، ويحسّن الرؤية، وعملية غسل الشاي تساعد على انحلال «التيثين» أو التي تسمى في القهوة «الكافيين» للتخفيف من أثر هذه المادة، ويمكن مزج الشاي بالحليب، أو شربه خفيفًا دون سكر، وليس مع الطعام، فالأفضل تناوله قبل ـ أو بعد ـ ساعة من الطعام، ويفضل عدم التدخين خلال تناول الشاي؛ لأن دخان السجاير ضار، ويفقد الشاي المذاق والنكهة، ويخفف من فوائده لجسم الإنسان.

مزايا أخرى للشاي الأخضر

للشاي الأخضر أيضًا عدة فوائد نشرت عنها مئات الدراسات العلمية التفصيلية ويمكن إجمال هذه الفوائد بما يأتي:

ـ تقوم المشتقات الفينولية بحماية خلايا الإنسان من الشيخوخة لأنها تقوم باحتجاز الجذور المرة والجزئيات السامة. وهذا ما يفسر جزئيًا الأثر الواقي للإنسان من الأورام الخبيثة التي قد تصيب الجلد أو المعدة أو القولون.

ـ أما عن الشاي الأخضر وصحة المرأة فقد أكدت الدراسات الأثر الإيجابي له في بعض الأمراض لدى النساء كهشاشة العظام، وسرطان الثدي، وسرطان الرحم، وأن المركب المسمى Egeg الموجود بكثرة في الشاي الأخضر هو المسؤول المباشر عن وقف سرطان الثدي، بالإضافة إلى فائدته في مكافحة تسوس الأسنان، والتهاب اللثة، وترهل الجلد، وتجاعيد الوجه، كما يحمي الشاي من أمراض القلب، ويحتوي كوب الشاي على ١٦٪ من حاجة الجسم من الكالسيوم، و١٠٪ من الزنك، و١٠٪ من مادة الفولات، و٩-٢٢-٦٪ من فيتامينات B1 و B2، بشرط عدم تناول أكثر من أربعة أكواب في اليوم كحد أقصى.

المراجع

- أدبيات الصينيين والهنود والإنجليز وما جاء فيها من ذكر الشاي.
- الشاي الأخضر لمعالجة مرض باركنسون ـ وكالات الأنباء يوم ٢٨ أبريل ٢٠٠٢م، وصحيفة البعث العدد ١١٧٧٥.
- بلسم العافية والنضارة، مجلة الغد، الشهر الثالث ٢٠٠١م.
- الشاي الأخضر والاختيار الأفضل، د. محمد وليد كامل، مجلة الخفجي، عدد رمضان ١٤١٩هـ.
- الشاي أفضل من القهوة، مجلة طبيبك، العدد ٥٢٨، أبريل ٢٠٠٢م.
- الشاي الأخضر وصحة المرأة، د. درويش مصطفى الشافعي، مجلة الفيصل، العدد ٢٨٨.

www.ahlaltareekh.com

رحلة
في كتاب

الحضارة العربية في الأندلس

عبدالغفور إسماعيل روزي
الرياض ـ السعودية

لا تخلو الاهتمامات بالميراث الأندلسي من نظرات غبطة موجهة إليها؛ إذ إن الاهتمامات الموجهة إلى الأندلس وتراثه، في نظر هؤلاء، هي اهتمامات مستحوذة للدلال والاستئثار، وهذا الانفراد بالمكانة الخاصة، في زعم هؤلاء، غالبًا ما يأتي على حساب الاهتمامات بالتراث المعاصر لها مكانياً وجغرافياً، فالاهتمام بما كانت تمثله الأندلس يجعل حالها أشبه بحال ذات الدلال التي لا تصوّب إليها الأعين إلا حصراً، ويجمح هؤلاء في تخيلاتهم إلى أن الدارسين لا يتفيّؤون إلا في ظلالها، ولا يسقون سوى جنانها، في حقولها تعقد الاجتماعات، وعلى ذكراها يطرب المنشدون.

من جانب المهتمين بالشأن الأندلسي، فإن مزاعم الغابطين تجلب لهم النشوة التي تدفعهم إلى ترديد «أو ليست الأندلس مستحقة لها؟!»، بيد أن النشوة غالبًا ما تخفي وراءها ما يعكر نشوتها. حقًا تنعم الأندلس بالرعاية والعناية، إذ ليس ثمة شك في هذه الحقيقة، ولكن ليس إلى أن تكون هي المتفردة بالدلال، فالطبول تدقّ لغيرها مثلما تدقّ لها، بيد أن ما يجعل دفوف الأندلس الأعلى صدى، هو اقتران اسمها مع كل ضرب. فعلى النقيض من أخواتها، فإن اسم «الأندلس» يرنّ بتواصل الضرب؛ فعندما يكتب عن تاريخها، فإنه يعرّف بـ «الأندلس»، وعندما يكتب عن أدبها وفكرها وعلومها، فإنه يشار إليها دومًا باسم المكان، بينما يكاد هذا الاقتران يكون غائبًا في عوالم الإسلام الأخرى، فنحن في العادة لا نربط الدراسات المتعلقة بالدولة الأموية مثلاً بالشام، والعباسي بالعراق، والفاطمي بمصر، بل نربط النشاط الفكري المتعلق بهذه المناطق بأسماء الكيانات الحاكمة التي كانت سائدة فيها.

مكانة خاصة

سواء أكان التعليل الآنف صائبًا أم غير صائب، إلا أن الصائب أن «الأندلس» هي تجربة فريدة ومميزة في

الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس
تحرير:
د. سلمى الخضراء الجيوسي
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م، (١٥٤٥٩ صفحة)، جزءان.

www.ahlaltareekh.com

جوانبها الكثيرة، تجربة لها في قلوب المتلقي العربي والمسلم مكانة خاصة، كما أن لها في ذاكرتهم مكانة عميقة، ولاحتلالها تلك المكانة، فهي جديرة بأن يوفر لها نصيب من الحظوة والاهتمام، ولا بأس أن يكون لها المكانة المستحقة من الدلال.

من منظور النشاط العلمي المركز في الأندلس نفسها، وأخذاً بالمثل الغربي القائل: إن «الحديقة تبدو عادة أكثر خضرة من خارج أسوارها»، فإن القول بثراء ما هو متوافر عن الأندلس هو قول ينبغي الأخذ بصحته كماً. بيد أن الوقوف على هذا النتاج الوافر الثر، وكذلك متابعة ما يتوالى عنه تباعاً يبرز، في الواقع، حقيقة يتطلب منا الوقوف عليها.

فنحن إذا ما تجولنا في حديقة الأندلس ومن داخل أسوارها، فسوف يتبين لنا أن الحديقة هي حقًا أقل خضرة، فأزهارها يغلب عليها الذبول، وثمارها الضمور، وأعشابها الشحوب. وفي حالتها الراهنة تلك، يغلب على ما هو متوافر عن الأندلس التكرار، ويحيد عنه الجدة والابتكار، كما يسود في طروحاته الانقياد للنمطيات المتداولة والخلاصات المتكررة، هذا إذا لم يضعفه التباكي على ما كان، وإجهاد النفس على استخلاص العبر، والبحث عن الإسقاطات.

قد لا تنصف حديقة الأندلس إذا ما وصفت بهذه الحالة فحسب، فالحق يستوجب منا التنويه بجنبات فيها مملوءة بكل ما يبعث على البهجة، ويدعو إلى الحبور. والعمل الذي نحن بصدد التعريف به وتقديمه هو إحدى هذه الجنبات في الحديقة الأندلسية.

إن المحتوى الذي انتهي إليه العمل ككتاب هو في الأصل سجل لمؤتمر عالمي انعقد في إسبانيا عام ١٩٩١م في مدينة غرناطة وفي قصر الحمراء تحديداً، تحت شعار احتفالي بمناسبة مرور خمسمئة عام على نهاية الحكم الإسلامي في الأندلس! وفي تجمع عالمي بحضور الملك الإسباني خوان كارلوس، ونشر لاحقاً - عام ١٩٩٢م - بالإنجليزية بعناية مقدرة من الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي: بعنوان: The Legacy of Muslim Spain, E.J. Brill, Leiden 1992.

الموسيقى الأندلسية والغناء كان لهما وجودهما في غضون التاريخ الاجتماعي للأندلس بدأت العناية بهما في المؤلفات الأندلسية، ثم تتابعت إلى حاضرنا

جهد خرافي

عند ظهور المجلد بمحتواه الضخم (١٠٩٨صفحة) كنت قرأت مختارات من مباحثه لغرض أبحاث كنت أقوم بها، أو بسبب اهتمام خاص ببعض موضوعاته، وعندما تبينَّ لي أهمية العمل تمنيت أن يجد طريقه إلى العربية؛ وذلك لأنه سيسد نقصاً نشتكي منه في التناول الجاد للتراث الأندلسي، ويعين القارئ المتطلع على إرضاء نهمه، كما سيعين طلاب الدراسات العليا على تعمقهم البحثي. وكان في الحقيقة يساورني شك في إمكانية تحقق ذلك، فهو - بسبب تعدد مناحيه البحثية - يحتاج إلى تضافر جهود وإمكانات مؤسسات علمية وليس بوسع جهات فردية ونشرية القيام به. بيد أنني حينه لم أدرك تحقق الأمنية وبجهد فردي. وكان هذا ما كان على يد الأستاذة الغيور والدؤوب الجيوسي مرة أخرى؛ مرة حينما حررت الطبعة الإنجليزية المشار إليها، متحملة عبء ترجمة الكثير من البحوث من لغات أخرى، ولاسيما الإسبانية إلى الإنجليزية. وأخرى حينما ضاعفت الجهد إلى تنسيق ترجمة العمل بكامله إلى العربية. فهي بهذا الجهد الخرافي نجحت في تقديم هذا العمل الباهر إلى قراء الإنجليزية، ومن ثم إلى قراء العربية، فهي أولاً وأخيراً تستحق الثناء على ما نجحت في فعله.

أتت الهيئة العربية للكتاب أطول من هيئته الإنجليزية (١٥٥٩ صفحة)، وهو مقسم إلى جزأين كبيرين، يحوي الجزء الأول (٨٣٥ صفحة) اثنين وعشرين بحثًا: مقدمة «فرشة تاريخية»، ٣ تاريخ مدن، ٥ الأقليات، ١علاقة الأندلس بالمغرب في عصر الموحدين، ١ النصارى والأندلس، ١ الرحلات الاستكشافية، ١٠ اللغة والأدب، ١ الموسيقى، وتسبق

www.ahlaltareekh.com



غرناطة من أكثر المدن الأندلسية المدروسة

هذه الدراسات مقدمتان للمحررة ومدخل تاريخي . الجزء الثاني (٧٨١ صفحة) يضم ٢٦ دراسة وملحق خرائط : ٦ بحوث في الفن والعمارة، ٣ التاريخ الاجتماعي وأسلوب معيشة، ٢ التاريخ الاقتصادي، ٣ فلسفة، ٤ الدراسات الدينية، ٨ العلم والتكنولوجيا والزراعة. وبسبب تعدد الدراسات، ومحدودية الحيز المساحي لهذه المقالة، فإننا عوضاً عن الوقوف عند كل دراسة على حدة، وهو أمر صعب، سوف نحاول التماس أفكار الموضوعات الرئيسة ومناقشتها وعرض خطوطها العامة.

يستحسن وقبل التصدي لهذه المسؤولية أن نقف قليلاً عند عنوان الكتاب، فلقد عنونت الطبعة الإنجليزية للكتاب بـ «تراث إسبانيا الإسلامية» The Legacy of Muslim Spain، وهو عنوان محدد يتماشى مع ما هو معترف به في الغرب من الربط بين «الأندلس» وإسبانيا الإسلامية (أو المسلمة)، وفي المقابل حملت

www.ahlaltareekh.com

الطبعة العربية العنوان «الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس» وعند موازنة العنوانين؛ يتبين أن عنوان الطبعة العربية ليس مغايراً لعنوان الطبعة الإنجليزية وأطول منه فحسب، بل يعرض العنوان العربي غير تعريف للتعريف بالشيء نفسه، ألا وهو حضارة الأندلس. فالمعروف عند أهل الاهتمام بالأندلس، قديمهم والمحدثين منهم، أن كلمة «الأندلس» بقدر ما تشير إلى الحيز الجغرافي والمكاني، تشير أيضًا إلى تجربة الوجود العربي ـ الإسلامي في ذلك الموضع الجغرافي والمكاني، فالكلمة صنو للعرب والمسلمين، (لأن مسمى الأندلس دخل إلى شبه الجزيرة الأيبيرية مع الفاتحين عرباً ومسلمين) ـ كما هو معروف ـ ، وخرج أيضًا معهم مع انحسار الوجود العربي ـ الإسلامي في الجزيرة ، وهذا ما هو شائع التداول في مسميات عناوين كتب الأندلسيين أنفسهم بدءاً بعبدالملك بن حبيب، ومروراً بابن الفرضي، وانتهاءً بعميد مؤرخي الأندلس، ابن حيان. وعليه فإن الاكتفاء بـ «حضارة الأندلس» كان من الممكن أن يعبر عن هدف العنوان ومضامينه.

يستهل موضوعات الكتاب بمقدمتين تاريخيتين: الأولى لعبدالعزيز الدوري، والأخرى لمحمود علي مكي. بينما تقتصر مقدمة الدوري على لمحات وخواطر عامة عن جغرافية الأندلس وملحوظات عن قادة الفتح ومساره وتنظيمات ضم الأراضي، إذ إن مقدمة مكي تناولت عصور تاريخ الأندلس في دراسة وافية ومركزة.

كان من الممكن أن يكون مقدمتا الدوري ومكي بمنزلة مدخل لدراسات تاريخية رأسية ومتعمقة تالية، في صورة موازية لموضوعات الكتاب الأخرى، وكان قد أدى ذلك إلى تعزيز البنية التاريخية للكتاب ممثلة قاعدة ترتكز عليها موضوعات الكتاب التالية، إلا أن تواصل العرض التاريخي لموضوعات الكتاب، خصوصًا في جانبه السياسي، قد تعرض إلى بتر واضح لم تتمكن الموضوعات الملحقة بها مباشرة، تاريخ مدن والأقليات، من سدّها. صحيح أن دراسات أخرى لاحقة تناولت أطروحاتها من منظور الحقب التاريخية الأندلسية المتوالية، إلا أن خصوصية تلك الدراسات أدّت إلى إضعاف الصلة المباشرة بينها وبين المقدمتين المذكورتين.

ولغياب الدراسات التاريخية عن الكتاب، تمّ إحلال دراسات لا تمتّ بعلاقة عضوية إليها كبديلة عنها؛ منها ثلاث عن مدن الأندلس، غرناطة وقرطبة وإشبيلية، وثلاث عن الأقليات الأندلسية: المستعربين والمدجنين واليهود والموريسكيين. ثم ألحقت بها ثلاثة موضوعات متنافرة: واحدة عن علاقة الأندلس في عقيدة الموحدين، وأخرى عن نصارى الشمال في عيون الأندلسيين، وثالثة عن الإطار الإسلامي للرحلات الاستكشافية.

«الأندلس» تجربة فريدة ومميزة في جوانبها الكثيرة، تجربة لها في قلب المتلقي العربي والمسلم مكانة خاصة، كما أن لها في ذاكرته مكانة عميقة

هوامش جانبية

ليس من الإنصاف رفض المباحث الآنفة بزعم عدم تأهلها لمفهوم الدراسة التاريخية؛ فهي لسبب أو لآخر تمتلك هذه الصفة، بيد أن هذا لا يمنع من القول: إن المباحث المذكورة لا تمثّل مساراً في عصب التاريخ الأندلسي، بل تمثّل هوامش جانبية لها.

إن المدن الأندلسية المدروسة: إشبيلية وقرطبة وغرناطة هي لا جدال أهم مدن الأندلس، فهي العواصم المتوالية التي عرفتها الحقب الإسلامية هناك، وهي بهذه الصفة تستحق الدراسة، بيد أنها، ولهذا السبب تحديداً، كانت من أكثر المدن الأندلسية المدروسة. ومع أن هذا لا يمنع من العودة إليها وتقديم مزيد من الدراسات عنها، إلاّ أن الدراسات الثلاث لا تقدم المسوغات الكافية لإنجازها. فدراسة روبرت هيلنبراد «زينة الدنيا، قرطبة القروسطية مركزاً ثقافيًا ١٥١ـ ١٨٢» ومع حماس كاتبه لعاصمة الإسلام في الأندلس، إلا أن أوصافه طغت عليها السردية التقليدية مما سبق لنا الإلمام بها، وغدا في كثير من أطروحاته وكأنه إجهاد للنفس في

www.ahlaltareekh.com

مخطوطة أندلسية

قضايا لا يلم بخلفياتها كثيراً. ولا يبعد رفاييل بالنثيا كثيراً عن سابقه، فهو على الرغم منه ـ كما يشار ـ متخصص في تاريخ الأندلس، إلا أن دراسته عن إشبيلية (٢١٧ ـ ٢٣٢) يمكن وصفها بالعادية، فهو يرجع في مصادره إلى دراسات ثانوية منها مرجع واحد بالعربية. والشيء نفسه يمكن أن يقال عن دراسة جيمس دكي (يعقوب زكي ١٥١ ـ ١٨٢) عن غرناطة، فهي أوصاف استشراقية تتقارب مع ما يصف به الأوربيون مدن الشرق الإسلامية خيالياً.

إن تاريخ مدن الأندلس، على اختلاف أدوارها، جديرة بتوجيه الاهتمام إليها ولاسيما تلك التي لم تنل حظها من الاهتمام، مثل: طليطلة وسرقسطة وبلنسية وماردة وبطليوس، ولكن بعمق أكثر مما درست بها مدن الأندلس الثلاث في هذا الكتاب.

إشارات

كان ينبغي إدراج الدراسات المتعلقة بالأقليات الأندلسية في تصنيف يتوافق مع ما هو متعارف عليه بـ «عناصر المجتمع الأندلسي» بدلاً من إدراجه ضمن الدراسات التاريخية. ودراسة عناصر المجتمع الأندلسي بدأت مع المؤرخين الإسبان، ومن ثم انتقل الاهتمام بها إلى المؤرخين العرب؛ وهذا أدى إلى أن تغدو دراسة متكررة. ولا يعنى ذلك أن دراسات الكتاب عن الأقليات هو تكرار لسوابقها، إذ تحوي بعضها طموحات الجدة والتفرد، مع إجماع أصحابها على التسامح والمساواة التي اطمأنت بها هذه الأقليات في الأندلس على أوضاعها، وهو إجماع متفق عليه أصلاً، وما عدا ذلك لم تأت الدراسات هنا بما يتجاوز ذلك.

بيد أن هناك أموراً ينبغي الإشارة إليها في مباحث الأقليات ومنها:

ـ معظم المباحث ليست إلا تعبيراً عن وجهة نظر أصحابها للمسألة، وعليه فإن الكثير من آرائها خلافية يمكن مناقشتها بآراء سائدة أخرى.

ـ معظم هذه الدراسات تعتمد في طرح خلاصتها على الحالات الفردية، ومن ثم يغيب عنها دراسة الأوضاع من الوجهة الجماعية، ومثال ذلك غياب الاجتهاد في تحديد العدد التقريبي لهذه الأقليات، ولعل غياب الأمثلة عن حالات المواجهات الجماعية بين هذه الأقليات وحكامهم من العرب ـ المسلمين تعطي برهاناً على أن العلاقة بين الطرفين كانت أسلس مما يحاول أصحاب مثل هذه الدراسات تعكيرها بإحالة فرضياتهم على

www.ahlaltareekh.com

الحالات الخاصة والفردية المنتقاة.
- العرب والبربر كانوا هم أيضًا أقليات، والأمر نفسه ينطبق على المولدين، وهذا يقودنا إلى الاستفسار عن غياب دراسات عن هؤلاء، وهذا بدوره يدفعنا إلى التساؤل عن غياب المؤرخين العرب والمسلمين في طرح مثل هذه القضايا في الكتاب.
- اعتمد معدو هذه الدراسات في معظمهم على المصادر الإسبانية، وغابت المصادر العربية عنهم بصورة ملحوظة، وهذا بدوره افتقد إلى التوازن المطلوب توافره عندما ينبري أمثال هؤلاء إلى الكتابة عن (هذه الأقليات) وعن الآخر، وهم العرب والمسلمون في الأندلس.
- ليس هناك اعتراض على دراسة الأقليات، فالأقليات عندما تدرس حركياتهم المشكّلة للوجود الجماعي في الأندلس، فإن هذا يؤدي إلى معرفة أفضل للنسيج

مدن الأندلس، على اختلاف أدوارها، جديرة بتوجيه الاهتمام إليها ولاسيما تلك التي لم تنل حظها من الاهتمام، مثل: طليطلة وسرقسطة وبلنسية وماردة وبطليوس

الاجتماعي الذي تشكل منه مجتمع الأندلس، بيد أن تكرار مثل هذه الدراسات من دون إضافة أفكار جديدة عليها، يؤدي إلى رسم انطباع بأن المكون الجماعي للأندلس لم يكن يتشكّل إلاّ من أقليات متنافرة، تنكر كل واحدة منها مصالح الأخرى وحقوقها، وهو في حقيقته كان - بصورة عامة - على الخلاف من ذلك (انظر الصفحات ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٧، ٣٠١).
الدراسات الأربع الأخيرة الملحقة بالدراسات التاريخية هي دراسات جادة، وتحوي - بخلاف دراسات المدن والأقليات - أفكاراً يمكن قول الكثير عنها لولا ضيق حيز هذه المساحة. ويتوجب التنويه خاصة بدراستي مادلين فليتشر «الأندلس وشمال أفريقيا في عقيدة الموحدين، ٣٩٥ - ٣٧٨»، ودراسة عباس حمداني «الإطار الإسلامي للرحلات الاستكشافية، ٤١١ - ٤٦٠». فالأولى تتصدى بفهم للمؤثرات المتبادلة بين المغرب والأندلس في مواجهة خطر الاندحار في الأندلس، والثانية في تتبع أصول الحركات الاستكشافية للحقب الأندلسية (الصفحات ٤١٦، ٤٢٢، ٤٤٣، ٤٤٧).

استثناءات

لا جدال بأن أهل الاهتمام بالأدب الأندلسي وتاريخه وميادينه سيجدون في المباحث العشرة المدرجة تحت تصنيف اللغة والأدب - إن لم يكن في الجانب المعلوماتي فعلى الأقل في الجانب التحليلي والاستنتاجي - ما يضيف إلى قناعاتهم سلبًا أو إيجابًا. فالقراءة الفاحصة والمتأنية لهذه المباحث تبين مدى الجهد الذي بذله أصحابها في استقراء مصادرهم، مما يوحي بمصداقية استنتاجاتهم. وعلى الرغم من أن أغلب هذه الدراسات هي متابعة تاريخية لأبرز أدباء الأندلس وشعرائها، إلاّ أن المتابعة هنا لا تنصب على السرد المعلوماتي فحسب، بل على إبراز الخصائص المستخلصة للأدب الأندلسي ومساهماته، ليس من منظور الأندلس فحسب، بل من منظور مداه العربي الشامل. وعلى الرغم من أن بعض هذه الدراسات تهتم بصورة خاصة بقضايا المثاقفة، التأثر بما كان في الذاكرة الأيبيرية، والتأثير لاحقًا في الآداب الأوربية، إلاّ أن مثل هذه التوجهات يخدم تعزيز الدور المؤثر وترسيخه للمساهمات الأندلسية في الأدب الغربي في عالميه الأوربي والعالم الجديد: الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، خاصة في الزجل والموشح والطروحات الإنسانية لكل من ابن حزم وابن شهيد (٦٠٣، ٦٠٥، ٦٣٧، ٦٣٩، ٦٤٥). وينبغي أن نتذكر هنا ما سبق لنا قوله في مدخل هذه المقالة أن ما يطرح عن الأندلس يتسم في معظمه بالتكرار، وأمام صور التكرار، فإن أغلب الدراسات هنا يمكن عدّها استثناءات من حيث الجدة والتطرق إلى جوانب أدبية قليلاً ما تتطرق إليها تلك الدراسات المتكررة، ويتوجب الإشادة بصورة خاصة بدراسة ماريا روز مينوكال

www.ahlaltareekh.com

«الأندلس وعام ١٩٤٢م: سبل التذكر. ٦٩٧ ـ ٧٢٦»، فهي دراسة دسمة ينبغي على أهل الاهتمام بالتجربة الأندلسية تبنى أفكارها واستيعاب مراميها، ويمكن أيضًا إدراج دراسة لوسي لوبيز بارالت «التراث الإسلامي في الأدب الإسباني. ٧٢٧ ـ ٨٠٢» لهذه التوصية، فبارالت تختزل في دراستها نتائج دراسات أخرى في الاهتمام نفسه، وتتابع بدقة قنوات توغل المؤثرات الأدبية الأندلسية في ذاكرة أدب العالم الجديد، كما تدرس توغل تلك المؤثرات في الأدبيات الإسبانية وتعددها. ولا يسع المرء إلاّ أن يلفت النظر إلى الدراسة اليتيمة التي يختتم بها الجزء الأول من الكتاب، وهي عن الموسيقى الأندلسية، والموسيقى الأندلسية والغناء كان لهما وجودهما في غضون التاريخ الاجتماعي للأندلس بدأت العناية بهما في المؤلفات الأندلسية، ثم تتابعت إلى حاضرنا. ويتابع أوين رايت ٨٠٣ ـ ٨٤٦ الموسيقى الأندلسية تاريخيًا مع التركيز في علمها زرياب، ثم يلج في قضايا تأثيرها في الموسيقى الإسبانية (التروبادور ـ الموسيقيين الجوالين ٨١٧) مع عناية خاصة بالتعريف بالآلات الموسيقية والمؤلفات الأندلسية في الموسيقى.

تنوع

موضوعات الجزء الثاني من الكتاب أكثر تنوعًا من موضوعات الجزء الأول. فهو يعرض لـ ٢٦ مبحثًا يتوزع على الموضوعات التالية : ٦ مباحث في الفن والعمارة، ٣ في التاريخ الاجتماعي وأسلوب المعيشة، ٢ في التاريخ الاقتصادي، ٣ في الفلسفة، ٤ في الدراسات الدينية، وأخيرًا ٨ في العلم والتكنولوجيا والزراعة.

تتصدر قائمة موضوعات الفن والعمارة دراسة أولغ غرابار «نظرتان متضاربتان إلى الفن الإسلامي في شبه الجزيرة الإسبانية. ٨٤٥ ـ ٨٥٥». وغرابار: هو علم من أعلام الدارسين للعمارة الإسلامية وفنونها عمومًا، والعمارة الأندلسية بوجه خاص. ودراسته هنا عن مسجد قرطبة تتماشى مع ما عُرف عنه من الاهتمام بالتفصيلات الدقيقة ومتابعة تغييراتها خلال الأيام. وينصب اهتمامه في هذه الدراسة، فضلاً عن الكتابة والزخارف وعقود المسجد وتيجانه، على توفير معلومات تاريخية في قضايا، مثل: المصحف الذي كان في منبره ـ أربع صفحات منه من مصحف الخليفة عثمان رضي الله عنه ـ وكذلك على العلب



الكتاب واهتمام بالعمارة الأندلسية

www.ahlaltareekh.com

العاجية التي كانت موزعة في محراب المسجد (٨٤٨ ـ ٤٨٩). ثم ينتقل في مناولته إلى قصر الحمراء، ويجمل أوصافه بالقول: إنه «لا يوجد بناء يشابهه». وتفرد الحمراء بهذه الصفات يجعلها أكثر الأبنية محاكاة في العمارة العالمية والأمريكية الجنوبية «بيرو والمكسيك» على وجه خاص.

يظهر التباين الواضح بين دراسة غرابار ـ الآنفة والدراسات الأربع التالية من حيث القوة والضعف. فبينما تتوجه دراسة غرابار إلى تفهم الخصائص المعمارية والفنية لمسجد قرطبة وقصر الحمراء، إذ تقدم الدراسات التالية شروحات عامة لخصائص العمارة المدجنة وتاريخها (تراث المدجنين) مع استعراض نماذج منها، ومحاولة تأكيد تأثير عناصر فن عمارة المدجنين في العمارة الإسبانية، وهو أمر مسبوق عليه، وتكرر جبريلين دودز أفكارها التي طرحتها في الدراسة السابقة (تراث المدجنين في فن العمارة. ٨٥٥ ـ ٨٦٢) مرة أخرى في دراسة تالية «فنون الأندلس. ٨٦٣ ـ ٨٨٤» بالانتقال إلى مسجد قرطبة، ونقدم هنا عرضاً تاريخياً لمراحل توسعته عبر الحقب الأندلسية. ويعود جيمس دكى (الذي سبق أن تطرق إلى موضوع عن غرناطة في الجزء الأول) إلى دراسة في «الحجم والمساحة في العمارة النصرية ٨٨٥ ـ ٨٩٠»، ويقدم ـ مثلما فعل سابقاً ـ دراسة، لعل من الممكن تسميتها «فلسفة العمارة». ومرة أخرى يقودنا إلى متاهات الرمزية والأحكام الفارضة. ومثلما بدأت موضوعات العمارة بدراسة غرابار الجيدة، تختم القائمة بدراسة جيدة أخرى. ج. ك. بيرغل «النشوة والانضباط في الفن الأندلسي: خطوات نحو مقترب جديد. ٨٩٠ ـ ٩٠٨» حيث يدرس الباحث بسلاسة أصول المؤثرات المحددة (شرعية ـ تحريم الصورة ٨٩١) لتطبيقات الفن الإسلامي عموماً، والتزام الأندلسيين لها، وإبداعهم فيها، ولعل بالإمكان ضم دراسة (أنتونيو فرنانديز بويرتاس ٩٠٧ ـ ٩٦٠) إلى دراسة بيرغل، فبويرتاس، في دراسة طويلة، يدرس تاريخ الخط الأندلسي ويتابع تحولاته عبر الحقب الأندلسية الكاملة. ولأن الخط الكوفي الأندلسي وظّف كتعبير فني، خصوصاً في الزخرفة العمرانية، فإن خلاصات بويرتاس تتماشى مع ما خلص إليه بيرغل عن ضوابط الفن الأندلسي، ولجوء الأندلسيين إلى زخرفة الخط كنوع من الانقياد لتلك الضوابط.

التاريخ الاجتماعي

ومثلما تصدرت دراسة غرابار قائمة دراسات الفن والعمارة، تصدرت دراسة بيير غيشار «التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين، من بداية القرن الثامن إلى بداية القرن الثالث عشر الميلادي، دراسة شاملة ٩٦١ ـ ٩٩٤» قائمة موضوعات التاريخ الاجتماعي. وكنا قد سبق لنا أن أبدينا ملحوظة عن غياب دراسات عن المسلمين (عرباً وبربراً ومولدين) ضمن الدراسات عن الأقليات في الأندلس؛ لأن هؤلاء أيضاً كانوا من ضمن هذه الأقليات، ودراسة غيشار مع أنها منصبة على متابعة السمات الاجتماعية للمجتمع الأندلسي، إلاّ أن الدراسة مع ذلك تفرد متابعة خاصة لهذه الأقليات بوصفها الأقليات التي يمكن متابعة التغييرات الاجتماعية عليها. وعلى النقيض من الدارسين الذين اعتمدوا على البراهين المعزولة والفردية، والذين لاحظنا فيهم ذلك عند الوقوف عند موضوع الأقليات، فإن غيشار حاول أن يعزز فرضياته بالاعتماد على تحديد أرقام إحصائية لكل من العرب والبربر والمولدين. وبهذا النهج، حاول أن يشير إلى التغيرات الاجتماعية المسجلة لهذه الفئات عبر المراحل السياسية الأندلسية، وفي المراكز الحضرية الكبرى، مثل: قرطبة وإشبيلية. ولعل ما يميز دراسة غيشار عن غيرها، هو توجهه إلى المصادر غير المطروحة سابقاً، مثل: كتب النوازل

حديقة الأندلس أقل خضرة، فأزهارها يغلب عليها الذبول، وثمارها الضمور، وأعشابها الشحوب. وفي حالتها الراهنة تلك، يغلب على ما هو متوافر عن الأندلس التكرار، ويحيد عنه الجدة والابتكار

www.ahlaltareekh.com



منظر عام لقصر غرناطة

والبلدانيين، وتقارير الحفريات الآثارية، وهو بهذا لا يبزّ أقرانه من المؤرخين الاجتماعيين فحسب، بل يدعو إلى نهج أسلم يتوجب متابعته. ولعل من المستحسن أن نشير إلى أن لغيشار عدداً من المؤلفات التي رسخ فيها منهجه هذا.

ويتبع الدراسة الآنفة دراسة اجتماعية فريدة أخرى لماريا ج. فيغيرا «أصلح للمعالي: عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس. ٩٩٥ - ١٠١٨». وعلى الرغم أن فيغيرا تتناول موضوعاً قلما لقي اهتماماً من قبل المؤرخين، إلا أن تناولها لا يقدم النموذج الأمثل في مثل هذا المجال، فهي - فضلاً على الانتقائية التي تتعامل بها مع نماذجها - تقيس أدلتها على أمثلة جانحة، ولا تقدم نموذجًا عاكسًا للمرأة الأندلسية العامة، (جارية زرياب وجارية المنصور «أنس القلوب»، وكذلك ولادة، التي تنظر إليها الباحثة على أنها مثال على تحرر المرأة الأندلسية غير الخاضعة لأسر القواعد والعادات الإسلامية) (ص ١٠٠٠).

صحيح أن الباحثة - في المقابل - تحاول تأكيد وجود نماذج أخرى للنساء الأندلسيات، إلاّ أن شق المحاولة هذه تبقى خالية من نماذج داعمة. ولعل الدراسة مثال واضح على مدى ما يسببه تقديم الحكم المسبق من استخلاص الأحكام. فالباحثة بحثت عن نموذجها (تعزو حالات التحرر لدى المرأة الأندلسية إلى تأثير العادات المسيحية ١٠٠٠) بما يتوافق مع نموذجها الغربي - المتحرر، وأشاحت من يمثلن النموذج السائد للمرأة الأندلسية.

الطبخ والاجتماع

أحسن القائمون على ترتيب موضوعات الكتاب صنعاً عندما أدرجوا دراسة دايفد وينز « فنون الطبخ في الأندلس ١٠١٩ - ١٠٤٠» ضمن موضوعات التاريخ الاجتماعي وأسلوب المعيشة، فالموضوع يتناغم تماماً مع سياق هذين الموضوعين. إن الطبخ، مثلما تتناوله

www.ahlaltareekh.com

هذه الدراسة، ليس عملاً مهنيًا يحذقه صانعه لإرضاء غريزة آدمية، وإن كان له نصيبه في ذلك، ولكنه ـ وبالقدر المعنى به هنا ـ هو رسم لصيرورة الحياة الاجتماعية والاقتصادية للفرد العربي ـ المسلم، في عالمه الإسلامي في نطاقه الأشمل، والأندلسي بالمعنى التعريفي.

على هذا الأساس ألف المسلمون في أدبيات الطبخ، ونظروا إليه بوصفه علمًا يجمع بين علم المعيشة والحسبة والصحة والطب والزراعة. وقد اختزل الباحث مصادر أدبيات الطبخ المعروفة، وقدم دراسة تعريفية لما كان لهذه الأدبيات من عناية ومساهمة عند المسلمين. ويستحسن أن نشير إلى كتاب فريد للباحث الذي ترجم إلى العربية بعنوان «في مطبخ الخليفة»، العصر الذهبي للمائدة العربية (لندن: رياض الريس للكتاب والنشر، ١٩٨٩م).

في موضوع التاريخ الاقتصادي، مرة أخرى يتصدر قائمة الدارسين باحث ضليع في حقله. إن بدرو شلميطا «صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي ١٠١٤ ـ ١٠٦٢». من المؤرخين الإسبان الذين لهم إسهامات واسعة في حقل التاريخ الاقتصادي للأندلس. وتظهر خلفية خبرته في دراسته هذه، فهو أولاً يطبق طروحاته على مرحلة طويلة متصاعدة في قوتها الاقتصادية (من الفتح إلى انتهاء حكم الأمويين في قرطبة ٤٢٢هـ/١٠٣١م)، وهذا يمنحه مجال ملاحظة الفوارق والتغييرات بين مرحلة وأخرى. كما أن الأدوات الموظفة في هذه الدراسة تبرز جدوى مثل هذا التوظيف على تشخيص الحالات الاقتصادية، وتدعم كذلك الأحكام المستخلصة منها: دراسة المؤسسات الاقتصادية (١٠٤٢) زراعية وصناعية ومتابعة تاريخهما بإحصاء الأرقام المسجلة للنظام المالي والضريبي لكور الأندلس (٣٣ كورة) مضافًا إليهما مدخول الجمارك (المدخول الكلي للأندلس في عهد الناصر ١٥٢٦٤٠٠ دينار). وهذه الدراسة تقترح مناهج جديدة للدراسة الاقتصادية، ولا جدال بأن متابعتها ستمنح الاهتمامات الاقتصادية لمجتمعات الأندلس أدوات موعودة تحل محل النهج التقليدي السردي الذي تعيش مثل هذه الاهتمامات تحت وطأته حاليًا.

وتنهج أوليفيا ريمي كونستبل «التجار المسلمون في تجارة الأندلس الدولية ١٠٦٣ ـ ١٠٨٨» منهجًا يلتمس بعض أدوات شلميطا. بيد أن طموحها يتعدى النطاق المحلي إلى الفضاءات الخارجية لتجارة الأندلس وحركية التجار الأندلسيين فيها، بما أسمته بتجارة المدى البعيد ودور التاجر (العالم) الرحال (١٠٦٧). ومع أن الباحثة تعتمد في معلوماتها على مصادر مطروقة (كتب التراجم والبلدانيين)، إلاّ أنها مع ذلك تؤكد ثبوت فرضيات كانت لا تزال موضع خلاف بين المؤرخين الاقتصاديين، مثل ؛ وصول النشاط التجاري الأندلسي ذروته في عهد عبد الرحمن الثالث (الناصر ٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ) وهذا يتوافق مع ما سبق لشلميطا قوله من اعتلاء الدخل المالي للأندلس ذروته من الضرائب والجمارك في الأندلس في خلال العصر نفسه ؛ تواصل تجارة الأندلس في المتوسط خلال أيام ملوك الطوائف، وتقلصها أيام المرابطين والموحدين، وانتقالها إلى يد النصارى، كلما نزلوا جنوبًا في الأندلس. خلال تلك الحقب ـ حسب رأي الباحثة ـ كانت الأندلس موزعة لمنتجات المشرق (الأقمشة والتوابل والفلفل) في أوروبا، وموزعة للزعفران وزيت الزيتون والجلود والأصباغ الأوروبية في المشرق. إن دراسة كونستيل تحوي أفكارًا مفيدة، ولعل قراءتها على خلفية كتابها الموسع، الذي ترجم إلى العربية مؤخرًا بالعنوان نفسه «التجارة والتجار في الأندلس»،

لعل ما يميز دراسة غيشار من غيرها، هو توجهه إلى المصادر غير المطروحة سابقًا مثل: كتب النوازل والبلدانيين، وتقارير الحفريات الآثارية، وهو بهذا لا يبز أقرانه من المؤرخين الاجتماعيين فحسب، بل يدعو إلى نهج أسلم يتوجب متابعته

www.ahlaltareekh.com



الكتابة والزخارف من عناصر فن العمارة الإسلامية

تعريب: فيصل عبد الله: الرياض: مكتبة العبيكان ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م سيكون مفيداً؛ لأنه سيضعنا أمام حقائق الوساطة التجارية الناجحة التي اضطلعت بها الأندلس بين عالم الغرب والشرق.

إن إكثار الغربيين وبعض أقرانهم العرب من الحديث عن الفلاسفة المسلمين يبدو أنه ربما أدى إلى استنزاف ما يمكن القول عنهم، ولم تعد الدراسات التالية قادرة على تقديم المزيد والجديد، وإذا كان هناك مثال على ما نقول فهو يتمثل في المباحث الثلاثة المعروضة في الكتاب الذي يدور في محيط هذا الفلك ؛ فالأول: «الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية ـ دراسة شاملة»، لميغيل كروز هيرنانديس ١٠٨٩ ـ ١١٢٤»، ليس إلا عرضاً لقائمة الفلاسفة الأندلسيين بدءاً بابن مسرة (٢٦٩هـ/ ٨٨٣م) بوصفه مؤسساً للفكر الأندلسي (ص ١٠٩)، وانتهاءً بابن الخطيب د.ت ٧٧٦م) الذي يعرفه الدارس بالفيلسوف الذي اشتهر بوصفه مؤرخاً (ص١١١٧) في الأندلس، وابن خلدون (٧٣٢هـ/١٣٣٢م) في المغرب (تونس).

المبحثان التاليان هما في واقع الأمر شروحات، كل مبحث يتوسع فيما أوجز فيه سابقه، فدراسة جمال الدين العلوي «فلسفة ابن رشد: تطور إشكالية العقل عند ابن رشد ١١٢٥ ـ ١١٥٤» هي توسع لما سبق لهيرنانديس تناوله عند الحديث عن ابن رشد (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، ودراسة ج. ك. بيرغل «ابن طفيل وكتابه «حي بن يقظان»، نقطة تحول في الكتابة الفلسفية العربية ١١٥٥ ـ ١١٧٨م» بالتوالي توسعة لما اختصر فيه العلوي من حيث التعريف بابن طفيل وأفكاره والإشكالية القائمة هنا أن الأفكار المعروضة في هذه الدراسات المتعلقة بالقضايا الفلسفية لا تسمح لنا بعرضها اختصاراً، كما فعلنا مع عرض أفكار الموضوعات الأخرى؛ لأن هذا يخل بأغراضها، كما لا تسمح لنا بالتوسع فيها امتثالاً للإيجاز. وتبقى هنا ـ مع ذلك ـ سمة جامعة لهذه الدراسات، وهي أنها تطبق على الأندلس بمحبسين، من جهة بمحبس التأثر بالفلسفة الإغريقية والأيبيرية، وفي الجانب الآخر بمحبس التأثير بالفلسفة الأوروبية (الغربية والعالمية) تاليًا. والإشكالية هذه سبق لنا التعرض لها في موضوعات اللغة والأدب ودراسات أخرى. والمدرسة الغربية ولاسيما الإسبانية الحالية تجهد في ترسيخ هذا النهج؛ لأنه يؤدي ـ كما يستحسنه أصحابه ـ إلى إظهار الإنجاز الأندلسي بوصفه إنجازاً ناسخاً لما كان قبله، ودوره في أفضل مساهماته هو دور الناقل والمكمل والمثقف لبعض جوانبه.

دراسات دينية

المساهمات التي طرحت تحت مسمى «الدراسات الدينية»، وهو مسمى قابل للنقاش، تتماثل في أفكارها مع بعض موضوعات الفلسفة الآنفة، بيد أنها تطوي في سماتها جدية الطرح يعززه عمق العرض. وتستهل الدراسات بموضوع دومنيك ايرفوا «علماء الأندلس ١١٧٩ ـ ١٢١٦». وإيرفوا صاحب مساهمات معروفة في متابعة التاريخ الفكري لعلماء الأندلس بالاستعانة بالحاسوب، وله دراسات رائدة في هذا النهج العلمي الجديد. ودراسته هنا تعكس طرحاً وعرضاً لخلاصات دراساته في هذا المجال. ويكمن لب أفكاره في إبراز مركزية المذهب المالكي (مالكية الأندلس) بوصفه مذهباً

www.ahlaltareekh.com

مالكًا للمسار الفكري الشرعي طوال الحقب الأندلسية على الرغم من ظهور دعوات لمذاهب أخرى، ويؤكد الباحث أن دعاة هذه المذاهب في الأندلس لم يكونوا سوى من المنتمين إلى المالكية. ويحظى يحيى بن يحيى الليثي، شيخ مالكية الأندلس، بعناية خاصة، كما تحظى قضية العلاقة بين السلطة والعلماء (شيوخ المالكية وأموي الأندلس) بطروحات جريئة (ص١١٩ ـ ٩١).

ودراسة مانويلا مارين «ممارسات المسلمين الدينية في الأندلس بين القرنين الثاني والرابع الهجريين / الثامن والعاشر الميلاديين ١٢١٧-١٢٤٠» تتضمن نقاطًا إيجابية يأتي على رأسها اعترافها بأن مسلمي الأندلس لم يحظوا بتسليط الضوء عليهم مثل الأقليات النصرانية واليهود، وهذا صحيح، وكنا قد ألمحنا إليه عند الوقوف على موضوعات الأقليات سابقًا، ولذا فإن بيرغل، وهذا هو الموضوع الثاني له، يحاول أن يدرس هذه الأقلية بالقول: إن أعدادها وصلت ذروة التصاعد العددي (وهو تحديد يعتمد على ما جاء في نظرية ريتشارد بولت) من بدايات القرن الرابع الهجري. ثم ينبري الباحث إلى شرح الوظائف الدينية، مثل: الحج وصلاة الجمعة والزكاة، ولا ينبغي أن ننظر إلى شروحات الدارس على أنها بديهيات معروفة، وهي وإن كانت كذلك للقارئ العربي، إلاّ أنها غير معروفة للقارئ الغربي، وهو ما حاول الباحث توجيه هدفه إليهم.

المبحثان المتبقيان من موضوعات الدراسات الدينية ليسا في صميم الممارسة الدينية لمسلمي الأندلس، بل في قضايا متفرعة منها ؛ الأول دراسة ماريا إيزابيل فييرو «الزندقة والبدع في الأندلس ١٢٤١/١٢٥٨»، والثاني دراسة كلود عداس «التصوف الأندلسي وبروز ابن عربي ١٢٥٩ ـ ١٢٩٦».

والدراسة الأولى مع خلاصتها بخلو الأندلس من الحركات المتطرفة عمومًا، إلا أنها تميل إلى القول بأن مثل هذه الحركات (المثال حركة شقنا «شقيا» المكناسي من ١٥١ ـ ١٦١هـ في عهد عبد الرحمن الداخل) كان عليها مواجهة قوة المالكية، بوصف الأندلس قلعة للمالكية أكثر من مواجهة السلطات الحاكمة، والخلاصة هذه تتنافى مع ما نعرفه عن فكر الأندلس في عهد الداخل، إذ لم تكن المالكية قد تحددت مكانتها بعد.

والمبحث الثاني عرض للمناخ الفكري الذي أدى إلى بروز ابن عربي، مع اعتراف الباحث بأن التصوف الأندلسي والمغربي كان فرديًا وذاتيًا من دون وجود لمرشد أو مؤثر مشرقي (ابن عربي انتقد متصوفة مصر، وإن كان قد أبدى تأثره بمتصوفة المغرب).

كثيرًا ما تحاول أدبيات لا تحصى أن تذكرنا بأن الأندلس كانت إحدى معابر نتاج إنجازات الحضارة الإسلامية إلى أوربا، بيد أن مثل هذه الأدبيات كانت كثيرًا ما تقف عند العموميات ولا تتخطى الأمثلة المثارة.

يبدو أن إكثار الغربيين وبعض أقرانهم العرب من الحديث عن الفلاسفة المسلمين أدى إلى استنزاف ما يمكن القول عنهم، ولم تعد الدراسات التالية قادرة على تقديم المزيد والجديد

علم وتكنولوجيا

ولعل الدراسات المدرجة تحت تصنيف «العلم والتكنولوجيا والزراعة»، تحمل من الطموحات ودقة التركيز ما يدفعنا إلى عقد الآمال على تمكنها من سد بعض أوجه النقص التي نحتاج إليها في هذا الميدان.

يستهل خوان فيرنيه «العلوم الفيزيائية والطبيعية والتقنية في الأندلس ١٢٩٧ـ ١٣١٤» هذه الدراسات بالتركيز ـ كما يوضح عنوان الدراسة ـ في نماذج من العلوم البحت. ومع أنه يبدأ بقضية التأثر من الحقب الرومانية، إلاّ أن التماس المؤثرات يحوله إلى المشرق الإسلامي لوضوح البراهين وتوافرها. ومن خلال وقوفه على بعض النماذج الأندلسية التي كان لها أثر في دعم التثاقف العلمي بين المشرق الإسلامي والأندلس، يخلص الدارس إلى أن ذروة وصول هذا النشاط إلى أوجه كان خلال حقب ملوك الطوائف، عصر الوهن السياسي. كما يشير الباحث إلى أنه وفي خلال ذات

www.ahlaltareekh.com

الحقبة كانت الأندلس قادرة على نقل إنجازاتها العلمية ليس إلى أوربا فحسب، بل إلى إعادة تصديرها إلى المشرق وصولاً إلى الصين (ص ١٣٠٦).

ويبرهن الباحث أن دروب التثاقف لم يتوقف في عصر الطوائف، بل تواصل إلى العهد المرابطي، ففي هذا العهد وصلت الأندلس فكرة المؤسسات العلاجية المشرقية (بيمارستان)، ومنها انتقلت الفكرة إلى المناطق النصرانية، ومنها إلى أوربا، ومثالها الطب وعلم الصيدلانية.

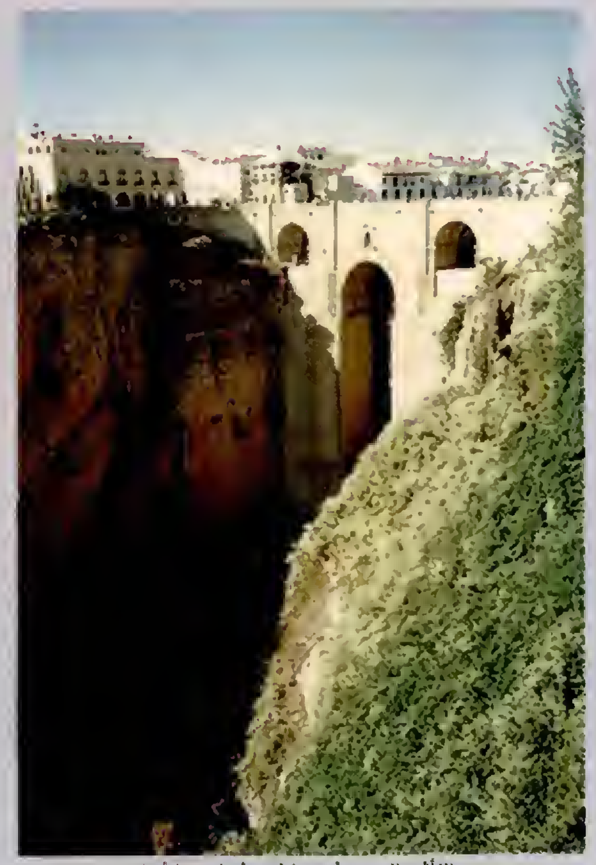
وبالتركيز في الرياضيات والهندسة والفلك، يواصل خوليو سامسو «العلوم الدقيقة في الأندلس ١٣١٥ ـ ١٣٤٤» تسليط الضوء على مسار هذه العلوم في الأندلس. وهنا يتبوأ المشرق بصفته مؤثرًا حصريًا في الأندلس التي يبدو أن ذروة تعاملها مع مثل هذه العلوم كان أيضًا في العهد الطائفي، إذ يرشح الدارس قرطبة وطليطلة وسرقسطة مراكز لهذه العلوم، كما يرشح عددًا من علماء الأندلس ممن كانوا يقطنون هذه المراكز، فأكثر البارزين في حقولهم، مثل: أبي القاسم المجريطي (ت ٣٩٧هـ/١٠٠٧م)، وأحمد بن السمح (ت ٤٢٦هـ / ١٠٣٥م) وأبي الحسن علي بن سليمان الزهراوي كلهم كانوا منها. ويختم الباحث متابعته بالإشارة إلى ثراء المساهمة الأندلسية في علم التنجيم.

إن الموضوع الذي يساهم فيه توماس. ف غليك «التكنولوجيا الهيدرولية في الأندلس ١٣٤٥ ـ ١٣٦٦هـ»، وإن كان يتدرج مع طبيعة الموضوعات الآنفة) إلا أنه يختلف عنهما بتوجهه إلى ما يمكن تسميته بعلم الري ونظم الزراعة.

وللعلم، فإن الباحث منذ أن كتب رسالته في الموضوع:

Thomas F. Glick, Irrigation and Society in Medieval Valencia, Cambridge, Harvard University Press 1970.

وواصل في متابعة موضوعه. غدا مرجعًا في حقله. ولا جدال بأن أهم ما يعزى إلى أفكار الباحث منافحته عن أصالة الابتكار الإسلامي لعلم الري، وقوله: إن الحكم الروماني والقوطي أهملا بيئة الجزيرة الأيبيرية



يبدو التأثير العربي في مناطق كثيرة من الأندلس

مما أحدث فيها ضررًا بالغًا، وكان للأندلسيين، بما أحدثوه من انقلاب زراعي يرنو بأصوله إلى طرائق الري التي كانت مطبقة في الجزيرة العربية والشام، دور ليس في إعادة الحيوية إليها، بل في إحداث نقلة زراعية في الجزيرة الأيبيرية تعيش على فوائدها إلى الحاضر. بهذه النقطة تحديدًا تبدأ إكسبيراثيون غارثيا سانشيز «الزراعة في إسبانيا المسلمة ١٣٦٧ ـ ١٣٨٤» دراساتها بالقول: إن «ركود الزراعة وتدهورها في شبه الجزيرة الأيبيرية انتشلها تطور الزراعة في الأندلس على أيام المسلمين » (ص ١٣٦٧). وتصعد الدارسة رأيها بالقول: إن المسلمين أحدثوا ثورة زراعية عظيمة في بلاد الأندلس. وتستعين لتعزيز براهينها بدراسة المؤلفات الأندلسية في الزراعة بدقة ومتابعة تاريخ المحصولات الزراعية (حبوب وبقولات وفواكه). فضلاً عن نباتات الزينة

www.ahlaltareekh.com


قصر الحمراء الشهير من أكثر الأبنية محاكاة في العمارة العالمية

والعطرية، وتختم بأن استحداث تقنيات الري واستصلاح الأراضي وإقامة السدود وحفر الآبار من قبل الأندلسيين كانت عاملاً لإحداث هذه الثورة الخضراء في حقول الأندلس.

كان من البداهة أن يكون أهل الأندلس أول المستفيدين من الثورة الخضراء التي أحدثت في بيئتهم. وتحرص لوسي بولنز «نباتات الصباغة والنسيج ١٣٨٥ - ١٤١٠» على وضعنا في هذه الصورة. ومع أن الدراسة مهّد لها الدارسون السابقون بتحديدهم الإسهامات الزراعية التي أحدثها العرب في الأندلس، فإن الباحثة ركزت أنظارها في أنواع من النباتات ذات الصبغة الخاصة، وهي نباتات النسيج والقطن والكتان والقنب والحلفاء وألياف النخيل، ونباتات الصبغة (النيلة) بألوانها المتعددة الأزرق واللازوردي (أزرق عكا) والأزرق الطبيعي . وتشير الباحثة إلى أن هذه الأصناف التي قدمها المسلمون للأندلس غدت مطلوبة بسبب الرخاء الاقتصادي، ليس في المجتمع الأندلسي، بل في الأوربي لاحقًا.

ويعود جيمس دكي «الحديقة الأندلسية: دراسة أولية في مدلولاتها الرمزية ١٤١١-١٤٣٨» ببحثه الثالث ليقدم دراسة وصفية لتصميمات الحدائق الأندلسية، ومع أن الدراسة تغرق في وصف الدلالات الرمزية، كعادة الباحث، إلاّ أن خطوط أوصافه هنا واضحة، وليس من الصعب استيعابها، ولاسيما عندما يربط الباحث بين تصميم الحدائق الأندلسية وتصميم السجاد المشرقي (الفارسي والهندي). وهذا الربط يقود الباحث إلى التطرق إلى «علم البستنة» الذي كان للمسلمين عمومًا دور في تقنينها، ويضيف أن نماذجها تعددت في نظام «الفيلا الأندلسية» التي انتشرت في محيط المدن الأندلسية الرئيسة، والتي عرفت بـ «الحير» مثل حير الزجالي، كما عرفت نماذجها في الحدائق العامة التي انحسرت من الأندلس مع زوال الحكم الإسلامي فيها.

حركة الترجمة

الترجمة بوصفها أداة لانتقال الفكر الأندلسي إلى إسبانيا النصرانية، ومن ثم إلى أوربا لاحقًا، كانت موضوع دراسة تشارلز بيرنيت «حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في إسبانيا ١٤٣٩-١٤٧٦». وفي الحقيقة تعدّ هذه الدراسة الطويلة من أغنى دراسات الكتاب ثراء في معلوماتها، فهي زاخرة بالأمثلة والبراهين التي لا تسمح الفسحة المتوافرة هنا من الوقوف على دقائق تفصيلاتها، بيد أن هذا ينبغي ألاّ يكون سببًا في المرور عليها دون الوقوف على نقاطها البارزة ومنها؛ أن أغنم ما حصل عليه النصارى

www.ahlaltareekh.com


عناصر جمالية متعددة في العمارة الأندلسية

الإسبان من استيلائهم على المدن الأندلسية كانت المخطوطات العربية الحاوية للعلوم الأندلسية، ولأن الكثير من الإسبان (المدجنين واليهود) كانوا قد حذقوا اللغة العربية، فإن جهودهم وظفت لترجمة هذه المخطوطات التي عرفت العالم النصراني ليس بالإنجاز العلمي الأندلسي فحسب، بل عرفتهم بالكثير عن الإسلام والمسلمين، فضلاً على دقائق الحياة الأندلسية في المأكل والمشرب، مما أدى أن تبنى النصارى لها وإحداث تغييرات ملحوظة في معيشتهم.

وتختم مارغريتا لوبيز غوميز «إسهامات حضارية للعالم الإسلامي في أوربا عبر الأندلس ١٤٧٧ـ ١٤٨٢» قائمة موضوعات أثر الترجمة في نقل الفكر الأندلسي إلى أوربا بدراسة مكملة للنقاط التي سبق لتشارلز برنيت طرحها في الدراسة الآنفة. وعلى الرغم من التكامل بين الدراستين، إلاّ أن الدراسة، إذا ما تجاوزنا تكرار طرح الأمثلة نفسها، تميل إلى تأطير أثر الترجمة في إحداث التقارب بين العالم الإسلامي - عبر الأندلس - والنصرانية، ونقل التجربة الأندلسية نفسها بوصفها مركزاً للاندماج العرقي والحضاري بين الشرق والغرب (ص ١٤٧٨).

ويختم الكتاب بالتعريف عن المشاركين في مباحثه، ويعرض خرائط خاصة أعدّها جيوسي زانون، ثم بفهرس دقيق ووافٍ.

بعد هذا العرض لمحتويات الكتاب، تتبقى عدة نقاط سنحاول عرضها بالقدر الممكن من الإيجاز:

١ـ مثّل الكتاب تحديًا كبيراً في عرض موضوعاته؛ وذلك ليس لتعدد مناحي موضوعات وتشعب أفكاره فحسب، بل لافتقاده العنصر الجامع لخطوطه.

٢ ـ الكتاب ليس للقارئ العادي، فعمق موضوعاته يحصر فائدته للقارئ الملم، والباحث المتخصص.

٣ ـ عدد لا بأس بها من دراسات الكتاب هي مختصرات مركزة لمؤلفات لأصحابها.

٤ ـ الكتاب لا جدال بأنه عمل خارق في مجال الترجمة، والجهد الذي بذله المترجمون يستحق الإشادة والتنويه. ومع أن بعض المترجمات لم تتمكن من التحرر تماماً من روح اللغة التي ترجمت منها، إلا أن جل الدراسات بدت كأنها كتبت باللغة العربية أصلاً.

٥ ـ هناك غياب واضح للمساهمين العرب.

٦ ـ لا جدال بأن الحسنة الكبرى للكتاب يتمثّل في إلحاق كلّ دراسة بقائمة واسعة من المصادر والمراجع، وبهذا يجمع الكتاب بين دفتيه أشمل قائمة ببيليوجرافية لوثائق الأندلس المكتوبة باللغات المختلفة.

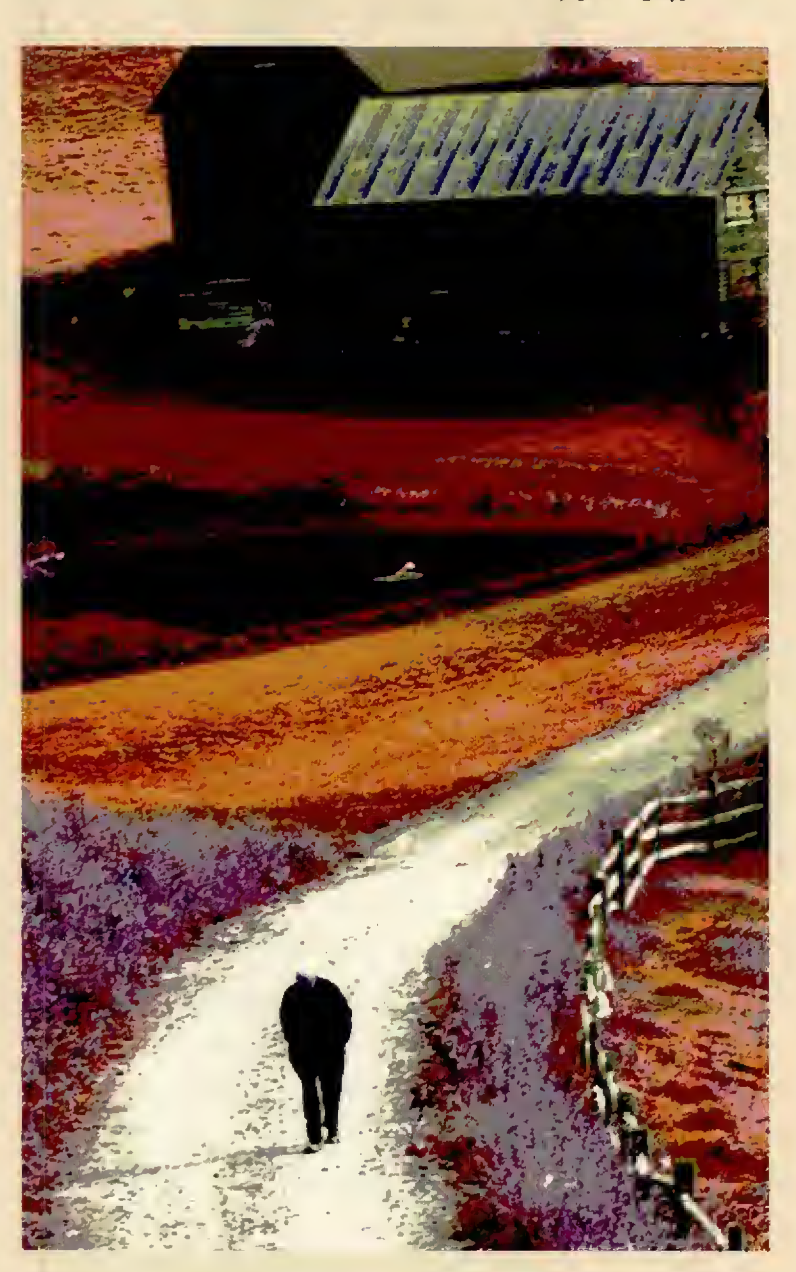
٧ ـ في الوقت الذي أزجي فيه الشكر والاعتراف لمحررة الكتاب الأستاذة الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي، فإنني أتقدم برجاء لها لكي تواصل الجهد بترجمة سجل ندوة الأندلس الكبرى التي عقدت برعاية مكتبة الملك عبد العزيز، ونشرت من قبلها باسم «الأندلس، قرون من التقلبات والعطاءات»، الرياض : ١٤١٧هـ/١٩٩٦م إلى الإنجليزية.

وسوف يؤدي هذا إلى امتلاك العالم السجل الأوفى للتراث الأندلسي وتاريخه، فالعملان يكمل بعضهما بعضاً عضوياً.

www.ahlaltareekh.com

قصائد قصيرة

عبدالله بن سليم الرشيد
الرياض - السعودية



قد يكون اعتذارًا:

إن الحـيـاة - وصـفـوها

كَـدَرٌ، وبارقـهـا جـهـامْ -

نفـضتْ عليَّ غـبـارها

وهمَى على غيري الغمام

فـأقِلْ عـثـارًا يا زمـا

نُ لعـاثرٍ واقْنَ الملام

إن الـذيـن رأيـتَ أشْـ

بـاهٌ، كـرامُـهمُ طغـامْ

حُـمِلوا على ثُغَـر البكو

رِ، وجئتَ في لجج الزحامْ

* حصار:

أنتَ المحاصر بالظنون وبالهموم..

وبعضُ من تخشى: أنا

الليل جاءكَ من هناك..

وقد أتيتُك من هنا

* الودّ الكاذب:

ودّ يذوب إذا ما الصدق ناءَ بِهِ

كقالب الثلج منصوبًا برمضاء

www.ahlaltareekh.com

العزف على ضمير المخاطب

أحمد عبدالحفيظ شحاته
شبين الكوم - مصر

أما زلتَ تهفو؟!
ويمرحُ بين خلاياكَ طيفٌ؟!
أراك تخيَّرْتَها
وتهلَّلْتَ في زهر مُقلتها
وانتشيْتَ بها
وانسكبْتَ على لُؤلؤٍ
في ندى صوتها
وصباها
تناسقْتَ في خطْوها
واتَّسقْتَ ببهجتها
أنتَ لم تُنكر الدَّلَّ
جُبتَ المدائنَ، بحرَ الرِّمَال
تلاشيْتَ، قمتَ، انثنيْتَ، انشطرْتَ
تكسَّرتَ، ذُبتَ - تجمَّعتَ في جذْوةٍ
قبلةٍ، جمرةٍ
وتشامختَ حدَّ التكاملِ
فاعتدَلَتْ صفَّتاكْ
عبرتَ إلى أفُقٍ
لا يراهُ سواكْ
على لُؤلؤٍ من فؤادكَ
جرحُ السؤال
تغنَّى اليمامُ بخَطْوكَ
حين انخطفْتَ لميقاتها
طائراً من هديلٍ
وحُلمَ فرَحْ
تخارجْتَ منِّي إليها
ولم تتركِ البحر رَهْوًا وراءكَ
لم تسترح
وحادثْتَ عنها وفيها
بحار النَّدى
فانبجسْتَ، فأطرقَ حولَكَ منكَ الذهولُ
تغنَّتْ بوجهكَ فيكَ السُّهولُ
وقامَ النَّخيلُ
تزاوجْتَ بالنُّور كالألق الحيِّ
همْتَ كشبَّابةٍ في شذى دمعها
تستجيشُ هوًى بالمدار الفصولُ!!
وما زلتَ تهفو، ويمرحُ بين خلاياك طيفٌ
ومازال للبحر والحب والأغنيات
خيالُكَ طيرًا يرفُّ
ومازال للحبِّ بين حناياك دفٌّ
ألا عدْتَ يا أيها المستخفُّ؟!
فما لك في الأرض وصفٌ!!
وما لك من سابقٍ في الصَّبابةِ
بحرٌ وموجٌ
وما من شراع يخفُّ!!

* * *

www.ahlaltareekh.com

أعيدي ما استطعت الهمس

وليد قنباز
حماة - سورية

هتفتِ تُسائلين الأمس: ما بي
فأعجزَني السؤالُ عنِ الجوابِ
أعدتِ ليَ الشبابَ بكلِّ لونٍ
كأنَّكِ كلُّ أحلام الشبابِ
وما زلْنا كما كُنّا تمامًا ...
كعُصفورَيْنِ في أدْواح غابِ
ومازِلنا كما كُنّا تمامًا ...
نُزاحِمُ كالطيورِ على الشّرابِ
إذا استَسقيتُ كنتِ سُلافَ عمري
فعمري عِنْدَ هاتيكَ الخَوابي
نداؤكِ لي ربيعٌ مستمرٌّ
يسافرُ بالورودِ على الرَّوابي
وقدْ أغلقتُ بابَ الحبِّ خوفًا
عليكِ، وها طلعتِ بألفِ بابِ
أحُبكِ، ما لهذا الحبِّ حَدٌّ
فأنتِ الماءُ يُغدقُ في سرابي
وجاوَزْنا الصِّعابَ، وأيّ حبٍّ
إذا لم يقتحمْ كلَّ الصِّعابِ
رَجَعْنا للشَّبابِ، وأمطرَتْنا
ثواني الوَصْلِ بالقُبَلِ العِذابِ
فكان عناقُنا سرًا جميلاً
كأنّا في عوالمَ منْ ضَبابِ
أتيتِ إليَّ يا أملي المُفدَّى
وقدْ ألغيتِ حُزني واغترابي
وأقسمُ ما نسيتُك ، كيف أنسى
حوارَ الجَفْنِ، أو بَرْدَ الرُّضابِ ؟
أراكِ أمامَ عيني حينَ أرْنو
ويدفعني الهُيامُ إلى اقترابِ
ولكنّي أخافُ عليكِ ممّا
تُدَبِّرُ في الخَفاءِ يدُ الذِّئابِ
أرى الخمسينَ لم تُخْمِدْ هَوانا
وكم فيهنَّ من شَهْدٍ وصابِ
ولو عادَ الزّمانُ إليَّ غَضًّا
لما جاوزتُ حبَّكِ في طِلابي
طويتِ بلحظةٍ عَجْلى سِنينًا
غدَتْ عشرينَ في عددِ الحسابِ
وكان غيابُنا ألمًا مريرًا
وأنْسانا اللقاءُ أذى الغيابِ
ستبقَيْنَ الحبيبة في حياتي
ونَبْضَ دمي، وعُنوانَ الكتابِ

www.ahlaltareekh.com



وتلكَ رغــــائبُنا فـــينا دليلٌ
على حبٍّ توهَّجَ بالرِّغــــابِ
وأنتِ غـدي ويومي بعد أمسي
وفي عينيكِ مجدي وانتسابي
كــأنكِ لم تزالي بنتَ عَــشــرٍ
وعَـشْرٍ، وهيَ حـاليـةُ الإهابِ
بدَتْ عـيناكِ لي وَهْجًـا نقـيًـا
أعـادَ جـمـالَ أيَّام التَّـصـابي
وثغــرُكِ مـا يزالُ كـيـوم كُنَّا
نَعُبُّ بهِ شـذا الشَّـهـدِ المذابِ

ومـا أخـفـتْ لكِ الأيَّامُ حُـسنًا
كـبدرٍ شَفَّ من خَلْفِ السَّحابِ
فظلِّي هكذا جَـسَـدًا غـريرًا
يُزيلُ الشَّكَّ منْ بعـدِ ارتيـابِ
ويابحرَ الهوى الغالي ... أعِدْني
لأفْنَى عندَ ذيَّاكَ العُـبــابِ
رجـوتُكِ أنْ تَظلّي في حـيـاتي
فـهـجـرُكِ لي أمَـرُّ منَ العِـقـابِ
ولا و اللَّهِ لنْ أنســاكِ حـتَّى
توارَى هامَــتي تحتَ التــرابِ
فأنتِ حبيبتي الأولى ... ويَبْقى
هواكِ اللحن في شَـدْوِ الرَّبابِ
ويبـقى صـوتُكِ الغـردُ المُنَدَّى
مُنَى عمري ... فهل تدرينَ ما بي ؟
وذاك لقـاؤنـا أحـلامُ عُـمْـرٍ
تُـنـدّي كـلَّ أزهـار الـرَّوابـي
إذا كــانَ النَّوى الدَّامـي عَـذابًا
فـإنَّ الحبَّ يحلو بالعــذابِ
وحظِّي في وصــالكِ قـد تنامى
كـحظِّ سـوابقِ الخـيْلِ العِـرابِ
أعيدي مـا استطعتِ الهمسَ إمَّا
قدَرْتِ ، فإنَّ في خَطئي صَوابي
ولـو طوَّفْتُ آفـــاقَ البَــرايا
فـإنَّ إليكِ يـا عُـمـري إيابي

www.ahlaltareekh.com

نادية

نورة ضحيان العتيبي

الرياض - السعودية

اليوم وبعد سبع سنوات كنا نعتقد فيها أننا نسينا وبإتقان ها نحن نلتقي ثانية....

الخامسة مساء.. وساحة الدار موحشة تنهض في صدرها شجرة السدر العتيقة؛ وقد أحاطت برأسها قطع من غيم لا مطر فيه.. سقسقة العصافير انبعثت من جوفها لحظة دخولي.. ضئيلة.. ونائية.. وكأنما تجئ من الغابات البعيدة.

كل شيء في مرمى بصري قد بدا عليه جلال الموت.

بذلت مجهوداً صغيراً لأتذكر مدخل النساء ومن الردهة الرئيسة وعبر ممر ضيق انتقلت إلى غرفة الجلوس، هناك كنت تجلسين بجوار أمك وقد بدا وجهك كقمر يستعد للأفول.

كان حتماً عليّ يا نادية أن أحضر هذا العزاء وكان حتماً عليك أن تصافحيني..

يدي تضغط على يدك تريد أن تقول لك شيئاً كثيفاً يشبه الأسف.. وكحمامة ضلت طريقها إلى العش تسحبين يدك بسرعة.

دورة الحياة قصيرة يا نادية أقصر بكثير من خصامنا هذا.. ها قد مات والدك بين يدي والدي رغم خلافات السنين الطوال.

وها أنا أمامك اليوم أخشاك كما لو لم يكن بيننا مودة وأرجو أن تكون نظراتك أقل مقتاً فربما أفلحت في قول شيء ما.

مرت ألف سنة وأنا أحشد صوتي لأقول لك شيئاً.. أي شيء.. تمتمت بكلمات لم أنطقها ولم تسمعيها، وتعمدت أن أجلس أمامك وطفلي بين ذراعي، لاحت منك نظرة سريعة إلى طفلي الذي تشاهدينه لأول مرة.. فرحت ساعتها.. توهمتك ستقولين شيئاً لكنك بقيت صامتة، ربما توهجت على شفتيك كلمة ثم خبت، أطلقت بعدها بصرك في اللاشيء.

حزينة يا نادية أنا أكثر منك حزناً عليك.

ليتني أستطيع الآن أن أسند رأسك المتعب إلى صدري لتبكي.. الآن يا نادية... الآن.. والزمن يطير من بين أيدينا، ونساء الحي يجلسن ها هنا كالدمى، وأمك تنظر إليّ مفصحة عن عدم الترحيب.

الآن ليتنا نقول شيئاً مختلفاً، وهل يسمح الموقف بالعتاب وأنت لست أنت.

ما رأيك أن نقوم الآن ونجمع (العبري)، هناك في الحديقة نجلس نشكل (بالصلصال) قلوباً صغيرة ثم نصعد الدرج معاً نتمشى في السطح قبل الغروب. أو تعالي لنشاهد (سالي) وننتظر (بابا نويل) عند نافذتي فربما مر ووزع الهدايا ونحن متخاصمتان، تعالي لتشرحي لي (القسمة المطولة) ألف ألف مرة ولن أفهم، ساعديني على رسم (الباترون) وسأكتب عنك موضوع (التعبير) وفي الفسحة ادخلي أنت زحام (المقصف) لأنك الأطول.

وربما سنذهب إلى (البقالة) نشتري علبة السجائر لوالدك ثم نتقاسم ما يتبقى من الريالات بيننا، نقف بعدها لنتفرج على (بسطات النساء) في ظل جدران المستشفى القديم....

ها هي أيامي معك تطوف في ذاكرة لم تكف يوماً

www.ahlaltareekh.com



عن استحضار أفراحنا الصغيرة وأنت هنا ما زلت صامتة في سكون يبدو صاخبًا إلى حد لن تسمعيني فيه.

لا أعرف كم مضى من الزمن وأنا أتلاشى في هذه الغرفة..

إحداهن قالت:

رحمه الله كان طيبًا... وبشوشًا.. وصمتت بعدها لتتوغل أمك في بكاء عريض وكأنما ندمت على شيء مضى، وكان في عينيك غروب صغير.

إنه ذات الغروب الذي أبصرته وأنت تقلبين ديوان (نازك الملائكة) كان في عصر يوم ثقيل.. لا أعرف لم قرأت علي قصيدة (غرباء)، صوتك الغامق الذي انقبض منه قلبي يومها ها هو يرن في أذني وكأنك تلقينها اللحظة:

(اللقاء الباهت... البارد... كاليوم المطير
كان قتلاً لأناشيدي.. وقبرًا لشعوري
صمتنا أصداء إنذار مخيف
ساخر.. من أننا سوف نعود.. غرباء)

غرباء يا نادية... أجل غرباء، وكأن الأمس لم يعرفنا رفيقتين نرتدي نفس الفساتين ونحمل الحقائب ذاتها.

هكذا فجأة لم تعد إحدانا تشعر بالأخرى

عبث.. حربنا هذه.. عبث أن تهدرنا خلافات الكبار.

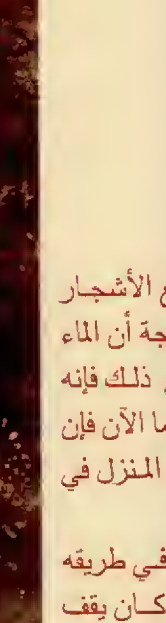
نظراتك السريعة إليّ كلما بدرت مني حركة تأهب للرحيل تقول بأنها فجيعة أن تنتهي هكذا، ومع ذلك سوف أعود بعد قليل إلى منزلي، أتمم عملاً ما في المطبخ، أسهر قليلاً مع كتبي، وأكتب ما حدث بيننا في دفتري أطفئ الأنوار بعدها وأنام، دون أن يحزنني ما حدث، فلم يعد كارثيًا أن نفترق، ولم يعد مهمًا إن كنا صديقتين فعلاً.

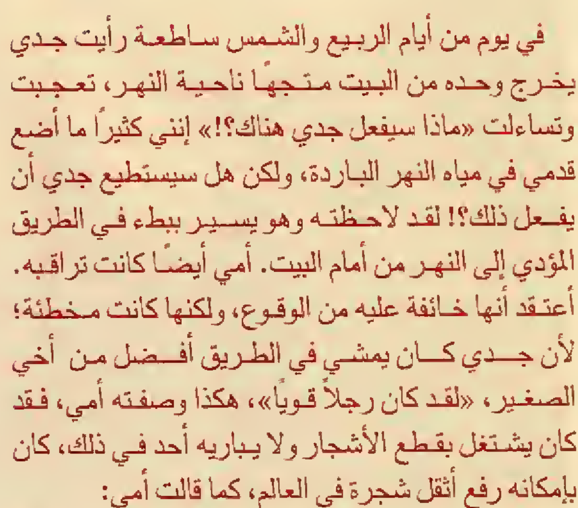
دقت الساعة السابعة.. وكل اللاتي حضرن للعزاء خرجن، وانتهى الوقت الذي كان لنا وأخرج وأنا على يقين بأني لن أعود إليك.

أخرج وفي نفسي كل الكلمات التي تمنيت لو أني قلتها، وكل الكلمات التي تمنيت لو أني سمعتها منك.

أخرج وشجرة السدر التي توهمتها يومًا لطيفة حتى في ذبولها ها هي شاهقة الخضرة وقد بدت أكثر توحشًا وازدهارًا، لقد أصبحت أكبر، وتمددت في الفضاء أكثر فأكثر.

www.ahlaltareekh.com





أبريل الأخر

جاسي إستيوارت

ترجمة: مسعد مسعد شتيوي

العريش - مصر

في يوم من أيام الربيع والشمس ساطعة رأيت جدي يخرج وحده من البيت متجهًا ناحية النهر، تعجبت وتساءلت «ماذا سيفعل جدي هناك؟!» إنني كثيراً ما أضع قدمي في مياه النهر الباردة، ولكن هل سيستطيع جدي أن يفعل ذلك؟! لقد لاحظته وهو يسير ببطء في الطريق المؤدي إلى النهر من أمام البيت. أمي أيضًا كانت تراقبه. أعتقد أنها خائفة عليه من الوقوع، ولكنها كانت مخطئة؛ لأن جدي كان يمشي في الطريق أفضل من أخي الصغير، «لقد كان رجلاً قوياً»، هكذا وصفته أمي، فقد كان يشتغل بقطع الأشجار ولا يباريه أحد في ذلك، كان بإمكانه رفع أثقل شجرة في العالم، كما قالت أمي:

سألت أمي: «إلى أين هو ذاهب.. هل سيقابل أحدًا؟!» فأجابت برقة «إنه لن يقابل أحدًا» قلت لها: «إنني سمعته يقول: إنه ذاهب لمقابلة صديق قديم»، فضمتني إليها بلطف وأجابت: «مجرد كلام». لاحظت أن جدي توقف تحت شجرة الأناناس التي في فناء الدار، وأسند ظهره عليها وخلع قفازيه، وببطء انحنى ناحية الحشائش والتقط زهرة من زهور الربيع وأخذ يقطعها إلى أجزاء صغيرة كما لو كان يبحث عن شيء ما، ولكنه سرعان ما ألقاها على الأرض. سألت أمي ماذا يفعل جدي؟! فلم تجبني، سألتها ثانية: «منذ متى وجدي يعيش معنا؟» أجابت: «إنه يعيش معنا من قبل أن تولد.. منذ أحد عشر عاماً وهو يعيش معنا.. لقد توقف عن قطع الأشجار منذ أن بلغ الثمانين عاماً، وعمره الآن ٩١ عاماً».

لقد حكت لي أمي قصصاً كثيرة عن جدي وعرفت منها أنه كان يذهب لقطع الأشجار في أكثر الأيام برودة، لدرجة أن الماء كان يتحول إلى ثلج! ومع ذلك فإنه لم يشعر يوماً ما بالبرد! أما الآن فإن أمي لا تدعه يخرج من المنزل في الشتاء.

لاحظت أن جدي وهو في طريقه إلى حيوانات المزرعة، كان يقف لينظر ويدقق في أصغر الأشياء، وقد رأيته ذات مرة يلوح بيده لطائر حلق فوق رأسه، وأحياناً كان يقف معرضاً وجهه لرياح الربيع اللطيفة، ثم يخلع قبعته ليجعل الهواء يطير شعره الأبيض. رأيت جدي ينادي على حيوانات المزرعة فاتجهت إليه مسرعة فأخذ يلمس بيده كل حيوان على حدة.

كانت هذه أول مرة منذ الخريف الماضي تدعه أمي يخرج وحده من المنزل. كان جدي مغرمًا بهواء أبريل المنعش الذي يهب عبر الحقول، وبشمسه الساطعة. كان يحب الحشرات والحيوانات والأشجار والزهور. كان جدي يأخذ نزهة قصيرة يومياً طوال فصل الربيع، ولكن مدة تجواله كانت تقل عاماً بعد عام. ففي هذه السنة مثلاً لم يستطع جدي الذهاب إلى آخر شجرة في المزرعة كما فعل في السنة الماضية. في السنوات الماضية كان يذهب من أول المزرعة حتى نهايتها، وعندما يعود إلى البيت كان يحكي لي عن كل ما رأى في أثناء تجواله. عندما ذهب جدي إلى حظيرة الحيوانات رأيته أنا وأمي وهو ينزل ببطء وهدوء على

www.ahlaltareekh.com



ركبتيه وينظر بإمعان إلى الأرض، فسألت أمي في دهشة وتعجب «إلى أي شيء ينظر هكذا يا أمي؟! وعندما سمعته يقول: «ها أنت ذي يا صديقتي القديمة» سألت أمي: «من هي صديقته القديمة هذه يا أماه؟!» ولكنها لم تجبني. وقد رأيت حينئذ من تكون صديقته هذه! إنها كانت تبدو كصخرة. إنها سلحفاة! قلت لأمي: «إن جدي يداعب تلك السلحفاة العجوز يا أماه»، أجابتني بصوت رقيق: «أعرف ذلك يا ولدي» قلت لها: هذه السلحفاة لا تغضب عندما يلمسها جدي، أليس كذلك يا أمي؟ هزت رأسها بالموافقة. ولكن السلحفاة لن تدعني ألمسها، لماذا تفعل ذلك مع جدي وليس معي؟ ابتسمت أمي خلسة وقالت: «السلحفاة تعرف جدك». قلت لها: «ولكنها يجب أن تعرفني أيضًا». لماذا إذن تختبئ داخل قشرتها الصخرية عندما أقترب منها؟ ويبدو أن أمي لم تسمعني؛ لأنها كانت تستمع إلى جدي وهو يتحدث إلى السلحفاة. وسمعناه يقول لها: «لقد كان شتاءً باردًا هذا العام، هل عانيت من شدة البرد وأنت في بيتك تحت الحظيرة؟». «أدارت السلحفاة رأسها ناحيته، كانت تحاول أن ترد عليه، ربما كانت تفهم ما يقول! استطرد في حديثه إلى السلحفاة فأضاف: «إنني سعيد برؤيتك مرة ثانية يا صديقتي القديمة».. جلست السلحفاة هادئة وتركت جدي يلمسها بيده الكبيرة.

سألت أمي: «إنني لا أفهم لماذا لا تعضه؟» فأجابت بأن هذه السلحفاة عاشت تحت الحظيرة لسنوات عديدة، وجدك يعرفها منذ أحد عشر عامًا، ويتحدث إليها في الربيع من كل عام، فسألتها: «وهل هي عجوز مثل جدي؟» فقالت: «هناك رقم مكتوب على قشرتها الصلبة وهو ١٨٤٧، وربما تكون عاشت قبل تلك السنة». فتعجبت! وكيف تعيش السلاحف كل هذه السنوات، ومن ياترى هذا الشخص الذي حفر الرقم على ظهرها، وأين حدث ذلك، ومن هذا الذي كان يسكن هنا، وهل كان يشتغل بقطع الأشجار مثل جدي، ويستمتع بأبريل مثله، وهل كان يتحدث مع نفس السلحفاة؟

بعد أن رحب جدي بالسلحفاة سمعناه يسألها هذا السؤال الغريب: «هل مازال رقم تليفونك كما هو؟!» فأومأت السلحفاة بنظرها إليه. وهنا سألت أمي: « هل سألت السلحفاة جدي عما إذا كان سعيدًا!» فأجابتني برقة: «لا أعرف». قلت لها: «أنا لا أستطيع التحدث إلى السلاحف ولكن جدي يستطيع». وعندما سمعت جدي وهو يقول للسلحفاة: عندما تنضج الطماطم وتصبح حمراء، سنذهب معًا لنأكلها»، كان في ذلك مفاجأة أخرى لي، فلم أكن أعرف أن السلاحف تأكل الطماطم. قالت أمي: «لقد اعتاد جدك أن يقدم لها الطماطم منذ عدة سنوات وكأنها إحدى أفراد عائلتنا». قلت لها: «إن جدي يشبه السلحفاة.. أليس كذلك يا أمي؟!». وهنا اغرورقت عيناها بالدموع وحاولت أن تبتسم، وحينئذ سمعنا جدي يقول: «إن البرد شديد الآن، ارجعي ثانية إلى بيتك وسوف أعود لرؤيتك فيما بعد». دفعت السلحفاة برأسها ليبرز أكثر وهي ترقب جدي وهو يبتعد عنها ببطء ويقول: «وداعًا يا صديقتي القديمة». وأخذت تنظر إليه حتى دخل المنزل، وحينئذ ذهبت السلحفاة إلى بيتها تحت الحظيرة.

www.ahlaltareekh.com

رَجُلٌ مَشَتْ بِهِ سَاقَاهُ

يوسف سويسي
منفلوري - تونس



في صباح يوم شتويّ ماطر، خرج من بيته الكائن في الطابق الثالث من العمارة رقم ١٤، الواقعة في شارع الحرية في وسط العاصمة تونس. توجه نحو ساحة الجمهورية، وفي الطريق إليها كان قد قطع سكة المترو، ومر بجانب جامع الفتح، وهو لا يرى شيئًا ولا يسمع شيئًا. وانتبه إلى الدنيا، حين سمع سائق سيارة يصيح ويسب سائق حافلة قطعت عنه الطريق. إلا أنه لم يرفع رأسه، وواصل طريقه نحو مكتبه الذي أصبح يعرف موقعه بشكل يشبه معرفة الحصان مربضه، فيسير إليه دون أن يساق.

في الساعة التاسعة، دخل مكتب البريد في نهج روما، رفع رأسه فرأى القابض واقفًا كجندي حراسة، وتأمل فيه، فتولد في داخله إحساس غريب بأنه مشرف على هوة عميقة. فثبت بصره في بلاط القاعة، وواصل طريقه وفجأة ارتعشت ركبتاه ارتعاشة شديدة، حين سمع صوتًا آدميًا قويًا، ولكنه لم يفهم ما قال ولا من نطق به. رفع رأسه فوجد القابض يحرك شفتيه، والصوت المرتفع ما زال يدوي في القاعة الرئيسة لمكتب البريد. وبعد لحظات من التيهان، أدرك أن ذلك الصوت يخرج من بين تينك الشفتين، وأن الصوت كلام موجه إليه. وبما أنه لم يفهم شيئًا مما قاله له القابض لم يرد. فقال القابض: «احْشِمْ شْوَيَّة عَلَى رُوحك كُل يوْم تْجِي مِتْأَخَرْ؟». وعندئذ قال مستنكرًا: «منْ فَضْلَكْ سي مُحَمَّدْ، مَا تْكَلِّمْنِيش بالطريقة هَاذِي». «فرد القابض: «بَاش تْعَلّمْنِي كِيفَاش نتْكَلّمْ؟ على كُلْ حَالْ مُش هَاذَا موضوعنا، سِي هشام، تفضل عندي في المكتب».

وما إن دخل هشام مكتب القابض حتى رفع القابض ورقة في يده اليمنى، وهو يمسك بها بين الابهام والسبابة، وصاح في وجهه مرة أخرى: «تْفَضَّلْ يا سَيّدْ، شُوف آشْ عْمَلْتْ». ونظر هشام إلى الورقة وحاول أن يقرأ ما فيها، غير أن القابض قذف بها على الطاولة. فأخذها هشام ويده ترتعش وأفكار مشوشة تجوب ذهنه وقرأ الورقة، ثم جلس على الكرسي. فقال القابض: «آشْ رَأيِكْ؟» فلم يرد هشام.

لقد وجهت له الإدارة المركزية دعوة للمثول أمام لجنة تحقيق للاشتباه في قيامه باختلاس ثلاثة آلاف دينار من أموال مكتب البريد. فعادت إلى ذهنه مشاهد مختلفة من الشهور القليلة الماضية

www.ahlaltareekh.com



التي دأب فيها على تزوير بعض وثائق المتعاملين مع مكتب البريد. وتذكر أيضًا المبالغ القليلة التي كان يختلسها. وهذه هي المرة الأولى التي يعرف فيها أنه اختلس ثلاثة آلاف دينار.

وبينما كان القابض يتحدث مرة أخرى بتشنج، لم يكن هو يسمع شيئًا أو يدرك شيئًا مما يحدث حوله، بل كان يغوص أكثر فأكثر داخل ذكريات الشهور الماضية. تذكر مطالبة صاحب الشقة له بتسديد ما عليه من ديون تخلدت بذمته. وتذكر كيف فقد القدرة على خلاص معلوم الكراء نتيجة المصاريف التي تكبدها من جراء مرض امرأته. ورغم ما بذله من أجلها، لم يستطع أن يغير القدر الذي اختار أن يلحقها بقوافل الموتى في ليلة من ليالي الخريف الماضي، في غرفة من غرف مستشفى عزيزة عثمانة، لم يتحمل الصدمة وأدمن الكحول ولم يعد مهتمًا بنفسه أو بغيره، فقد وجد نفسه وحيدًا بعد أن قضى مع زوجته عشر سنوات، ولم تنجب له خلالها أطفالاً، وقضت السنوات الثلاث الأخيرة تصارع المرض. وأمام ضغط الإدمان من جهة، وضغط صاحب الشقة من جهة أخرى اضطر إلى اختلاس مبالغ مالية من أموال مكتب البريد عبر التلاعب بحسابات الحرفاء.

ودون أن يظهر أي تفاعل مع ما كان القابض يقوله، نهض من كرسيه، وتوجه نحو الباب وفتحه ثم أخذت ساقاه تمشيان به إلى خارج مكتب البريد، ونزلتا به الدرجات الثماني الموجودة في المدخل. وأخذتاه في رحلة لم يعد يدرك بدايتها ولا نهايتها. وكل ما في ذهنه هو الإحساس بأنه يقف داخل زنزانة وتأتيه أصوات عالية من كل جهة: «أنتَ سارِق»، «يا فاشل»، «مَا عِنْدَك وِينْ تهْرُبْ»، «خسرت كل شيء».

وها هو ذا هشام يقطع شارع الحبيب بورقيبة، دون وعي، وشيئًا فشيئًا يمر بجانب المسرح البلدي ثم المركز التجاري. وفي تلك اللحظة تعالت أصوات عديدة كلها تردد نفس الجملة: «رُدْ بَالِكْ رُدْ بَالِكْ». ولكن هشام لم يكن يدرك أن الناس كانوا ينبهونه إلى أن الميترو قادم. وسمع المارة في لحظة بائسة صوت ارتطام مقدمة عربة المترو بذلك الرجل الذي مشت به ساقاه إلى حيث موعده مع الموت. وتوقفت العربات المعدنية الثقيلة على مسافة خمسين مترًا تقريبًا من موقع الارتطام..

www.ahlaltareekh.com



تعقيبًا على مقال الحسن جالو

لم يكن حكيماً ولا عقلانياً !!

قضايا معاصرة

الإسلام والمسيحية في غرب إفريقية وجهاً لوجه

قراءة استطلاعية على ضوء الأحداث في كوت ديفوار

الحسن سعيد جالو

فوجئ الناس وصدموا بما رأوه على شاشات التلفاز من مقابر جماعية في كوت ديفوار تضم المدنيين العزل قتلوا برصاص الشرطة والجيش في ظروف وحشية لا يمكن وصفها.

طالعت باهتمام مقال الأستاذ الحسن سعيد جالو «الإسلام والمسيحية في غرب إفريقية وجهًا لوجه» في عدد ذي الحجة ١٤٢٣هـ من مجلة الفيصل، ولكني وقفت فيه على عدد من مواطن الضعف.

فإذا نظرنا في المراجع نجد (٥) استماعات إذاعية : (٣)منها عن هيئة الإذاعة البريطانية و(٢) عن ردايو فرنسا العالمي، فلا نجد صحفًا أو دوريات إخبارية سواء من إفريقية الغربية التي لا تعدم صحافة ملتزمة ومسؤولة، أو من أوربا التي تجمع مقالات صحافية من العالم أجمع دون أي تدخل.

فالخبر المكتوب يبقى ضروريًا، بل هو أكثر صدقية؛ وذلك لأن الخبر المسموع قد نخطئ في الاستماع إلى بعض حيثياته، بل قد يكون متسرعًا أحيانًا.

أما بقية المراجع فهي أربعة كتب، وقد كان من الضروري في مقال علمي غير صحافي، أن يكون عدد مراجعه من كتب أكثر من عدد مراجعه من استماعات، وليس في هذه الكتب مرجع في الإثنولوجيا الدينية والجغرافية الدينية لساحل العاج «موضع الدراسة»، كما اكتفى صاحب المقال بمرجعين عن تاريخ المسيحية بإفريقية السوداء: أحدهما لرجل متعصب هو هاستنغ، ولكن لا مرجع عن الإسلام، وتاريخه بإفريقية الغربية، وهذا اختلال واضح خصوصًا أن العنوان يضع دينين وجهًا لوجه!!

على مستوى المضمون، استعمل الكاتب ألفاظًا عاطفية في كثير من المواطن مثل: «معانقة رائعة بين الصوفية والنظم الإفريقية»، و«أسماء ما أنزل الله بها من سلطان مثل الشرك والتخليط»، وهكذا، دون أن يبين لنا مشهدية هذا العناق ولا شكل «روعته» ولا وجه الخطأ في هذه «الأسماء» التي تبدو «موضوعية»؛ فقد كان بإمكانه أن يُحيلنا إلى مراجع، على الأقل.

ومن ناحية أخرى، هل اللغة العربية عاجزة عن التبليغ وحدها حتى نضع أمام كلمة «الشرك» Syncretism وأمام كلمة «التخليط» Mixing ؟! فالعربية لسان مبين!

في السياق نفسه استعمل الكاتب لفظة «كوت ديفوار» في العنوان، واستعمل في النص لفظة «ساحل العاج»، وقد يعني ذلك «إهانة» للغة العربية، خصوصاً أن تسمية «الولايات المتحدة» بتسميات مختلفة في لغات العالم، وكذلك تسمية «هولندا» أو «ألمانيا» أو «بولندا» لا ينقص من قيمتها في العالم شيئًا، فما بالنا بقيمة ساحل العاج العالمية ؟!.

على مستوى أعمق، يؤكد الكاتب أن ساحل العاج كانت «دولة قانون» و«تسامح»، على عكس أكثر دول القارة، إذ تم بناء الدولة فيها «على أساس المُواطنة فقط، وليس على أساس الدّين والعرق والثقافة»؛ وذلك لأنها «كانت محظوظة عندما وقعت بعد الاستقلال في يد رجل مسيحي متشبع بروح إفريقية سمحة»، إنها لغة إطلاقية، غير علمية: «فقط» بكلّ حصرية، وتصوير لرجل عادي كأنه نيوتن بيده تفاحة، أو أب نبويّ يشمل أبناءه بـ«حكمته» (فهو رجل «حكيم» في نظر الكاتب).

www.ahlaltareekh.com

وقد اعتمد في رأيه هذا على كتاب تمجيدي غير علمي مطلقًا، عن الرجل ليسيراديُو ديالو، صادر عن ناشر صحافي «جُونْ أفْريكْ»؛ بينما لو رجع إلى كتاب جاك دوجاردان الصادر عن «بلُونْ» بباريس ١٩٩١م، لكان أفضل؛ لأن المؤلف متخصص في العلوم السياسية المطبَّقة على شؤون إفريقية الغربية، ومعروف بموضوعيته.

ففي هذا المؤلَّف نكتشف أن «هُوفْوات بْوَانْيي» رجل لا يتسم بـ«حكمة» ولا فلسفة إفريقية، كما ذكر الحسن جالو، بل متعلم بسيط في المدرسة الفرنكوفونية، يحتقر ثقافته العاجية إحيائية كانت أو إسلامية، فكراً ومعتقدات ولباساً وطعاماً وموسيقى ورقصاً وديناً وعمارة وتشكيلاً، وكان فرنكوفونياً في كل ممارسته وأفكاره، قامعاً كل من يخالفه في ذلك من المثقفين؛ وكان تابعاً للإملاءات الفرنسية سياسياً، وفي البَرْمجة المدرسية والتخطيط الثقافي إلى حد عزل ساحل العاج عن بيئتها الإفريقية ثقافياً، فحتى لغة المدرسة العاجيّة- البوانْيَويَّة لا نجد فيها لغة الأكثرية اللسانية في البلاد على الأقل، مع أن اللغات الإفريقية قادرة على أن تكون لغات للعلوم الحديثة نفسها كما أكد اللسانيون.

أما سياسياً، فهو رجل نصَّبَتْه فرنسا، ولم يأت إلى السلطة نتيجة «ديمقراطية» أو انتخابات حرة، وقد كان طغيانيا «دكتاتوريًا» رافضًا لتعدد الثقافات والأحزاب، ولو كان «ديمقراطيا» فعلاً لخضع إلى سلطة الأكثرية؛ ولأن الأكثرية مسلمة يجب أن يكون الحاكم مسلمًا، حسب المنطق «الديمقراطي». فهل يجوز أن يرأس الولايات المتحدة أو الاتحاد الهندي اللتين أكثريتهما غير مسلمة ـ مُسْلم، دون انتخابات أو بتنصيب أجنبي أو بانقلاب عسكري؟!

وهنا يُعاكس الحسن جالو المنطق «الديمقراطي» عندما يرى أن وجود رؤساء مسيحيين على دُوَل ذات أكثرية مسلمة بإفريقية الغربية «ميزة» وأمر إيجابي؛ فهم لا يمثلون الأكثرية، بل إنهم عسكريون متغلبون. ويبالغ الحسن جالو في التفاؤل بالولايات المتحدة ليرى أن موقفها «ناضج جداً»؛ فهي «تلح على إصلاحات ديمقراطية سليمة وعميقة في المنطقة»، بينما يؤكد الكاتب الأمريكي كارين بوريش أن السلطة الأمريكية والسياسيين الأمريكيين المتنفذين متطرفون بروتستانت، وأن الرئيس الحالي «بوش» يحرص على بداية يومه بقراءة عظات مبشر مسيحي عسكري هو «أوزوالد شيمبرز» الذي شارك في الحملة على فلسطين عام ١٩١٧م، لانتزاعها من المسلمين والمسيحيين، سكانها الأصليين. كما يؤكد داميان طمبسون صاحب كتاب «نهاية الوقت» أن أصولية بروتستانتية متمكنة من السياسيين الأمريكان تؤمن بضرورة غرس اليهود في فلسطين ودعمهم من أجل تقريب موعد مجيء المسيح حتى «نكون مهمين في نظر الرب».

لقد ضيّع بوانيي شعبه قرابة ٤٠ سنة، فلما توفي الفرد الطاغية كانت الأمة العاجية معرّضة للفراغ السياسي؛ فهو العامل الرئيس لما يحدث الآن؛ ولذلك فهو ليس «ديمقراطيًا» محتكمًا إلى حكم الأكثرية، سياسة وثقافة، ولا «حكيمًا» ولا «واقعيًا»؛ لأن الحكمة والواقعية تتطلبان تجاوز إملاءات الخارج وشهوة السلطة والفردية والتفكير في استمرار الأمة وعدم انهيارها، فالطاغية كان يربط ساحل العاج بالاتحاد الفرنكوفوني، ويتجاهل منظمة المؤتمر الإسلامي مع أن أكثرية السكان مسلمون، وهذا مخالفة للحكمة والواقعية العاجية والإقليمية وانغماس في الأهواء والأوهام، ففهم الحسن جالول «الديمقرايطية» يتطلب مراجعة! فهو يرى الولايات المتحدة والاتحاد الهندي من «أكبر الديمقراطيات في العالم» على حين أن الدولتين قمعيتان بصفة فظيعة، فلا تسامح ثقافيًا ودينيًا فيهما، ولا حق تقرير مصير للشعوب المكوّنة لهما «الهنود الحمر والسود في الأولى، والكشميريون وغيرهم في الثانية، مثلاً ... » ولا توزيع عقلانيًا للخيرات.

أحمد عمر بمبارو

باحث في العلوم الشرعية من بوركينا فاسو

تونس ـ تونس

www.ahlaltareekh.com



العربية المعاصرة: أخطاء وأمثلة

لغة

العربية المعاصرة
في مواكبة مستجدات العصرنة

حلام الجيلالي

تشير المسلمات العلمية في المجال الألسني الحديث، الى ان اللغة الرسمية هي المقوم الأول والاساسي في تشكيل الهوية الحضارية لأي امة من الأمم وان اي تدهور يصيب اللسان يعرقل - حتما - مسار التطور الفكري والعلمي للمجتمع، وبالمقابل فإن ترقية اللسان وجعله مواكبا لمستجدات العصر، يضمن للجماعة اللغوية حق الانتماء

طالعت في العدد ٣١٠ من مجلة الفيصل مقال الأستاذ حلام الجيلالي «العربية المعاصرة في مواكبة مستجدات العصرنة» مما أثار لديّ فكرة هذا التعقيب؛ لتوضيح أسباب شيوع الأخطاء، مع إعطاء أمثلة واقعية لها.

شاعت على ألسنة جمهرة من المتحدثين والكتاب أنماط لغوية من الألفاظ والتراكيب، وكثر شيوعها وانتشارها، وعمّ تداولها وتناقلها، وتلقفها كثير من الناس بسهولة ويسر، لا يتدبرون أصولها العربية، ولا مطابقتها للقواعد اللغوية. فعمّ بمثل هذه التراكيب والأساليب الضعف اللغوي، وصارت «لكثرة استعمالها» كأنها الأصل.

ولأن اللغة العربية لغة سهلة طيّعة ذات ثوب فضفاض، تنحت منها ألفاظ وتراكيب جديدة، ويشتق منها أخرى. ومع كل الإجازات التي تطالعنا بها المجامع اللغوية العربية من حين إلى آخر، ومع ما يمكن أن تجيزه هذه المجامع مستقبلاً إلاّ أنه يظل للغة دائمًا حدودها، ومع كل ذلك لا يغفر لنا أن نأتي بأخطاء لغوية شاعت على ألسنة بعض المتحدثين، وفي أقلام فريق من الكتاب. ولذيوع الأخطاء في كتاباتنا أسباب وعوامل شتى يمكن إجمالها فيما يأتي:

١ـ طغيان اللهجة العامية: وهي خليط من الفصيح المصحّف والمحرّف وبعض الألفاظ المرتجلة.

٢ـ شيوع السماعي في اللغة العربية ـ السماع في اللغة خلاف القياس، وهو ما نسمعه عن العرب ونستعمله دون أن نقيس غيره عليه، وهذا السماعي يكثر خصوصًا في باب الصرف والاشتقاق ـ يقف عقبة كأداء في طريق الكتاب. وقلّ من يتفادى منهم الوقوع فيه.

٣ـ الجهل باللغة: وذلك بالرغبة عنها، والاكتفاء بالاطّلاع الضحل على قواعدها وعلومها، فالطلاب ـ مثلاً ـ يأخذون من العلم ما يسعفهم على تخطي عقبة الامتحان وإحراز النجاح، وبعد ذلك لا يحاولون إنماءه بالمطالعة التي تقيهم اقتراف بعض الأخطاء والهفوات.

هذه بعض العوامل التي جعلت الألسنة تتنكّب عن الصواب، وتحيد عن جادة الفصحى، فانتشرت الأخطاء اللغوية في بطون الكتب، وعلى صفحات المجلات والصحف، بالإضافة إلى ما تلوكه ألسنة الأدباء والخطباء ومذيعي التلفاز من عثرات، وللألسنة عثرات لا يظهر بعضها في الكتابة، كجرحه عين الماضي والمضارع والأمر ...الخ.

نماذج من الأخطاء الشائعة عند كتّاب العربية

ـ استعمال بينما في درج الكلام، والصحيح أن «بينما» لها الصدارة دائمًا، ولا تأتي في درج الكلام، فهي تربط جملتين تتصدر أولاهما، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بينما رجل يمشي في حلّة تعجبه نفسه مرّجّل رأسه يختال في مشيته إذا خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة» متفق عليه ـ أما إذا أردنا أن نستخدم رابطًا في درج

www.ahlaltareekh.com

الكلام فيصح أن نضع (على حين) موضع (بينما)؛ لأن (على حين) هي التي تستخدم في درج الكلام فتقع بين جملتين تربطهما معاً.

- تذكير الألفاظ والوظائف للرجال والنساء معًا، فيقولون: فلان رئيس التحرير وفلانة أستاذ الجامعة؛ وهذا تحذلق، والأفضل التأنيث، وقديماً قالوا: غلام وغلامة، ورجل ورجلة، وشيخ وشيخة، وأسد وأسدة، وغيرها كثير.

- استعمال كلمة حسن النوايا - والصواب حسن النيات كما جاء في الحديث النبوي الشريف: «إنما الأعمال بالنيات» وقد تجمع «نية» على «نيّ» بكسر النون وتشديد الياء من ذلك قول النابغة الجعدي.

إنك أنت المخزون في أثر الـ

حدي فإن تنو نيّهم تقم

- إدخال الباء على المأخوذ به كما يقال: استبدل الرجل ثوبه القديم بثوب جديد - وهذا التعبير يحتاج إلى تقويم، والصواب أن يقال: استبدل الرجل ثوباً جديداً بثوبه القديم؛ لأن الباء تدخل على المتروك، وشاهد ذلك قوله تعالى مخبراً عن بني إسرائيل: *وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير* .. **البقرة٦١**. فأدخل الباء على المتروك، وهو المن والسلوى، وهو الخير مستبدلين به ذلك الأدنى من البقل والقثاء و الفوم وسواها، ولعل أشهر خطأ في قول أمير الشعراء شوقي:

أنا من بدل بالكتب الصحابا

لم أجد لي وافيا إلا الكتابا

فأدخل الباء على المأخوذ به على حين أن المراد مصاحبة الكتاب والتخلي عن الأصحاب.

- من الأخطاء الشائعة: استعمال الكلمة العربية في تركيب معين يبعدها هذا الاستعمال عن دائرة الصواب، من ذلك:

- اتخذت فلاناً كصديق والصواب أن يقال: اتخذت فلاناً صديقاً.

- تحادث فلان مع فلان والصواب أن يقال: تحادث فلان وفلان.

- لا يهتم سوى بالعلم والصواب أن يقال: لا يهتم بسوى العلم.

- هؤلاء قوم يحبون بعضهم والصواب أن يقال: هؤلاء قوم يحب بعضهم بعضاً

- ومن الأخطاء اللغوية الطبية: قولهم اللثة، تلفظ في الغالب بفتح اللام المشددة وفتح الثاء المشددة، وهذا خطأ، أما الصواب فهو: اللِّثية بكسر اللام المشدّ وفتح الثاء من اللثى ويعنى بها الريق وأصل اللثة. اللثية فخفف لفظها، واللثة هو مغرز الأسنان، وفيها العمور، وهو ما تصعد بين الأسنان من اللثة.

- الكلْية والكلْيتان، والكلْيتين والكلَى: وتلفظ كلها بكسر الكاف خطأ، والصواب تلفظ بالضم، فيقال كُلية وكُليتان وكُلتين وكُلَى. والعربية لا تعرف هذه الكلمات بالكسر، وإنما تعرفها بالضم فحسب.

- يستخدم الأدباء والنقاد كلمة: سمات ومفردها سمة في معنى العلاقات والخصائص المميزة لأسلوب هذا الكتاب أو ذاك، والسمات هي ما كان يوسم به البعير من الصور والعلامات ليعرف بها عند العرب، وكانت الوسيلة هي الكي بالنار.

ولقد تسربت إلى لغتنا العربية في العصر الحديث أساليب كثيرة دخل بعضها بفعل الترجمة أو نتيجة للاحتكاك والتفاعل بين اللغات، أو لعلها بدأت طريقها من اللهجات العامية إلى الفصحى بواسطة العاملين في أجهزة الاتصال بالجماهير، كالصحافة والإذاعة والسينما والمسرح والتلفاز.

حتى إن كثيراً مما نستخدمه الآن من تعابير هو في الحقيقة مستحدث، وهذه التعابير المستحدثة لم يعد أحد يتوقف للسؤال عن عروبتها أو أصول صحتها اللغوية بعد أن أصبحت جزءاً من التراث العربي، بينما كانت هذه التعابير موضوع استنكار عدد من علمائنا منذ نصف قرن.

لذا يحرص علماؤنا اللغويون المعاصرون على التمييز بين مستويين من الفصحى التي نستعملها الآن:

www.ahlaltareekh.com

المستوى الأول: هو فصحى التراث أو الفصحى التراثية التي هي عنوان على الصحة اللغوية، ونموذج رفيع لسلامة التعبير وفصاحته، كما أنها السجل الذي يضم صفحات التراث العربي في مجالاته الأدبية والدينية والمعرفية المختلفة، أما المستوى الثاني: فهو فصحى العصر أو الفصحى العصرية، وهي بدورها السجل الذي يضم علوم العصر الحديث ومعارفه وتتنوع مجالاتها بتنوع حضارة المجتمع واتساع معارفه وغناها في مجالات العلم والفن والإنسانيات والأدب والسياسة والاجتماع والاقتصاد، فضلاً عن الصحافة والإذاعة والتلفاز. ويرى بعضهم أنه إذا كانت فصحى التراث أعلى في السلم اللغوي من حيث صحة الموازنة بفصحى العصر، فإن فصحى العصر أكثر غنى واتساعًا ووفرة في المفردات والصيغ والقدرة على استيعاب ما يدخل في جسم العربية من مفردات وتعابير - من اللغات الأجنبية - نتيجة للترجمة - أو التعريب، فضلاً عن اتساعها المستمر لكل ما يضاف إلى المادة اللغوية نتيجة للاشتقاق والقياس والتوليد.

والآن إلى تصويب الأخطاء الشائعة من فصحى التراث، وقبول الصحيح من فصحى العصر.

أخطاء شائعة

زيادة واو قبل الأسماء الموصولة على غير الاستعمال العربي الصحيح مثل قول القائل: «كان لجهاد حزب الله أثره الفعال في تحرير جنوب لبنان وفرار الجيش الإسرائيلي والذي زعم كثيراً أنه جيش لا يقهر» ولكي تصير هذه العبارة صحيحة لغوياً يلزمنا حذف الواو قبل الذي؛ لأن الكاتب لا يقصد هنا العطف، فالعطف يقتضي المغايرة بين العطف والمعطوف عليه على حين يقصد الكاتب أن يتحدث عن الجيش الإسرائيلي الذي .. فإذا قال: (والذي) عنى هذا أنه سيتحدث عن شيء جديد عبر عنه بالاسم الموصول مغايراً لماقبل واو العطف، ولايمكن استخدام الواو في الصيغة المذكورة إلا بشرط إضافة ضمير يعود على ما قبل هذه الواو ويطابقه في العدد والنوع فنقول (كان لجهاد حزب الله أثره في فرار الجيش الإسرائيلي وهو الذي يزعم أنه جيش لا يقهر).

ندخل أحد المحلات فنجد بطاقة أمام أحد المنتجات كتب عليها مباع. هذا خطأ شائع والصواب أن يكتب على البطاقة مبيع؛ لأن المنتج المبيع هو الذي وقع عليه فعل البيع، فهو اسم مفعول من فعل(باع) (وأصله مبيوع)، أما مباع فلا أصل لها؛ لأنها اسم مفعول من (أباع) وهو فعل ثلاثي متعد بالهمزة غير مستعمل.

ويقولون: استطرد فلان في كلامه قائلاً ... واستعمال الفعل (استطرد) هنا غير جائز؛ لأن الطرد: الإبعاد، وضم الإبل من نواصيها ، طردته: نفيته عني؛ ويقال: استطرد له: أظهر له الانهزام كأنه نوع من المكيدة ليحمل عليه، واستطرد إليه الأمر: وصل. والفعل الصحيح المناسب للمعنى هو «تابع كلامه» مثلاً. يقال تتابع الشيء. أي: توالي والتتبع والاتباع: الولاء، وهذا مناسب لمعنى إرسال الكلام بعضه يتبع بعضاً ويليه.

يقال: «الغث والثمين» و«الصواب» ، «الغث والسمين»، و«الرخيص والثمين»؛ لأن الرخيص ضد الثمين - أي الشيء الغالي الثمين.

أخطاء لغوية طبية

الفالَج: تلفظ هذه الكلمه بفتح اللام، فيقال: أصابه الفالَج، وأصيب بمرض الفالَج، وهذا غير صحيح؛ لأن معنى الفالَج - بفتح اللام - هو مكيال قديم كان يستعمل لكيل الحبوب - الحنطة والشعير وغيرهما - أما الصواب فهو: الفالِج - بكسر اللام - فيقال: فلج الرجل - على المجهول - أصابه داء الفالج، بالكسر؛ لأنه اسم فاعل، والفالج: داء يحدث في أحد شقي البدن طولاً فيبطل حركته وإحساسه، سمي بذلك؛ لأنه يأخذ شطراً من البدن في الغالب، ويندر وقوعه في الشقين، وعلى هذا يقال : أصيب بالفالِج، ولا يقال: أصيب بالفالَج.

حُمَّيات: كثيراً ما تلفظ هذه الكلمة، بضم الحاء وفتح الميم وتشديد الياء، فيقال: حُمَيَّات مثل قولهم: مستشفى الحُمَيَّات مثلاً، والصواب أن تلفظ بضم الحاء وفتح الميم المشددة يقال: حُمَّيات: جمع حُمَّى.

صلاح عبدالستار محمد الشهاوي
طنطا - مصر

www.ahlaltareekh.com

القاضي إسماعيل الأكوع

مخطوطات اليمن تباع بثمن بخس!

زيد صالح الفقيه
صنعاء - اليمن

القاضي إسماعيل بن علي الأكوع علم من أعلام اليمن الذين نذروا حياتهم للعلم. وقد أخذ الأكوع على كاهله مسؤولية تأسيس منبر يهتم بالكتاب والمخطوطات هو الهيئة العامة للآثار ودور الكتب، وذلك منذ عام ١٩٦٩م. كما قام بجمع الكثير من المخطوطات التي كانت متناثرة في أصقاع اليمن، فأسكنها دارًا واحدة هي دار المخطوطات، ولم يكتف بهذا فحسب، بل حرص كل الحرص على الاحتفاظ بمكتبات الأئمة في اليمن، ولاسيما مكتبتي الإمامين يحيى وابنه أحمد حميد الدين اللتين كانتا ومازالتا تحتويان على نفائس الكتب المطبوعة، فجلبها إلى دار الكتب الوطنية التي لا تزال محط اهتمام الهيئة العامة للكتاب التي تقوم الآن بإعادة تجليد ما اهترأ منها لتظل معلمًا بارزًا في الحياة العلمية اليمنية التي تشهد حركة نشيطة بعد فتح الجامعات والمدارس والمكتبات العامة التي عممتها هيئة الكتاب حاليًا على أغلب المحافظات. وهذا الحوار محاولة للتعرف إلى ملامح من أفكار الرجل وحياته ومؤلفاته.

*** كنتم أول من أسس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب سنة ١٩٦٩م، وكانت دار الكتب هي اللبنة الأولى لوجود مكتبات فيما يسمى بالشطر الشمالي من اليمن آنذاك.. هل لنا أن نعرف شيئًا عن هذه التجربة؟**

- هذه التجربة كانت بواعثها صادرة عن اهتمامي بالتراث، بمخطوطاته وتراثه القديم، فحينما توليت وزارة الإعلام سنة ١٩٦٨ - ١٩٦٩م، كانت رغبتي منصبة على الاهتمام بالتراث، فتوليت حصر ما يوجد في مخزن دار الضيافة والمتحف العسكري من آثار يمنية قديمة، وبعد استقالة الوزارة

القاضي إسماعيل الأكوع

استدعاني القاضي عبدالرحمن الأرياني - رحمه الله - رئيس المجلس الجمهوري حينئذ؛ وعرض عليّ أن أعيّن سفيرًا في الخارج في إحدى البلدان التي لنا علاقة معها، فأخبرته أنني قد سئمت البقاء في الخارج قرابة (٢٠ عامًا) متنقلاً من مكان إلى آخر، وأريد الاستقرار في صنعاء لأبني لي بيتًا يأويني أنا وأهلي وأولادي لنعيش في اليمن حتى يألفوها، لكي لا يكونوا غرباء إن عادوا، وقد كبرت سنهم.

فقال: ماذا تريد؟ قلت: أريد أن ننشئ مؤسسة تهتم بجمع التراث في اليمن، وتسعى لجمع المخطوطات

www.ahlaltareekh.com

والآثار. فقال: وهو كذلك، وأصدر قراراً في ربيع سنة ١٩٦٩م لإنشاء مصلحة الآثار ودور الكتب، فأنشئت ولم يكن لها مقر، وبقينا أشهراً لا نجد مكاناً، وبعدها تيسر لنا مكان في ملحقات القصر الجمهوري، وعيّن أول وكيل لي الأستاذ زيد عنان، كما عين مرة أخرى الأستاذ مطهر الإرياني، لكنه كان مشغولاً بمرافقته لعمه بحكم أنه كان رئيساً للمجلس الجمهوري، وتداول الوكالة أكثر من واحد، ثم تغير اسمها إلى الهيئة العامة للآثار ودور الكتب، وتيسر الانتقال من ملحقات القصر إلى مكان آخر استأجرناه للهيئة، وجاءت الفكرة بأن نبني مكاناً مستقلاً أو نمتلك من مباني الدولة، لكن ذلك لم يتيسر، وقررنا أن نبني للهيئة مقراً في ساحة دار الكتب وتم ذلك.. واستمر العمل بتطويرها في شراء المخطوطات والآثار على ما هو معروف.

*** حينما بدأتم تؤسسون مكتبات في اليمن، هل كان هناك من أيّد هذه الفكرة؟ وكيف بدأتم في جمع الكتب في المكتبة؟**

ـ أولاً جمعنا الكتب التي كانت في مكتبة الإمام يحيى في دار السعادة، وهي النادرة، وكانت تحتوي على كثير من المخطوطات والمطبوعات، وكذلك مكتبة الإمام أحمد في حجّة، ثم مكتبات بعض الأسر التي صودرت في بداية الأمر والتي كانت تحتوي على الكثير الطيب من الكتب، فنقلنا مكتبة الإمام يحيى إلى المكتبة الغربية الموجودة في الجامع الكبير، وأخرجنا منها المطبوعات إلى دار الكتب، وكذلك مكتبة الإمام أحمد التي كانت في حجّة، جاءت إلى دار الكتب، فنقلنا المخطوط منها إلى مكتبة الجامع الكبير، ثم تم بناء دار المخطوطات فيما بعد، ثم بدأنا بشراء كل ما كان يعرض علينا من الكتب، وكانت الهيئة العامة للآثار مرتبطة برئاسة الجمهورية مباشرة، وكان لها ميزانية مستقلة، وكنا نستطيع أن نشتري ما يعرض علينا من آثار ومخطوطات مباشرة دون أي تعب، فاشتريت قرابة ثلاثة آلاف مخطوط بين صغير وكبير، وعدداً من الآثار والفضيات أيضاً.

*** ماذا عن المخطوطات اليمنية خارج اليمن، وهل يمكننا استعادتها؟**

ـ من الصعب استعادة ما يوجد من مخطوطات يمانية خارج اليمن، ولكني ـ ولله الحمد ـ تمكنت من شراء كثير من المخطوطات، وهي موجودة في دار المخطوطات بالجامع الكبير بصنعاء.

*** بكم يقدر عدد المخطوطات اليمانية الموجودة داخل اليمن؟**

ـ لا يوجد حصر شامل لما يوجد في اليمن من مخطوطات، ويوجد كثير منها في بيوت العلم في المدن والهجر والقرى، لكنها غير معروفة ولا مفهرسة، وتباع لهواة شراء الكتب أو تجار المخطوطات بأثمان بخسة.



غلاف كتاب «هجر العلم ومعاقله»

*** المخطوطات المبعثرة في اليمن في بعض المدن والقرى لدى الأهالي هل تفضلون بقاءها كما هي عليه أم الاحتفاظ بها لدى الدولة؟**

ـ من خلال تجربتي أفضل أن تخزن في دار المخطوطات؛ لأنه سيتيسر للقراء أو الباحثين الاطّلاع عليها، ومن ناحية أخرى تنقذ من أيدي بعض الورثة ممن يجهلون قدرها فيبيعها بأبخس الأثمان، وتخرج خارج اليمن، وكذلك حمايتها من الآفات مثل الأرضة، فمن الأفضل تجميعها، وقد كانت النية عندما كنت رئيساً للهيئة العامة للآثار أن نزور المدن والقرى التي توجد فيها مخطوطات، وكانت مشهورة بوجود علماء ومدارس علم فيها، فنعرض على مالكي المخطوطات شراءها، فإن رفضوا نطلب منهم السماح لنا بتصويرها، بجهاز تصوير متنقل، فنصور منها ما هو مهم، ونعطي صاحب المخطوط صورة مما تم تصويره، وإن كان الأولى بالكتب النادرة من تاريخية

www.ahlaltareekh.com

وأدبية ولغوية وغيرها أن تحفظ في دار المخطوطات، أو مكتبة الأحقاف في تريم حضرموت..

*** في معرض حديثنا أشرتم إلى أنه في عام ١٩٧٦م عندما افتتح متحف البشرية بلندن وشاهدت الجناح اليمني فيه، تمنيت أن ينقل ذلك الجناح إلى صنعاء، أو يتم إنشاء متحف مثله في صنعاء، بعد كل هذه المدة هل ترى أن أمنيتك قد تحققت؟**

- أمنيتي كانت الحرص على حفظ المخطوطات، وتيسير الاطّلاع عليها للباحثين والعلماء، وجمع ما أمكنهم إلى مكتبات عامة بنظر علماء وأمناء لتعم الفائدة، ولعل شيئًا من هذا قد تحقق إلى حد ما، لكن ليس كما تمنيناه.

*** وفي رده عن أترابه من العلماء ممن كان لهم اهتمام بالمخطوطات وتاريخ اليمن قال:**

- الجيل الذي أنا منه كبير لكن أهم من عرفت هو: القاضي محمد بن علي الأكوع، والقاضي محمد الحجري، والقاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني، والقاضي زيد بن علي عنان، والقاضي حسين العرشي.. وغيرهم ممن ذكرت في كتابي هجر العلم ومعاقله في اليمن.

*** إن كتاب « المدارس الإسلامية في اليمن» لم يغفل أي مدرسة أو اسم قرية من القرى التي كانت فيها تلك المدارس، نريد معرفة المشاق التي تحملتموها في الحصول على تلك المعلومات؟**

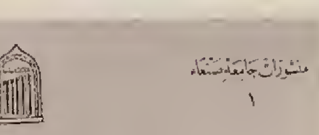
- لا أوافق على أنها مشاق؛ وذلك لأنني اندفعت بحب وإخلاص لتدوين المعلومات عن المدارس التي انتشرت في اليمن، وخصوصًا في العصر الرسولي، فبحثي لمثل هذه المعلومات نابع من الرغبة الكامنة في نفسي، فقد كنت أجد لذة حين أسافر وأطرح الأسئلة على من عندهم المعلومات، حتى عندما أشعر بالتعب أجد لذة في هذا وراحة حينما أحصل على أي معلومات توسع مداركي أو تضيف معلوماتٍ إلى ما عندي.

*** ألاحظ الآن أنكم تصحّحون وتزيدون في محتويات الطبعة الثالثة.. فهل لايزال هاجس توسيعه موجودًا؟**

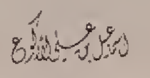
- الرغبة في الاستزادة موجودة، والأمل أنني أجد زيادة معلومات عن مدارس أخرى؛ لأن آل التباعي، وهم علماء، كانوا يسكنون السحول، وفي بلدة المنهادر بالذات، فقد ذكر الجندي في كتابه «السلوك» أنهم علماء وفضلاء وأهل علم، وقال: ولهم مدارس في بلدة المنهادر. ولقد سعيت للبحث عمن بقي من هذه الأسرة فلم أجد، كما لا توجد في المنهادر في عصرنا أيّ مدرسة!!

*** كتابكم «هجر العلم ومعاقله»، كان موسوعي المعرفة، فيه التراجم، وفيه التاريخ، وفيه الأدب، هل لنا أن نعرف شيئًا عن تأليف هذا الكتاب؟**

- أنا أرى أن كتاب «المدارس الإسلامية» متمم لكتاب «الهجر» وإن كان سابقًا له في الظهور، فكتاب المدارس الإسلامية يختلف عن كتاب هجر العلم، المدارس نفسها تختلف عن الهجر، المدارس بنيت بأسماء أشخاص وقفوا وأنفقوا عليها، ولكل مدرسة نظام خاص يشترطه الواقف للمدرسة، كذكر عدد طلاب المدرسة، ومن المدرس، وما صفته، ويذكر الوقف الخاص بهذه المدرسة، وما ينفق منه على إصلاحها وعمرانها وتأثيثها، ومن الوقف ما ينفق على طلبة العلم، ومن الوقف أيضًا ما يعطى للأساتذة.







غلاف كتاب «المدارس الإسلامية في اليمن»

بينما هجر العلم يختلف وضعها فهي قرى تشتهر ببعدها عن المدن الكبرى، ويلجأ إليها الناس حينما تتعرض المدن لغارة القبائل وللمشكلات وللفوضى، فكان العلماء يفرون إلى مناطق نائية بعيدة عن المدن التي كانت تتعرض لذلك. والناس حينما كانوا يسمعون بأن العالم الفلاني قد انتقل إلى أي منطقة يذهبون إليه للدراسة. وأهالي تلك الأماكن كانوا لا يبخلون على طلاب العلم ولا على المدرسين بالإنفاق عليهم،

www.ahlaltareekh.com

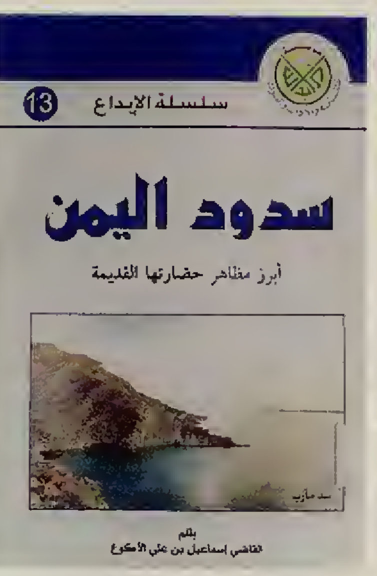
ووضعهم في المستويات اللائقة بهم، وحينما كانت الدولة تهيمن على المناطق، وتطلب من الأهالي تسليم الزكاة كان الأهالي يصرفون زكاة أخرى لطلبة العلم وللمشايخ.

*** على ذكر التعليم.. ألحظ أن علماء اليمن وأعلامها - وأنتم واحد منهم - لم يتلق كثيرون منهم - تعليمهم في المدارس النظامية، ولم ينالوا شهادات، وكانت هناك ما يسمى بالإجازات، لكنهم، كانوا يتعلمون من أجل العلم.. قاطعني قائلاً:**

- هذا هو الذي نجحنا فيه، والذي نجح فيه الإمام الشوكاني، ومن قبله، ومن بعده الذين وصلوا إلى القمم في العلم بدراستهم للمراحل الأولى فيما كان يسمى بالمعلامة أو ما يقال لها اليوم الكتّاب، ثم في الجوامع، ولكونهم راغبين في طلب العلم بهمة لا حدود لها حصلوا على المراتب العليا من العلم، وفاقوا - أحياناً - مشايخهم الذين أخذوا عنهم، وبالنسبة إليّ فقد درست في أول دراستي بالمعلامة (الكتّاب)، ثم في المدرسة الشمسية بذمار، ودرست على مشايخي بغير انتظام، وكنت - إن رغبت في دراسة كتاب معين - أذهب إلى شيخه، وأطلب منه تدريسي الكتاب، فيرحب بذلك، فندرس ونقرأ، وتنقلت من شيخ إلى شيخ، وكان المشايخ لا يبخلون على طلابهم في شيء، ولم يكن هناك نظام لمراحل دراسة الكتب، وكان لكل مرحلة كتب تليق بها أو تناسبها في هذه المرحلة لا بد أن تدرس الكتاب المعين، كنا نقرأ كل ما وقع بين أيدينا على مراحل، في البداية نحفظ متوناً في النحو، وفي الفقه، وفي الأصول، ونقرأ بعدها شرحها، ثم متوناً أكبر وشروحها، حتى تم - بتوفيق من الله - وصولي إلى ما وصلت إليه من المعرفة، كان هذا شأني وشأن غيري من جيلي من بعد جيلي نحوا هذا المنحى، وساروا على هذا النهج.

*** في كتاب «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» للقاضي محمد الحجري، يقرأ القارئ مقدمته التي وضعتموها فيجد منكم ما يشرح الصدر في المقدمة وفي حاشية الكتاب.. فماذا عن صداقتكم بالقاضي محمد الحجري؟**

- صداقتي بالقاضي تعود إلى سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، وكان أول معرفتي به حين كان يأتي إلى ذمار، وكنت ألتقيه هناك، وحينما جئت إلى صنعاء ذهبت إليه في بيته، وأقمت عنده فترة. وفي مرة من المرات، وبعد أن عينت في الخارج، كان يأتي لحضور مؤتمرات واجتماعات في الجامعة العربية، وحرصت على الاستفادة منه كثيراً في كثير من القضايا، فأعتقد أنه وجد لديّ الرغبة في معرفة التاريخ، فكان لا يبخل عليّ بشيء مما أسأله عنه، وكان يدلّني ويصحّح لي بعض المعلومات، فصلتي به صلة تلميذ بشيخه. وبالنسبة إلى كتابه كنت حريصاً على نشره، وكان قد ألّفه وبقي الكتاب حبيس بيته، وقد نسخ منه نسخة وأرسلها إلى الإمام أحمد، وكان لا يزال ولياً لعهد أبيه، وكان ينسخ منه، فكان قسم منه في مكتبة الإمام يحيى، وقسم هداه إلى صديق له، وما أبقاه لنفسه هو في أربعة أجزاء، وكان يتوسع في كتابته كلما وجد معلومة جديدة، ولكن لم يكن شاملاً لكل ما يجب أن يكتب، وبعد أن توفي المؤلف التقيت القاضي عبدالله الحجري، وهو زميلي وصديقي، وكانت بيننا صداقة طويلة وعميقة، فأشرت عليه أن ينشر الكتاب فلبّى طلبي، وكنت قد أخذته وطابقته أنا والقاضي عبدالله الحجري على النسخة الأصلية؛ لأننا طبعنا منه نسخة عن الأصل، فكنا نضيف أو نصحّح هو من جهته وأنا من جهتي، وبعدما حدث للقاضي عبدالله الحجري من اغتيال في لندن قمت بالتعاون مع الولد محمد بن محمد ابن المؤلف بمواصلة العمل في الكتاب، وتم تسليمه إلى وزارة الإعلام، وقامت الوزارة بطبعه عن طريق دار النفائس. والآن طبع مرة أخرى تصويراً عن النسخة السابقة، وكنت أتمنى أن



غلاف كتاب «سدود اليمن»

www.ahlaltareekh.com

ترجمة القاضي
إسماعيل بن علي الأكوع في سطور

- ولد في مدينة ذمار يوم الأربعاء الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨هـ، الموافق لليوم الأول من آذار / مارس عام ١٩١٨م.

- تلقى علومه الأولى في المدرسة الشمسية في ذمار، وكذلك في مسجد عمرو عند بعض كبار علماء ذمار آنذاك، ومنهم والده، كما درس أيضاً في رباط الغيثي الضاحية الغربية من مدينة إب لدى أخيه القاضي محمد بن علي الأكوع، ودرس كذلك في معهد الحزر في مدينة إب فترة قصيرة.

- اشتغل بالسياسة منذ أن التحق بتنظيم الضباط الأحرار في سن مبكرة من عمره؛ فسجن مرتين.

- سافر إلى عدن عقب إطلاق سراحه بأمر من الإمام أحمد لغرض التداوي والعودة إلى تعز، لكنه آثر البقاء في عدن بعيداً عن مجال نفوذ الإمام أحمد وسطوته، مستأنفاً نشاطه الوطني في إطار «الاتحاد اليمني»، الذي أنشئ متأخراً ليحل محل «الجمعية اليمانية الكبرى» التي أسسها الأستاذ أحمد محمد نعمان، والأستاذ محمد محمود الزبيري.

- عمل في تدريس أبناء الأحرار في مقر الاتحاد اليمني في عدن.

- سافر إلى مصر بعد مجيء الأستاذ محمد محمود الزبيري إليها من باكستان مواصلاً نشاطه السياسي معه.

- سافر إلى سورية (دمشق) للإشراف على الطلاب اليمانيين الذين جاؤوا إلى سورية، وهناك شهد قيام وحدة مصر وسورية في كيان واحد هي: الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، وذهب إلى الحج واصطحب أهله إلى مصر، وأقام فيها حتى ضاقت به سبيل الحياة فعاد إلى اليمن بمفرده.

- سافر إلى موسكو بأمر الإمام مع رفيق له عام ١٩٦١م، وافتتح مفوضية لليمن فيها، وبقي هناك حتى قامت الثورة عام ١٩٦٢م، فعين قائماً بالأعمال في موسكو، ثم وزيراً مفوضاً، ثم سفيراً غير مقيم، فنائباً لوزير الخارجية.

- عاد إلى مصر عام ١٩٦٦م - حين ساءت أحوال اليمن، ليكون إلى جوار أهله المقيمين هناك، وفي هذه الأثناء شهد نكسة يونيو/ حزيران عام ١٩٦٧م.

- عاد إلى اليمن في أغسطس/ آب عام ١٩٦٨م بعد تولي القاضي عبدالرحمن الإرياني الحكم في اليمن في نوفمبر عام ١٩٦٧م، وأسند إليه حقيبة وزارة الإعلام في حكومة الفريق حسن العمري.

- أسس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب عام ١٩٦٩م، وتولى رئاستها حتى أواخر عام ١٩٩٠م، وتفرّغ بعدها للتأليف.

- عضو في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن، وعضو في مجمع اللغة العربية بالأردن، وعضو مراسل في مجمع اللغة العربية في دمشق، وعضو مراسل في المجمع العلمي العراقي، وعضو في المجمع العلمي الهندي، وعضو في معهد الآثار الألماني في برلين، وعضو في كثير من اللجان الاستشارية المهتمة بالتراث الإسلامي.

مؤلفاته:

- الأمثال اليمانية في مجلدين، صدر عن مؤسسة الرسالة في بيروت عام ١٩٨٤م، وكان قد طبع المجلد الأول منه في مصر عام ١٩٦٨م.

- تاريخ أعلام آل الأكوع، صدر عن دار الفكر المعاصر في لبنان سنة ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

- المدارس الإسلامية في اليمن، صدرت الطبعة الأولى منه عن جامعة صنعاء سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، طبعة دار الفكر في سورية، وصدرت الطبعة الثانية عن مؤسسة الرسالة، ومكتبة الجيل الجديد بصنعاء سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- هجر العلم ومعاقله في اليمن أربعة مجلدات، صدر عن دار الفكر عام ١٩٩٥م.

- الإمام محمد بن إبراهيم الوزير، وكتاب (العواصم والقواصم في الذود عن سُنة أبي القاسم) نشر في دار البشير في الأردن سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- حقق عدداً من الكتب، وله نحو سبعة عشر بحثاً، ومجموعة من المقالات.

أعطي الناشر الجديد «دار الحكمة» نسختي؛ لأن فيها إضافة جديدة وتصحيحات أكثر، لكن لم تتيسر هذه الأمور، وإن كان هناك رغبة من أولاده في طبعه ثانية بشكل موسع فليس عندي مانع من إعطاء ما لديّ.

*** الملاحظ اليوم أن أعداد الكتب بدأت تتزايد بشكل ملحوظ، لكن نلاحظ أن القراءة بدأت تتراجع لدى الناس.. إلام ترجعون أسباب ذلك؟**

- عزوف الشباب عن القراءة ظاهرة مخيفة لقلة الرغبة في القراءة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لانشغال الناس بمتطلبات الحياة، فالشباب الذي يدرس يسعى للحصول على ما يضمن له تأمين مستقبله من شهادة ابتدائية أو إعدادية أو ثانوية بحسب قدرته، فإن كان عنده طموح واصل إلى الجامعة ليجعل تلك الشهادة وسيلة

www.ahlaltareekh.com

للتوظيف، أو وسيلة لتلبية حاجاته الضرورية، ومن هنا قل اهتمام الناس حتى طالب العلم الذي يطلب العلم لا يقرأ إلا ما هو مخصص له في منهج المدرسة، فإذا ما فرغ منه رمى بالكتاب وتركه.

*** الكتاب - في نظركم - في ظل ثورة المعلومات كما يطلق عليها في الوقت الحالي حين بدأت المعلومات تغزو العالم بطرائق مختلفة: الكمبيوتر، والإنترنت، الأقراص الناقلة، وغيرها.. أين تضعون الكتاب بين يدي هذه المحدثات التعليمية؟!**

- الكتاب!! أي كتاب تقصد؟..

- الكتاب مجمله.. هذه الأشياء جدّت علينا، ولو كانت ظهرت في مراحل بداية العمر، وكانت الرغبة كما وصفت، لكان الواحد أعلم العلماء، ومع هذا كان الله يضع البركة بالطريقة التي قرأنا فيها، وكنا نستفيد فائدة كبيرة من خلال بذل الجهد المتواصل، والقراءة المتواصلة غير المحددة بوقت ولا بزمان، فكنا بعد الفجر نبدأ بتلقي الدروس حتى بعد صلاة العشاء، تتخللها فترات راحة متقطعة، وفي الوقت نفسه نراجع ما قرأناه. ونحضّر لما سيأتي من دروس في اليوم التالي؛ لأن الشيخ كان يسألنا عن ضابط ما قرأناه، وهو عبارة عن ملخص لما أخذناه من دروس سابقة، فإذا عرف أننا قد حزنا على المعرفة استمررنا بالدراسة، ما لم نستمر بمراجعة الدروس السابقة. والكمبيوتر - حسب ما نسمعه من أبنائنا - كنا نتمنى أنه جاء في زمن متقدم، فإنه يخزن علماً واسعاً لا حدود له، وكنت سأستفيد منه؛ لأن الإنترنت كان سيوفر لنا جهد الأسفار الطويلة، وأستطيع بواسطته الدخول في أي مكتبة في العالم، وأطلع على ما أريد، وكان سيوفر لي الوقت أيضاً والجهد الذي طفت فيه أهم مكتبات العالم في أوربا طبعاً المكتبات التي فيها الكتب العربية، مثل مكتبة لينين في موسكو، ومكتبة الدولة في ألمانيا ببرلين، ومكتبة ليدن في هولندا، ومكتبة الأنبروزيانا في إيطاليا، ومكتبة الفاتيكان، ومكتبة المتحف البريطاني، ومكتبة الكونجرس الأمريكي.. غير ما كنت أستعين بأصدقاء وهم كثر، فيصورون لي الكتاب المطلوب من أي مكتبة، فتوافر لي بعون من الله المطلوب من مراجعتي التي اعتمدت عليها في تاريخ ما ألفت من الكتب.

*** هناك من يقول: إن الكتاب يظل متصدراً كل هذه المحدثات التكنولوجية من الكمبيوتر إلى الإنترنت وغيرهما من الأقراص الخازنة للمعلومات ويعللون ذلك بأن الكتاب يرافق الإنسان في أي مكان، في الطائرة، وفي القطار، وفي السيارة، وغيرها من وسائل النقل والأماكن بعكس تلك الأجهزة الآنفة الذكر.. ما رأيكم في ذلك؟**

- أنا بالنسبة إلي أفضل الكتاب، أحمله أو أجلس في بيتي أقرأ في أي وقت أو أذهب عند أصدقاء، لكن قد يستغنى عن الكتاب مستقبلاً بحكم أن الإنسان يجلس على الكرسي ويطوف في مكتبات العالم كلها.

*** بالنسبة إلى معارض الكتاب فهي تحوي آلاف العناوين، حين تزور معرض الكتاب.. ماذا تنتقون من هذه الكتب؟**

- بالنسبة إليّ شخصيًا أطوف في المعرض، وأرى ما له علاقة برغبتي - وإن كانت الرغبة العامة أن أقتني أكثر فأكثر - لكن بعد أن كبرت في السن أصبح اهتمامي يقتصر على ما له علاقة باليمن من التأليف، ولي كتب أخرى أهتم بها، لكن الرغبة في اقتنائها صارت محددة؛ لأن لدي مكتبة ضخمة، ولا يستطيع البيت أن يحتمل أكثر مما هو فيه، فقد ضاقت الأماكن حتى في مكتبتي، فأحيانا لا أستطيع أن أجد بعض كتبي التي أريدها من كثرتها ووضعها - من الكثرة - بعضها فوق بعض، وفي أماكن مختلفة، وصارت عبئًا عليّ نتيجة لعدم وجود المكان، وعدم القدرة على القراءة بعد أن وصلت إلى هذه السن من العمر، ثم ارتفاع الأسعار، بالإضافة إلى الكتب التي أهديت لي من أصدقاء بعضها لم أفتحها.. أعرف فقط عناوينها وأضعها، فما له علاقة باهتمامي الشخصي في التاريخ أقرؤه وأهتم به ويكون قريباً من نفسي.



غلاف كتاب «الأمثال اليمانية»

www.ahlaltareekh.com



الأمير سلمان
يرعى ندوة «أسماء الأماكن الجغرافية»

انعقاد مؤتمر الحضارات في وارسو

صحفيون بلا حدود وأمريكا..
ولائحة سوداء لمعارضي الحرب

وفاة الغزاوي، ومحمد ديب،
ومحيى الدين صابر، ونبيه الأنصاري

ظهور ديوان مخطوط للوركا
بعد نصف قرن

مؤتمر للفلسفة الإسلامية،
واحتفاء بأمل دنقل في القاهرة



خاتمة المطاف

كارل ساغان:
والانحياز للعلم

www.ahlaltareekh.com

أسماء الأماكن الجغرافية في المملكة

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض رئيس مجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز مساء العاشر من ربيع الأول الماضي (الموافق ١١مايو/أيار ٢٠٠٣م) حفل افتتاح ندوة «أسماء الأماكن الجغرافية في المملكة العربية السعودية» التي نظمتها دارة الملك عبدالعزيز بالتعاون مع الجمعية الجغرافية السعودية، وتدشين موسوعة «أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية»، وذلك بقاعة الملك عبدالعزيز للمحاضرات بمركز الملك عبدالعزيز التاريخي بالمربع في الرياض.



الأمير سلمان بن عبدالعزيز

وقال صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز في كلمته: «كلنا أمل أن تخرج هذه الندوة بتوصيات مفيدة ومثمرة، وأن تتوصل إلى أصح التسميات للأماكن، لتلافي الأخطاء وازدواجية الآراء، ولتفيد منها الجهات الحكومية المختلفة، بالإضافة إلى الباحثين والمهتمين ذوي العلاقة والصلة بالموضوع».

وأضاف سموه: «إذا كان تاريخ الجزيرة العربية يمتد باعتزاز في أعماق التاريخ فحري بنا لاّ ننسى ما قدّمه مؤرخونا في هذا المجال، ونذكر منهم - على سبيل المثال - الشيخ محمد بن بليهد، والشيخ حمد الجاسر، والشيخ محمد بن أحمد العقيلي - رحمهم الله - والأحياء منهم الشيخ عبدالله بن خميس، والشيخ محمد العبودي، والشيخ سعد بن جنيدل، والأستاذ علي السلوك الزهراني، والشيخ عبد الرحمن العبيد وغيرهم، الذين سطروا لنا صفحات ناصعة عن تاريخ الجزيرة العربية والمملكة العربية السعودية وجغرافيتها».

وأوضح الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز الدكتور فهد بن عبدالله السماري في كلمته: «إن الندوة تهدف إلى مناقشة هذا الموضوع الوطني المهم وفقاً لمنهج علمي مناسب، والوصول إلى رؤى مناسبة ملائمة تسهم في صياغة مشروع وطني يخدم الأسماء الجغرافية بشكل مستمر توثيقاً وتعريفاً وتصحيحاً ونشراً ورصداً».

وقال معالي وزير البترول والثروة المعدنية المهندس علي بن إبراهيم النعيمي: «إن موسوعة أسماء الأماكن في المملكة تتناول بشمولية ودقة جميع أراضي المملكة وما تضمه من معالم طبيعية وبشرية متباينة، إلى جانب حدود المملكة البرية وأطوالها، مروراً بالاتفاقيات والمعاهدات التي رُسمت مع الدول المجاورة».

وأفاد رئيس مجلس إدارة الجمعية الجغرافية السعودية الدكتور عبدالعزيز بن عبداللطيف آل الشيخ في كلمته: «أن الجمعية الجغرافية السعودية تبنت في عموميتها التاسعة سنة ١٤١٣هـ مشروعاً لجمع المعاجم الستة: مقاطعة جازان وبلاد غامد وزهران وعالية نجد ومعجم اليمامة وبلاد القصيم والمعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية، وفي عموميتها العاشرة سنة ١٤١٤هـ تم تشكيل الهيئة الاستشارية لمشروع موسوعة المعاجم الجغرافية مدركة أهمية هذه المعاجم وضرورة وضعها في شكل حديث، وأنتجت موسوعة الأماكن في المملكة العربية السعودية».

وأوضح كذلك الدكتور عبدالله يوسف الغنيم في الكلمة التي ألقاها نيابة عن المشاركين في الندوة: «أن الأسماء المزمع دراستها في هذه الندوة ذات صلة وثيقة بالتاريخ الإنساني وتقدم دراستها صورة للجغرافيا التاريخية للمنطقة محل البحث».

وقُدم في الندوة عدد من البحوث والأوراق منها: «أهمية الخرائط وسيلة لضبط أسماء الأماكن» للدكتور خالد العنقري وزير التعليم العالي، وورقة عمل للدكتور عبدالله الغنيم من الكويت عن «أسماء الأماكن القديمة وجهود المعاصرين: رؤية للاستفادة من جهودهم»، و«جهود الشيخ حمد الجاسر وزملائه في تأليف المعجم

www.ahlaltareekh.com

الجغرافي للبلاد العربية السعودية» للشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، و«جهود الشيخ محمد بن بليهد في تحقيق المواضع» للدكتور أسعد بن سليمان عبده، و«أسماء الأماكن في مكة المكرمة خاصة ما له علاقة بأعلام الحرم» لمعراج مرزا، وغير ذلك من البحوث والأوراق.

وفي الجلسة الختامية ألقى الدكتور فهد السماري الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز كلمة الندوة الختامية والتوصيات التي انبثقت عنها.

في مؤتمر حوار الحضارات: الأمير تركي الفيصل يدعو إلى تفعيل دور الأمم المتحدة



الأمير تركي الفيصل

شهدت العاصمة البولندية وارسو في الفترة من (٢٣ - ٢٦ أبريل/ نيسان الماضي) انعقاد المؤتمر العالمي للحوار بين الحضارات الذي أقيم تحت شعار «المفتاح لمستقبل آمن» برعاية رئيس الوزراء البولندي ليزيك ميلر.

وشارك في هذا المؤتمر أكثر من ١٥٠ من العلماء والمفكريين من أنحاء العالم، تناولوا كيفية الارتقاء بالحوار بين الحضارات والثقافات من أجل تحقيق تعاون مثمر بين الأمم.

وتناولت المحاضرات قضايا الاقتصاد والتنمية، وعلم الاجتماع والنفس، والعلوم السياسية، والفلسفة، والدين، والاتصالات، والتربية والتعليم، والآداب، ودور كل حقل من هذه الحقول في ترسيخ قيم الحوار وإشاعة روح التسامح بين الأمم والشعوب.

وقد ألقى صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية كلمة بعنوان «هل يمكن ترسيخ مبادئ العدالة والسلام في ظل التفرد الأحادي ؟»، استعرض فيها تاريخ بروز مجموعة من التنظيمات الدولية كاتحاد التلغراف الدولي ١٨٦٥م، واتحاد حماية الملكية الصناعية ١٩٨٣م، ومكتبة النقل الدولي ١٨٩٠م، والمكتب الدولي للصحة ١٩٠٣م، وغيرها مما مهد لتكوين تجمع أممي لمداواة الجراح التي خلفتها الحرب العالمية الأولى، فكان قيام عصبة الأمم التي أقَرّ ميثاقها في ٢٨ من أبريل/نيسان ١٩١٩م.

واستعرض سموه التداعيات التي أدت إلى عدم نجاح هذه المنظمة، وإرهاصات قيام الحرب العالمية الثانية، ثم قيام منظمة الأمم المتحدة عقب مؤتمر سان فرانسيسكو في عام ١٩٤٥م، الذي حضرته ٥٠ دولة من مختلف أنحاء العالم.

ومثّل سقوط الاتحاد السوفيتي تحولاً كبيراً في مسار السياسة الدولية، إذ أصبحت الولايات المتحد الأمريكية «القطب الأوحد المسيطر على زمام العالم لا تناهضه قوه أخرى، ولا تباريه دولة ثانية».

وأشار سموه إلى أن ضربة الحادي عشر من سبتمبر التي جاءت في أوج الشعور بالقوه والعظمة قد أفرزت تسنم جماعات تبني فلسفتها على مبدأ الضربة الوقائية، وهذا المبدأ هو الذي قاد إلى الحرب على العراق.

ويعلق سموه على ذلك بقوله: «ومن سخريات التاريخ أن الولايات المتحدة وبريطانيا، وهما الدولتان اللتان ابتكرتا فكرة الأمم المتحدة خالفتا ميثاق الأمم المتحدة، وشنتا الحرب على العراق الدولة المؤسسة للأمم المتحدة».

وانتهى سموه إلى «أن العالم في حاجة ملحة إلى استمرار الأمم المتحدة، ولكن هذا الاستمرار مشروط بإعطائها القوة التي تمكنها من أن تكون الوسيلة الرئيسة لحفظ السلم والأمن في العالم، ودعم النمو والتطور لبلدان العالم كافة».

وأكد «أن بقاء البشرية لا يكون إلا من خلال احترام خصوصية الثقافات والأديان، وإيجاد صيغ جديدة للاقتصاد العالمي».

ودعا الأمير تركي الأمم المتحدة إلى القيام بدور مركزي في العراق الآن، وذلك من خلال ضمان التزام

www.ahlaltareekh.com

جيوش الاحتلال الأمريكية والبريطانية تنفيذ معاهدة جنيف الرابعة من توفير الأمن والاستقرار للمواطنين العراقيين، وحماية الوحدة الجغرافية للعراق، والحفاظ على كنوز الآثار العراقية من السرقة والتهريب.

الجدير بالذكر أن هذا المؤتمر قد أقيم بالتنسيق بين المجلس الآسيوي البولندي وبلدان المحيط الأطلسي، والهيئة الوطنية البولندية لليونسكو، ومركز الدراسات الآسيوية الشرقية لمعهد الدراسات الإسلامية بالأكاديمية البولندية للعلوم ومركز الدراسات الآسيوية والأطلنطية بجامعة ترير.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية على الإنترنت



الصفحة الرئيسة للموقع

دشن صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز، سفير خادم الحرمين الشريفين لدى بريطانيا، ورئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الموقع الرسمي للمركز على الشبكة العالمية «الإنترنت»، بحضور الأمين العام للمركز الدكتور يحيى محمود بن جنيد، ومدير الإدارة العامة للمكتبات والمعلومات والأستاذ صالح بن ناصر الخريجي، وقد أبدى سموه سعادته بهذه الخطوة التي ستكون مفيدة للباحثين والدارسين.

وأوضح الخريجي أن تدشين الموقع يأتي في إطار حرص المركز على الاستفادة من التقنيات الحديثة لتسهيل مهمة الباحثين والدارسين في الوصول إلى المعلومات التي يحتاجون إليها بكل يسر وسهولة. ويحتوي الموقع على عدد من الصفحات التي تُعرِّف بالمركز وأنشطته المختلفة. إضافة إلى إتاحة البحث المباشر في القاعدة الرئيسة بالمركز التي تتكون من بيانات مكتبة المركز عن الكتب وماتم تكشيفه من دوريات، وتحتوي القاعدة التي تم إتاحتها على الإنترنت ما يزيد على ٤٢٠.٠٠٠ سجل وبمداخل تفوق ستة ملايين مدخل. وأضاف أن ذلك يمثل المرحلة الأولى في هذا المشروع، وتجري الاستعدادات لإتاحة القواعد الأخرى، ومن أهمها قاعدة معلومات الرسائل الجامعية، وقاعدة فهارس المخطوطات، إضافة إلى قاعدة المحقَّق والمنشور من التراث. وختم تصريحه بدعوة جميع المهتمين إلى زيارة الموقع على عنوانه: www.kfcris.com وأن المركز يرحب بأي ملاحظات أو آراء تساعد على تطوير الموقع.

رحيل رئيس اتحاد الكُتّاب الفلسطينيين

توفي في رام الله بفلسطين المحتلة على أثر نوبة قلبية في الشهر الماضي الروائي والأكاديمي عزت الغزاوي رئيس اتحاد الكُتّاب الفلسطينيين، ووكيل مساعد وزارة الثقافة والإعلام الفلسطينية عن عمر يناهز ٥٢ عامًا، وقد شيّع جثمانه إلى مقبرة البيرة في موكب مهيب شارك فيه ممثل عن الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، وعدد كبير من الوزراء والمسؤولين والفنانين والأدباء والمثقفين وممثلي الاتحادات والمؤسسات.

ولد الأديب الراحل في قرية دير الغصون في طولكرم عام ١٩٥١م، وتولى رئاسة اتحاد الكتاب الفلسطينيين فترتين انتخابيتين متتاليتين، بالإضافة إلى دوره التربوي أستاذًا للغة الإنجليزية في جامعة بيرزيت، وكان الراحل قد عُيّن في منصب وكيل مساعد وزارة الثقافة والإعلام الفلسطينية منذ فترة قصيرة لم تتعد الشهر.

وكان الغزاوي قد تعرض لكثير من المحن والفواجع خلال حياته التي وهبها للدفاع عن قضايا شعبه وهموم

www.ahlaltareekh.com

أمته، منها فجيعته في ابنه رامي الذي استشهد عام ١٩٩٣م على أيدي المحتلين الصهاينة، وقضاؤه فترة طويلة من عمره في سجون الاحتلال، وقد انعكست هذه المآسي والمحن والكوارث على كتاباته الصحفية والأدبية.

وللكاتب الراحل عدد من الأعمال الأدبية بداية برواية «سجينة» وانتهاءً بـ «الخطوات»، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من النصوص والدراسات والترجمات آخرها «طيور جريحة»، وهي مجموعة قصص صحافية، وأعمال أخرى منها: «نصوص لم تصل بعد»، و«نحو رؤية نقدية للأدب الفلسطيني»، وعمود أسبوعي في صحيفة «الأيام» الفلسطينية، وقد كرمته الدولة في حياته عندما منحته جائزة فلسطين للإبداع الروائي عن روايته «عبدالله التلالي».

فتح الباب يفوز بجائزة القدس

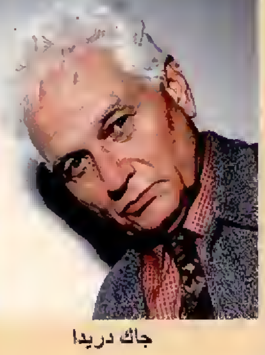

حسن فتح الباب

فاز الشاعر الدكتور حسن فتح الباب بجائزة القدس العربية التي يمنحها اتحاد الكُتَّاب العرب بدمشق سنويًا منذ العام الماضي، وهي جائزة تهتم بما يكتب عن النضال العربي الفلسطيني، وتحثّ المبدعين على مواصلة المقاومة عبر الكلمة مشاركة لأطفال الحجارة، وكل أشكال المقاومة العربية، وقد منحت الجائزة للشاعر فتح الباب تقديراً له على عطائه الشعري المعبر من المأساة والبطولة الفلسطينية بدءاً من عام ١٩٣٦م حتى اليوم.

وقال الشاعر فتح الباب في مقابلة صحفية أجريت معه: «لقد واكبت إبداعاتي الشعرية هذه القضية المركزية المقدسة منذ كتبت ونشرت قصيدة في رثاء الشهيد البطل عبدالقادر الحسيني، بطل أحد المعارك الهامة قرب القدس حتى الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧م، ثم الانتفاضة الثانية. وأنا أعتزّ بهذه الجائزة الشرفية بشكل خاص لا هتمامها بروح المقاومة الإبداعية».

والجدير بالذكر أن الكاتب المسرحي المصري ألفريد فرج كان قد فاز بهذه الجائزة في الدورة السابقة عن مسرحيته «النار والزيتون» المستلهمة من تاريخ النضال الفلسطيني.

ما الذي حدث في ١١ سبتمبر؟


جاك دريدا

صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة في مصر الطبعة العربية المترجمة من كتاب المفكر الفرنسي جاك دريدا «ما الذي حدث في ١١ أيلول (سبتمبر)»، وقد قامت بترجمة الكتاب صفاء فتحي.

ويتضمن الكتاب الذي يقع في ١٦٠ صفحة من القطع الكبير، حواراً أجرته جيوفاني بورودري مع دريدا حول أحداث ١١ أيلول، وقالت المترجمة صفاء فتحي: «لا يعدّ حدث ١١أيلول، وفقًا للنظرية التفكيكية، حدثًا، لكنه أمر يفتح الباب أمام أحداث أخرى مقبلة مستقبلاً لا يمكننا الآن توقعها أو التنبؤ بها أو تعريفها».

وأكد المفكر الفرنسي في هذا الكتاب أن العولمة أمر مفيد وسيّئ في اللحظة ذاتها، إذ إنها تؤدي إلى نتائج سلبية على العالم الراهن وشعوبه، وإلى استعباد الملايين الذين يكتفون بمشاهدة اغتناء الآخرين على شاشات التلفاز.

كاف نون

قام الشاعر المصري حلمي سالم بإنشاء دار نشر جديدة في القاهرة تحت اسم «كاف نون»، وقد بدأت الدار باكورة إصداراتها برواية الكاتب محمود سليمان وعنوانها «كوبري بندق»، وديوان لفاطمة ناعوت

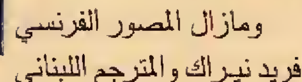
www.ahlaltareekh.com

بعنوان «على بعد سنتمتر واحد من الأرض».

وصرح صاحب الدار حلمي سالم: بأن عمل الدار لن يتوقف على نشر الكتب وحدها، بل تسعى الدار لإصدار مجلة فصلية ثقافية مستقلة بعنوان «قوس قزح»، وستشهد الأسابيع القادمة صدور أول أعداد هذه المجلة بمشاركة نخبة من الأدباء المشهورين، منهم: الدكتور جابر عصفور، وسعدي يوسف، وأدونيس، وعبدالعزيز المقالح، ومحمد برادة، وعبده وزان، ومحمد عبدالمطلب، وسعيد الكفراوي، وأمجد ناصر.

وأكد حلمي أن المجلة سوف تقوم بالتمويل الخاص من غير الاعتماد على أي مؤسسة مصرية لتمويلها، كما أعلن أنه سيقوم برئاسة تحرير المجلة بمعاونة آخرين.

صحفيون بلا حدود وأمريكا



روبرت مينار

وجهت منظمة «صحفيون بلا حدود» المستقلة انتقادات حادة إلى حكومة الولايات المتحدة لما أسمته رداً غير كافٍ على مطالب للتحقيق في اختفاء صحفيين في العراق.

ومازال المصور الفرنسي فريد نيراك والمترجم اللبناني حسين عثمان مفقودين منذ الثاني والعشرين من مارس/آذار الماضي عندما تعرض الفريق التلفازي الذي كانا يعملان معه للنيران، في أثناء وجودهم في سيارتهم قرب مدينة البصرة بجنوب العراق، مما أسفر عن مقتل الصحفي البريطاني تيري لويد. وكانوا جميعاً يعملون لشبكة تلفاز «آي تي إن» الأخبارية البريطانية.

وشكت «صحفيون بلا حدود» التي مقرها باريس من أن الردود التي أرسلتها وزارة الدفاع الأمريكية واللجنة الإنسانية الدولية لتقصي الحقائق المكلفة بالتحقيق في انتهاكات للقانون الإنساني الدولي تفتقر إلى احترام الضحايا.

وقال روبرت مينارد الأمين العام للمنظمة: إن ردّ البنتاجون اقتصر على العموميات والأقوال التي لا تقدم فائدة لدرجة أن المرء يمكنه بسهولة أن يستنبط منه أن الجيش الأمريكي ليس لديه أي نية لإجراء تحريات جادة بشأن الحوادث المختلفة التي تسببت في وفاة ٤ صحفيين على الأقل.

وأضاف مينارد قائلاً: «إن عدم الاكتراث هذا والافتقار الواضح إلى الرغبة في معاقبة أولئك المسؤولين عن هذه الأخطاء، إذا كانت أخطاء في الواقع، يقدمان صورة مروعة للتحالف الذي كان من المفترض أن يخوض هذه الحرب باسم قيم الديمقراطية والحرية».

وكانت فابيان زوجة نيراك قد كتبت رسالة إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش في الثالث من أبريل/نيسان للمطالبة بمعلومات عن حادث اختفاء زوجها.

وقالت الرسالة: إن شاهد عيان رأي نيراك وهو يسرع بمغادرة السيارة للاحتماء في حفرة على جانب الطريق.

وفي الوقت الذي تم فيه العثور على جثة لويد في وقت لاحق في مستشفى في البصرة، فإن المصور التلفازي الفرنسي لم يشاهد منذ ذلك الحين.

وقد امتنع الصحفيون والمصورون عن تغطية وصول وزراء الخارجية والدفاع للاتحاد الأوربي لدى وصولهم إلى قاعات الاجتماعات في بروكسل في مايو/آيار الماضي

معرض تونس الدولي للكتاب

افتتح معرض تونس الدولي للكتاب دورته الحادية والعشرين في الرابع والعشرين من أبريل/ نيسان الماضي في الضاحية الشمالية للعاصمة، بمشاركة نحو ٨٠٠ دار نشر، تمثل ٣٦ بلداً من العالم العربي وإفريقية وأوربا وأمريكا الشمالية، ومن بين دور النشر المشاركة ٣٦٠ دار نشر عربية غاب عنها العراق الذي دأبت دور نشره على المشاركة في فعاليات المعرض منذ دوراته

www.ahlaltareekh.com

الأولى، وذلك بسبب ظروف الحرب.

وقد سجل المعرض الحالي رقماً قياسياً لعدد الدور المشاركة التي بلغت ٧٩٩ داراً مقابل ٧١٦ داراً للعام الماضي.

واحتلت دور النشر التونسية والفرنسية المراتب الأولى بين الهيئات المشاركة في المعرض مع ١١٦ ناشراً من تونس و ٢٤٠ ناشراً فرنسياً.

أما بالنسبة إلى الدول العربية فقد احتلّ لبنان المرتبة ثانيةبـ ٧٤ ناشراً بعد تونس، تليه مصر بـ ٦٦ ناشراً، فسورية بـ ٢٦ ناشراً.

ومن بين الدول المشاركة الأخرى السعودية والأردن والجزائر وليبيا والمغرب وفلسطين والكويت وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وسويسرا وهولندا وكندا.

وتميز المعرض الحالي بكثافة المشاركة الإفريقية خلافًا للدورات السابقة التي اقتصرت فيها المشاركة على «جمعية الناشرين الأفارقة». ومن بين البلدان الإفريقية المشاركة السنغال وبنين وغينيا ومالي وساحل العاج ونيجيريا.

ومن ناحية أخرى ارتفع عدد الكتب المعروضة من ١٠٣٩٩١ كتاباً عام ٢٠٠٢م، إلى١١٢٦٨٠ كتاباً خلال الدورة الحالية.

وتشكل الكتب العربية ٧٠ في المائة من الكتب المعروضة مقابل ٢٦.٨٤ في المائة باللغة الفرنسية.

واشتمل برنامج هذه الدورة على عدة فعاليات ثقافية، منها ندوة فكرية دولية شارك فيها عدد من المثقفين العرب والأجانب، بالإضافة إلى فرق عمل موجهة إلى الشباب والأطفال، وموائد مستديرة تعنى بشؤون صناعة الكتاب والإبداع والتواصل، إلى جانب أمسيات شعرية.

مؤتمر للفلسفة الإسلامية

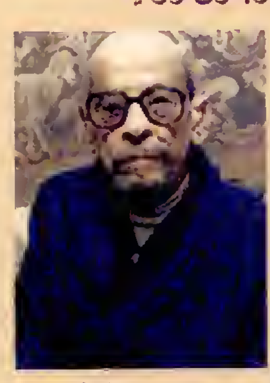
نظم قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة الشهر الماضي المؤتمر الثامن للفلسفة الإسلامية الذي جاء تحت عنوان: «حاضر العالم الإسلامي: أسباب التخلف وعوامل النهضة»، وقُدمت في المؤتمر نحو ٣٧ بحثًا لباحثين من كل من مصر والسعودية واليمن والإمارات والجزائر وإيران والكويت وقطر، منها: «التخلف وأسطورة التقدم» للدكتور عبدالوهاب جعفر أستاذ الفلسفة بجامعة الإسكندرية، و«الجهل بحقيقة الإسلام أحد أسباب تخلف المسلمين» للدكتور مسفر بن عزم الله الدميني الأستاذ بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وخلص المؤتمر إلى المطالبة بالتركيز في توحيد جهود الدول العربية والإسلامية ومواقفها لتحقيق مصالح الأمة الإسلامية ورعايتها، والعمل على تجديد العقل الإسلامي، والبدء في تنفيذ مشروعات إصلاح حاضر المسلمين في كل مكان على الأصعدة كافة سياسيًا واجتماعياً واقتصادياً وحضارياً لتحقيق النهضة.

ودعا المؤتمر، في ختام أعماله التي استمرت يومين، إلى وحدة الصف الإسلامي، والإسراع بإحداث إصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية في دول العالم الإسلامي، وتبني خطط وبرامج طموحة من شأنها توطين العلوم والتكنولوجيا في البلاد الإسلامية لتواجه التحديات التي تعترض طريقها.

نجيب محفوظ وأربعون رواية

قال كاتب مصري: إنه اطلع على أوراق احتفظ بها الكاتب المصري نجيب محفوظ منذ ثلاثينيات القرن الماضي مدون بها خطوط عريضة لأربعين رواية من التاريخ المصري القديم كان ينوي كتابتها.



نجيب محفوظ

وأوضح محمد سلماوي في حديثه عن «التراث الفرعوني في أدب نجيب محفوظ» أن محفوظ كان يخطط لاستلهام التاريخ الفرعوني في هذه الروايات على غرار روايات سير والتر سكوت في رواياته في القرن التاسع عشر عن

www.ahlaltareekh.com

تاريخ أسكتلندا، ونفذ محفوظ من هذا المشروع ثلاث روايات فقط في مطلع شبابه هي «عبث الأقدار»، و«رادوبيس» عام ١٩٣٩م، «وكفاح طيبة» عام ١٩٤٣م.

وأضاف سلماوي، في ندوة عقدت بالمتحف المصري، أن محفوظ وجد نفسه يتحول إلى كتابة الرواية الواقعية في أعماله التالية ابتداء من «القاهرة الجديدة» و«زقاق المدق»، وصولاً إلى قمة تلك المرحلة في «الثلاثية»، مؤكداً أن عبقرية الكاتب الحقيقي تتجلى في تجاوز كل مرحلة انطلاقاً من إلمامه بتراثه وتفاعله مع متغيرات عصره.

وكان سلماوي مسؤولاً عن العلاقات الثقافية الخارجية بوزارة الثقافة المصرية عندما حصل محفوظ على جائزة نوبل للأدب عام ١٩٨٨م، وتسلم الجائزة نيابة عن صاحبها.

الموسوعة اليمنية

صدر مؤخراً عن مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة العفيف الثقافية اليمنية الطبعة الثانية من الموسوعة اليمنية، وقد جاءت هذه الطبعة في أربعة مجلدات، وفي حدود ٣٢٣٣ صفحة.

صورة الغلاف

وقد أعلنت مؤسسة العفيف الثقافية اليمنية على لسان رئيس مجلس أمنائها أحمد جابر عفيف أن تكلفة نفقات طباعة هذه الموسوعة باهظة جداً، وأن المؤسسة لا تطمع في أي ربح من وراء بيعها بقدر ماتأمل في تحقيق الهدف الثقافي والحضاري منها، وتغطية نفقات الطباعة.

وقال عفيف في مؤتمر صحفي عقده في العاصمة اليمنية صنعاء: إن قرار تأسيس المؤسسة الذي جاء قبل ١٣ عاماً «كان في الأساس لأجل إعداد وإصدار موسوعة عن اليمن حاضرها وماضيها، إنسانها وأرضها، تجيب عن كل سائل، وتضع أمام غير المتخصصين ما يعرفه المتخصصون، وتسلمهم مفاتيح البحث والمعرفة، فتكون المثيرات للتقدم والتطور والنهوض باليمن».

وأكد عفيف أنهم بذولوا جهداً كبيراً في سبيل إصدار الطبعة الثانية من الموسوعة التي تلافت ما ثبت من قصور وأخطاء في الطبعة الأولى، لكنه استدرك: «إن ذلك لا يعني خلو الطبعة الثانية كلياً من القصور، بقدر ما يعني ضمان التجدد والاقتراب من الكمال بالاستمرارية والتواصل».

والجدير بالذكر أن هذه الطبعة من الموسوعة ليست نسخة مزيدة ومنقحة عن الطبعة الأولى، لكنها مختلفة عنها تماماً من حيث المنهج والمحتوى والشكل، وقد شارك في إعدادها ما يزيد على مئة وتسعة وسبعين باحثاً كل في مجال تخصصه.

ويذكر أن أحمد جابر عفيف رئيس مجلس أمناء المؤسسة هو أحد أوائل وزراء التربية والتعليم في اليمن الجمهوري، ومرشح لعضوية مجلس أمناء مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت.

شاعر في نيويورك

عاد إلى الظهور مرة أخرى مخطوط ديوان الشاعر الإسباني فيدريكو غارثيا لوركا بعد أن ظل ضائعاً مدة تقارب خمسين عاماً، وأعلنت محلات كريستيز في لندن أنها ستقوم بعرض هذا المخطوط، الذي جاء بعنوان: «شاعر في نيويورك»، للبيع في المزاد العلني في الرابع من يونيو/حزيران القادم.

وتعود قصة هذا المخطوط إلى عام ١٩٣٦م حين كانت الأزمة السياسية على أوجها بين الملكيين والجمهوريين، وقبل نشوب الحرب قرر الشاعر طبع ديوانه، فذهب إلى مكتب صديقه خوسيه بيرغامين، صاحب مجلة «كروث أي رايا»، ولكنه لم يكن موجوداً حينها، فترك الشاعر مخطوطة الديوان على مكتب صديقه على أن يعود مرة أخرى، ولكنه لم يعد، إذ غادر مدريد إلى غرناطة، وهناك قُبض عليه، وصدر ضده حكم بالإعدام في أغسطس/ آب عام ١٩٣٦م، أي في بداية الحرب.

www.ahlaltareekh.com

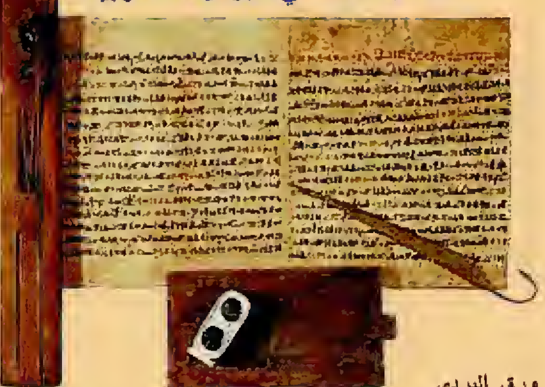
وظل المخطوط ضائعًا نحو خمسين عامًا حتى ظهر عام ١٩٩٩م عند سيدة مكسيكية تدعى مانولا سابيدرا، وهي ممثلة كانت تشارك في مسرحيات لوركا، وخاضت سابيدرا معركة قضائية مع ورثة الشاعر لوركا عندما علموا بوجود المخطوط في حوزتها ونيتها بيعه، ولكن سابيدرا كسبت في النهاية الجولة القانونية، وأصبح المخطوط ملكًا لها.

لوركا

ويشتمل المخطوط المذكور على ٣٢ قصيدة: ثلاث منها بخط الشاعر، والبقية مطبوعة بالآلة الكاتبة، وعليها تعليقات وتعديلات بخط الشاعر. وكان لوركا قد كتب هذا الديوان الذي يعد أهم دواوينه، عندما كان يدرس في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة بين عامي ١٩٢٩و١٩٣٠م، وقد أورد الشاعر في هذا الديوان عدم ارتياحه لمدينة نيويورك، وانتقد كثيراً من المظاهر الموجودة فيها.

ولد الشاعر لوركا في مدينة غرناطة عام ١٨٩٢م، وتوفي مقتولاً عام ١٩٣٦م، ويعدّ لوركا أهم شعراء إسبانيا وأبرزهم في العصر الحديث، وأحد أقطاب جيل الـ ٢٧، وقد عُرف عنه ولعه بالحضارة العربية الإسلامية، ودفاعه عن المظلومين والمضطهدين.

أرشيف وثائقي للبرديات العربية



ورق البردي

أُسس في مصر أول أرشيف وثائقي للبرديات العربية في المجلس الأعلى للآثار كأول أرشيف في العالم العربي لحصر البرديات العربية المحفوظة وفهرستها ومعرفة أحوالها في المتاحف العربية ومتاحف العالم الأخرى.

وتحتفظ دار الكتب المصرية بـ ٤٠٠٠ بردية فقط، مع وجود عشرات الآلاف من البرديات موزعة على عدد كبير من متاحف العالم، وتؤرّخ هذه البرديات للفترة من الفتح الإسلامي حتى القرن الرابع الهجري، وتعطي صورة حقيقية للحياة في هذه الفترة مثل الأحوال الاجتماعية من زواج وطلاق ومعاملات تجارية واقتصادية.

وقد اتخذت اللجنة التي أُنيط بها تنفيذ هذا المشروع عدة إجراءات في سبيل حصر مجموعة البرديات العربية المحفوظة في المتاحف والمواقع الأثرية وفهرستها، وأيضاً التعاون مع الهيئات المحلية والدولية لعمل كتالوجات لهذه البرديات، إذ يوجد في بعض هذه الهيئات والجامعات والمعاهد الدولية عدد من البرديات الكاملة وبعض من بقايا برديات توجد أجزاء مكملة لها في مصر، وباستكمال هذه البرديات تنكشف حقائق تاريخية كثيرة عن الحضارة الإسلامية كانت غائبة عن المؤرّخين.

وفاة الكاتب الجزائري محمد ديب



محمد ديب

توفي في العاصمة الفرنسية باريس في الثاني من مايو/أيار الماضي الكاتب الجزائري محمد ديب عن عمر يناهز ٨٢ عامًا، وقد نعاه الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقه في برقية بعث بها إلى عائلته: «رحل عنا محمد ديب ورحيله يعدّ خسارة فادحة للجزائر التي ستلبس الحداد مثل عائلته وأصدقائه وجميع الذين تمكنوا من التقرب منه وتقدير نتاجه والإعجاب به».

كما نعته وزارة الثقافة الفرنسية، وقال وزير الثقافة الفرنسي جان جاك أيغلون: إن «محمد ديب الذي استقر في فرنسا منذ عام ١٩٤٥م كان صلة الوصل الروحية

www.ahlaltareekh.com

بين الجزائر وفرنسا، وبين الشمال والجنوب في المتوسط، وبين ضفتي الفرنكوفونية»، و«إن شعبين صديقين ولغة واحدة فقدوا اليوم كاتباً كبيراً».

استهل ديب حياته الأدبية شاعراً، ولكنه لم يلبث أن انتقل إلى الرواية ليعود من جديد إلى الشعر، ويصبح شاعراً وروائياً في الوقت نفسه، إلا أن نتاجه الروائي يفوق نتاجه الشعري غزارة وشهرة، وقد بلغت دواوينه الشعرية ستة دواوين، بينما بلغت رواياته أكثر من عشرين رواية.

ويعدّ ديب من كبار كتّاب الجزائر بالفرنسية، نشر روايته الأولى «البيت الكبير» التي صدرت عن دار«لو سوى» عام ١٩٥٢م، وحصل على كثير من الجوائز بينها جائزة الفرنكوفونية عام ١٩٩٤م، التي تمنحها الأكاديمية الفرنسية، وجائزة مالارميه عام ١٩٩٨م.

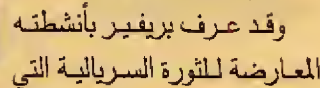
والمؤلم في حياة هذا الأديب أنه لم يزر الجزائر منذ عشرين عاماً، وعندما قرر أن يزورها في ديسمبر/كانون الأول القادم ليمنح جائزته في كتابة القصة لأحد الموهوبين الشباب، عاجله الموت قبل أن يحقق هذا الحلم. وقد كرّمه الجزائريون في مطلع هذا العام في إطار سنة الجزائر في فرنسا، إلا أن المرض أيضاً لم يمكنه من حضور هذا التكريم.

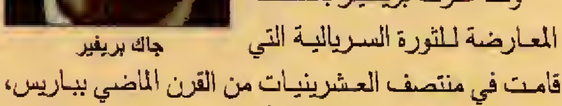
ذكرى رحيل بريفير

احتفلت الأوساط الثقافية في فرنسا في الحادي عشر من أبريل/نيسان الماضي بذكرى رحيل الشاعر الفرنسي جاك بريفير الذي توفي في هذا التاريخ نفسه عام ١٩٧٧م عن عمر يناهز ٧٧ عاماً.

جاك بريفير

وقد عرف بريفير بأنشطته المعارضة للثورة السريالية التي قامت في منتصف العشرينيات من القرن الماضي بباريس، ونشر عدداً كبيراً من المقالات أبرزها في مجلة «تحولات»، وهي المجلة نفسها التي اعتاد السرياليون النشر فيها، وعلى الرغم من انفصال بريفير عن السرياليين كجماعة، إلاّ أنه ظل يتبنى السريالية كطرح فكري.





وفاة الدكتور محيي الدين صابر



محي الدين صابر

ودعت مدينة الخرطوم بحري في الخامس من مايو/أيار الماضي الدكتور محيي الدين صابر بعد معاناة طويلة مع المرض، ويعدّ الدكتور صابر من أوائل المتعلمين السودانيين الذين نالوا تعليمهم في الجامعات الأوروبية، وقد تبوأ أرفع المناصب الأكاديمية والعلمية داخل وطنه وخارجه.

ولد الدكتور صابر عام ١٩١٩م، بدلقو المحس في شمال السودان، وتلقى تعليمه الأولي في كُتّاب القرية حيث حفظ القرآن الكريم، ثم هاجر إلى مصر ليلتحق بوالده الذي كان يعمل هناك، ولم يتجاوز عمره الاثني عشر عاماً، وفي مصر ألحقه والده بالجامع الأزهر، ومنه تحصل على شهادة العالمية، والتحق بعد ذلك بدار العلوم لينال فيها شهادة البكالوريا، ثم حصل على منحة للدراسة في فرنسا، وفيها نال درجة الدكتواره، والتحق بجامعة «بوردو» الفرنسية، وتخصص في علم الأجناس «الأنثروبولوجيا»، وكانت دراسته الميدانية عن قبيلة الزاندي، وبها حصل على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة.

وكان صابر شاعراً وأديباً أتقن العربية منذ نعومة أظفاره، ثم تعمق في اللغة الفرنسية التي أثرت فيه تأثيراً كبيراً، وله كثير من القصائد الشعرية، وله ديوان شعر معدّ للطبع، وقد أمر الفقيد بألاّ يطبع هذا الديوان إلا بعد وفاته، وقد أوصى بإهداء مكتبته العامرة إلى مكتبة جامعة الخرطوم.

وتقلّد صابر عدداً من المناصب العلمية والسياسية، إذ كان وزيراً للتربية والتعليم في عهد الرئيس السوداني الأسبق جعفر نميري، وفي عهده غُيِّرت المناهج التعلمية في نقلة تربوية كبرى لم يشهدها السودان من قبل، ومازالت تلك التجربة تثير النقاش حتى يومنا هذا، كما تولى إدارة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الإلسكو» ثلاث دورات متتالية، وله كثير من الإنجازات منها:

- إنشاء مركز التراث العربي، ومركز الكتاب العربي، خلال عمله ثلاث دورات غير مسبوقة «١٢ سنة» على رأس

www.ahlaltareekh.com

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الإلسكو»، وأدخل فيها مكتبة بالميكروفيلم كانت الأولى من نوعها في العالم العربي .. وكل تراث فقد في حرب العراق موثّق وموجود برئاسة المنظمة بتونس.

- أقام المنظمة العربية لبيئة البحر الأحمر وخليج عدن رافداً لمنظمة «الإلسكو»، وقد تولّد عنها فيما بعد مجلس وزراء البيئة.

- أسس معهد الخرطوم للغة العربية للناطقين بغيرها، وكذلك مركز محو الأمية الوظيفي بمصر.

وكان أول من استعمل تعبير العولمة وبشّر به في بداية الثمانينيات، وذلك في إطار النظام العالمي الجديد آنذاك، وقد وضع د. صابر موسوعة من تسعة أجزاء تتعلق بالعولمة وفروعها.

وقد نعته الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في بيان جاء فيه: «إن رحيل هذا العالم الجليل يعدّ خسارة كبيرة في ميدان الثقافة والتربية. والأمانة العامة تنعى إلى الأمة هذا العالم الذي قصر حياته على خدمة قضايا وطنه وأمته العربية والإسلامية والذي تولى مسؤولية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعد مؤسسها الراحل عبدالعزيز السيد الذي رشح الدكتور صابر رئيساً لجهاز محو الأمية وتعليم الكبار بعد أن ترك منصبه كوزير للتعليم العالي في السودان عام ١٩٦٨م، وأدخل عليه مشروعات ما زالت تشهد على حسن إدارته مثل مشروع تبسيط اللغة العربية ومشروع محو أمية الكبار».

معرض عراقي في أمريكا

في الوقت الذي يتحسر فيه العالم على نهب متحف بغداد وإحراقه، تستعد مدينة نيويورك لاحتضان أكبر معرض لفنون بلاد ما بين النهرين ينظم خلال السنوات الأخيرة، ويدل على روعة التراث المنهوب في العراق وقيمته.

وبداية المعرض، الذي أطلق عليه اسم «فنون المدن الأولى - الألف الثالث قبل المسيح - من المتوسط إلى نهر هندوس (أو السند)» في الثامن من مايو/ أيار، ويستمر حتى السابع عشر من أغسطس/آب، في متحف «ميتروبوليتان» بعرض نحو ٤٠٠ قطعة فنية فريدة من نوعها في العالم، استعيرت من نحو اثني عشر متحفاً من أكبر متاحف العالم. وإن كان المعرض لا



من الآثار العراقية

يضم أي قطعة جُلِبَتْ من العاصمة العراقية، فإنه يجمع أجمل مظاهر الفن في بلاد ما بين النهرين، ومنها قطع شهيرة مثل «ستاندارد أور» التي أعارها المتحف البريطاني، و«رأس الثور» الرائع المحلى بالذهب، وأحجار اللازورد الزرقاء التي استعيرت من متحف جامعة بنسيلفانيا، إضافة إلى أعمال ومنحوتات شهيرة من متحف اللوفر في باريس. وصرح مدير المتحف فيليب دي مونتيبيلو «إنه لوضع مأساوي، إنها لسخرية غريبة من القدر أن نتمكن من عرض هذه القطع لإعطاء فكرة للجمهور لما فقدناه إلى الأبد».

وجاءت عمليات نهب متحف بغداد، التي تلاها تجميع هذه القطع الفريدة لفن بلاد ما بين النهرين لتسوّغ مواقف كل الذين، يرون أن تقسيم التراث العالمي بين المتاحف الغربية والبلدان الأصلية أمر جيد، ومن بينهم مدير متحف ميتروبوليتان، ويطعن في مشروعات المطالبة بإعادة هذه القطع الفنية إلى بلدانها الأصلية.

دليل مجلات البحث العلمي الجامعية

صدر عن اتحاد جامعات العالم الإسلامي الذي تحتضنه المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو» «دليل مجلات البحث العلمي الجامعية» بثلاث لغات؛ العربية والإنجليزية والفرنسية، في طبعة واحدة تقع في ٣١٨ صفحة من القطع الكبير، الغاية منه تيسير تبادل هذه الدوريات بين الجامعات، وتعميم الاطلاع عليها والإفادة منها.

ويضم هذا الدليل معلومات مفصلة عن ٢٦٧ مجلة علمية جامعية، تصدر عن ٥٣ جامعة، في ٢١ دولة من دول العالم الإسلامي.

www.ahlaltareekh.com

ويقدّم الدليل معلومات دقيقة وافية فنية وإدارية، عن مجلات البحث العلمي الجامعية، تشمل عنوان كلّ دورية، واسم مديرها ورئيس تحريرها، وعنوان مقرّها كاملاً، ورقم هاتفها وفاكسها وبريدها الإلكتروني، واسم ناشرها وعنوانه، وسنة صدور العدد الأول منها، وعدد مرات صدورها في السنة، ولغتها، وحقول تخصصها، ورقم تسلسلها الدولي، وسعر بيعها، وعدد النسخ التي توزع من كلّ عدد من أعدادها، وثمن الاشتراك السنوي فيها. وقد تم ترتيب هذه المعلومات طبقًا لتوصية المنظمة العالمية للتقييس، ليسهل تداول البيانات وتخزينها في قواعد المعلومات.

وستصدر طبعة ثانية من دليل مجلات البحث العلمي الجامعية تضم عددًا أكبر من المجلات العلمية، وقد سبق للاتحاد أن قام بإعداد دليل جامعات العالم الإسلامي الذي صدر بالفعل.

رحيل نبيه الأنصاري

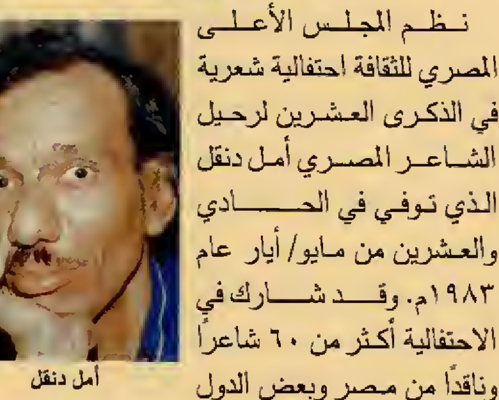
فقدت الأوساط الثقافية والصحفية السعودية في الثاني عشر من صفر (الموافق ١٤ أبريل /نيسان ٢٠٠٣م)، الأستاذ نبيه الأنصاري صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها التي أسسها والده الأستاذ الشيخ عبدالقدوس الأنصاري في المدينة المنورة عام ١٣٥٧هـ.

وقد ترأس نبيه الأنصاري تحرير المنهل بعد وفاة والده عام ١٤٠٣هـ، وعمل على تطويرها، وبذل في سبيل ذلك الكثير من الجهد والمال، واستطاعت المجلة أن تكسب كتّابًا جددًا، إضافة إلى كتّابها السابقين.

وقد عمل الراحل في وظائف حكومية منها دائرة المطبوعات، وكان مدير فرع المطبوعات أيضًا بوزارة الإعلام بالمنطقة الغربية. كما أشرف على إصدار مجلة الإذاعة السعودية عام ١٣٧٥هـ، وله كثير من الكتابات الأدبية والقصصية في عدد من الصحف عامة، وفي مجلة المنهل خاصة. وله مجموعة قصصية معدة للطبع.

وقد صرح الأستاذ زهير نبيه الأنصاري ابن الفقيد بأن المنهل ستظل وفية لذكرى الفقيد وذكرى مؤسسها، وأنها ستصدر كالمعتاد وستتطور إلى الأحسن، «إذ أوصى والدي بأن أتفرغ للعمل فيها ومتابعة شؤونها». ووعد زهير الأنصاري أن يستمر وفيًا لخطا والده في خدمة الفكر والثقافة.

القاهرة تحتفي بأمل دنقل



أمل دنقل

نظم المجلس الأعلى المصري للثقافة احتفالية شعرية في الذكرى العشرين لرحيل الشاعر المصري أمل دنقل الذي توفي في الحادي والعشرين من مايو/ أيار عام ١٩٨٣م. وقد شارك في الاحتفالية أكثر من ٦٠ شاعراً وناقدًا من مصر وبعض الدول العربية، وقد تضمنت الاحتفالية ندوة بعنوان: «الإنجاز والقيمة» تناولت تجربة الشاعر الراحل، وتعددت محاور الندوة ومنها: الرفض والشاعر، والسلطة والموروث الديني، والأنا والآخر، والنقد الاجتماعي والمفارقة، والموت والمرض، ووعي المدينة ووعي الذات، كما أقيمت خلال الاحتفالية أمسيات شعرية ألقيت خلالها بعض قصائد أمل دنقل، وبينها قصيدة «لا تصالح» التي كتبها بعد الزيارة التي قام بها الرئيس المصري أنور السادات إلى إسرائيل عام ١٩٧٨م.

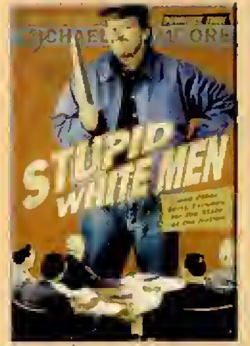
وقد شارك في الاحتفالية الشاعر الفلسطيني محمود درويش، والسوريان محمود عدوان ونزيه أبو عفش، واللبنانيون محمد علي شمس الدين، وعبده وازن، وعباس بيضون، والأردنيان أمجد ناصر، وإبراهيم نصر الله، والمصري أحمد عبدالمعطي حجازي، والبحريني قاسم حداد.

وقدّمت خلال الاحتفالية شهادات من أصدقاء الراحل عن تجربته الشعرية وحياته في القرية والمدينة، وقد أصدرت الندوة مجموعة من الأعمال الكاملة لأمل دنقل، ومجموعة بعنوان «البدايات» التي كتبها في بداية حياته

www.ahlaltareekh.com

الشعرية ولم تنشر، كما صدر كتاب من إعداد الشاعر حلمي سالم بعنوان «عم صباحًا أيها الصقر المجنح» يضم مجموعة من المراثي الذي نظمها الشعراء العرب في أمل دنقل، كما نشر المجلس الأعلى للثقافة الإصدار الثالث لببليوغرافيا سبق نشرها عن الشاعر، وكتاب «النشيد الأبدي» للناقد المغربي حسن الغرفي في قراءة لشعر الراحل، كما أُقيم في الاحتفالية معرض فني للوحات بالخط العربي من قصائد أمل دنقل شكلها فنان الخط العربي حامد العوضي، إضافة إلى فيلم تسجيلي عن حياة الشاعر للمخرجة عطيات الأبنودي.

لائحة سوداء لمعارضي الحرب



غلاف «رجال بيض أغبياء»

اشتكى عدد من نجوم هوليود من وضعهم على «لائحة سوداء»، على أثر تصريحاتهم المناهضة لسياسة الرئيس جورج بوش، وقد أعلنت اللائحة في موقع على الإنترنت رفض أصحابه الكشف عن هوياتهم، وهم على ما يبدو من اليمين، وقد جاء في الموقع: «نحتج بشدة على مشاهير هوليوود الليبراليين الذين لم يكن لديهم أفضل من انتقاد أميركا وانتقاد رجالنا ونسائنا الذين يدافعون عن نمط حياتنا».

وضمت اللائحة السوداء ٤٤ اسمًا أبرزها المغنيتان والممثلتان باربارا سترايسند، ومادونا، والممثلون داستن هوفمن، وجوليا روبرتس، وريتشارد غير، وروبن وليامس، والمخرج مارتن سكورسيزي.

ويذكر أن العشرات من الفنانين في هوليوود نشطوا في الأشهر الأخيرة لرفع رايات السلام، وإعلان رفضهم الحرب على العراق عبر نشرهم رسائل مفتوحة في الصحف موجهة إلى الرئيس جورج بوش، أو مشاركتهم في التظاهرات.

فالممثل الأمريكي شون بين الذي قام بزيارة إلى العراق يتعرض لملاحقة قانونية مع منتج سحب منه دوراً، ولكن المسألة مختلفة بالنسبة إلى كثيرين من المشاهير في الوسط الفني الأمريكي مثل المخرج الوثائقي مايكل مور الذي هتف لدى تسلمه جائزة الأوسكار عن فيلم «بولينج فور كولومباين» في ٢٣ مارس/آذر الماضي «نحن ضد الحرب ياسيد بوش، عار عليك، عار عليك»، فإن فوائد مواقفه الصريحة كانت أكثر سخاء، فكتابه «رجال بيض أغبياء» الذي خرج إلى الأسواق قبل أكثر من سنة سجل هذا الأسبوع ثاني أفضل مبيعات لكتاب، وتلقى طلبات على فيلمه أكثر من فيلم «شيكاغو» الحائز جائزة أفضل فيلم.

المارينز في بابل

بسط الجيش الأمريكي سيطرته على الأراضي العراقية، وتجولت القوات الأمريكية في مدينة بابل الأثرية التي حكمها الملك نبوخذ نصر، وهي مهد للحضارة وإحدى الدرر التي تحفل بها أرض العراق الغنية بالآثار.

وازدهرت بابل مرتين في العصور القديمة، وقادت لوضع أسس غالبية الحضارات الموجودة حاليًا نتيجة اهتمامها بمبادئ القانون والثقافة والعلوم، وحدائق بابل المعلقة هي إحدى عجائب الدنيا السبع. ومع ذلك لم تجتذب بابل الزائرين فترة من الزمن على الرغم من تراثها العظيم، وذلك بسبب العزلة الدولية التي عاناها العراق خلال فترة حكم صدام، وجاءت الحرب لتؤدي إلى قطع الكهرباء عن المدينة وإغلاق المتاحف بسبب الخوف من أعمال النهب.

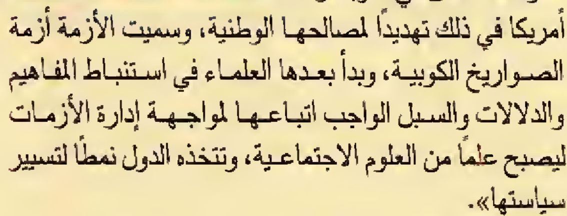
وقالت مجموعة من العاملين في موقع أثري معطل حاليًا وهم يقفون بمحاذاة بوابة عشتار إحدى أشهر المعالم الأثرية في بابل إبان حكم الملك نبوخذ نصر الثاني: إنهم يأملون أن يجلب السلام معه المزيد من السائحين إلى المنطقة عقب نهاية الحرب.

وقال محمد البالغ من العمر ٣٦ عامًا، ويعمل مرشدًا سياحيًا: «نتوقع قدوم المزيد من السائحين». لكن عندما سئل عن نظرته إلى مستقبل العراق في ضوء ستة آلاف عام من التاريخ الحافل .. عكست إجابة محمد درجة من عدم اليقين تسري في نفوس العراقيين الذين يحذرون، مما يضمره لهم الأمريكيون، وقال «لا نعرف الآن ما سيحدث في المستقبل».

www.ahlaltareekh.com

العتيبي، محمد بن عبيد/إدارة الأزمات والتفاوض في القرن ٢١.- الرياض: المؤلف، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ٣٢٦ص.

يقول المؤلف في مقدمته: «إن الأزمات أصبحت علماً منذ عام ١٩٦٢م عندما نصب الاتحاد السوفيتي صواريخ متوسطة المدى في كوبا فرأت أمريكا في ذلك تهديداً لمصالحها الوطنية، وسميت الأزمة أزمة الصواريخ الكوبية، وبدأ بعدها العلماء في استنباط المفاهيم والدلالات والسبل الواجب اتباعها لمواجهة إدارة الأزمات ليصبح علماً من العلوم الاجتماعية، وتتخذه الدول نمطاً لتسيير سياستها».

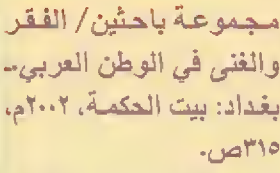


وقد قسم الكتاب ثلاثة أبواب رئيسة: الباب الأول، يضم أربعة فصول: الأول: عن المفاهيم العامة لإدارة الأزمات والتفاوض، والثاني: عن النظريات ووسائل ومراحل إدارة الأزمات والتفاوض، والثالث: عن التخطيط العلمي والدراسات المستقبلية، والرابع عن التخطيط البعيد المدى لإدارة الأزمات والتفاوض.

أما الباب الثاني فيتكون من خمسة فصول: الأول يناقش دور المعلومات للتنبؤ بالأزمات واتخاذ القرارات، والفصل الثاني في الأساليب العلمية للتنبؤ بالأزمات والتفاوض وتقويم البدائل لاتخاذ القرارات، والفصل الثالث يتناول أسلوب إعداد الفرضيات (البدائل) المتاحة لإدارة الأزمات والتفاوض، والفصل الرابع: عن أساليب إدارة الأزمات الدولية والتفاوض، ويناقش الفصل الخامس التفاوض في إدارة الأزمات الدولية.

ويتضمن الباب الثالث خمسة فصول وخاتمة، يعالج الفصل الأول تنظيم مركز إدارة الأزمات والتفاوض، والثاني تنسيق إدارة الأزمات والتفاوض وتقويمها، والثالث أهم الدروس المستفادة من إدارة الأزمات والتفاوض. والرابع منهج إدارة الأزمات والتفاوض، والخامس الإرهاب الدولي.

كما ضم الكتاب ملاحق للجداول والأشكال والمرفقات عن مواد ميثاق الأمم المتحدة باستخدام القوات المسلحة في تحقيق الشرعية الدولية، وأهم معالم اتفاقية جنيف الأولى، والمعاهدات الدولية، وعناصر التقويم وموضوعاته.



مجموعة باحثين/ الفقر والغنى في الوطن العربي.- بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٢م، ٣١٥ص.



هذا الكتاب ندوة علمية عقدها قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة في العراق بالتعاون مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة. وركزت الندوة في تعريف مفهوم الفقر وعلاقته بمفاهيم الثقافة الفرعية للفقراء، والمشكلات الاجتماعية والهجرة، والظواهر الحضرية، كما أظهرت واقع الفقر في العالم العربي من خلال الأرقام والإحصاءات الدالة على ذلك، واختتمت الندوة في الربط بين الفقر وخوف الإنسان، كما تناولت بعض الوصفات المقترحة لإزالة الفقر؛ وذلك من منظور نقدي، لنصائح المؤسسات الدولية ولاسيما صندوق النقد الدولي، ومنظمة العمل الدولية، ومنظمة التجارة العالمية، واستعرضت الندوة بعض الآليات الدفاعية - الاقتصادية - للفقراء في مواجهة أسواق معولمة يتعاظم فيها تأثير قيم المنافسة، بل الصراع والربح على حساب منظومات القيم الروحية والأخلاقية.

و تنوعت عناوين الأوراق المقدمة منها: «تطورات مؤشرات الإطار المفاهيمي للفقر» للدكتور كريم محمد حمزة، و«الفقر وحقوق الإنسان» للأستاذ باسيل يوسف، و«أسباب ومصادر الغنى والفقر في الوطن العربي» للدكتور همام الشماع، والدكتور يسري السامرائي، و«دور السياسات الاقتصادية في تفاقم ظاهرة الفقر والغنى» للدكتورة آمال شلاش، و«الفقر والمشكلات الاجتماعية نحو إستراتيجية عربية شاملة في التكافل القومي والاجتماعي» للدكتور عدنان ياسين، والدكتور محسن خليل. إضافة إلى عدد من البحوث المتميزة لكل من: د. إسماعيل عبيد حمادي، وهناء إبراهيم الخفاجي، ود. قصي قاسم الكليدار، ود. عبدالله حمد الهباش، و د. عماد عبداللطيف سالم، ود. ناهد عبدالكريم حافظ، ود. محمود خالد المسافر.

www.ahlaltareekh.com

هوفمان، مراد/ الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود، تعريب: عادل المعلم و يس إبراهيم.- القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٢٧٣ص.



يطرح هذا الكتاب مجموعة من الأسئلة محاولاً الإجابة عنها، وهي: هل سيقوم العالم الإسلامي بتحديث نفسه؟ أم سيمتثل هذا العالم لأسلوب الحياة الأمريكي؟ أم أن هذا العالم سيستمر في رفضه للأسلوب الأمريكي في الوقت نفسه؟ هل سيستمر انتشار الإسلام في الغرب كما حدث في الثلث الأخير من القرن العشرين؟ هل سيتم هذا بالوسائل السلمية؟ وما النتائج المترتبة بالنسبة إلى الغرب والمؤثرة في حالة إخفاق العالم الإسلامي في القيام بعملية تجديد أخلاقي وإحياء لبنائه؟ وما النتائج المرتقبة في حالة نجاح العالم الإسلامي في أن ينهض من جديد؟ ومن ثم يكتسب قوة جاذبة في الغرب؟ هل يمكن أن يصبح هذا الدين - وهو نظري وعقائدي - بالفعل ديناً يسود العالم؟ هل سيصبح الإسلام في هذه الحالة العلاج والشفاء الذي سينقذ الغرب من نفسه؟ وهل سيصبح الغرب قادراً على الاعتراف بالإسلام كدواء يصلح لشفائه، دواء يساعد الغرب على تخطي أزمته وإنقاذ حضارته؟

مالدونادو، باسيليو بابون/ الفن الإسلامي في الأندلس (الزخرفة الهندسية)، ترجمة: علي إبراهيم منوفي، مراجعة: محمد حمزة الحداد.- القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م، ٨٤٦ص، (المشروع القومي للترجمة؛ ٣٥٣).

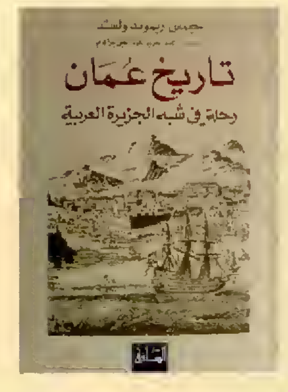
تحتل الفنون الإسلامية - ولا تزال - مكانة مرموقة بين الطرز الفنية التي عرفتها الحضارة الإنسانية عامة؛ فقد استطاعت أن تنتشر في عدة أقطار من أقصى الشرق إلى الغرب، وأن تحقق لنفسها طرازاً فريداً بين الطرز، ويكفي للدلالة على مكانة ذلك الطراز أنه قد أثر تأثيراً واضحاً في الفنون الأوربية.

وهذا الكتاب دراسة تحليلية مطولة للزخارف الهندسية من الطراز الأندلسي من حيث نشأتها ومراحل تطورها بدءاً من عصر الخلافة الأموية بقرطبة، وانتهاءً بأبسط الأعمال المدجنة ذات الطابع الشخصي، مع التركيز في وضع تلك الزخرفة على مداها التاريخي الصحيح، وإسكانها داخل العقل الغربي.

ومؤلف هذا الكتاب السيد باسيليو بابون مالدونادو أحد كبار علماء الجيل الثاني في إسبانيا الذين عكفوا على دراسة الفن الإسلامي، وأسهموا في دراسة عدد من نواحي ذلك الفن حتى أصبح حجة راسخة في هذا المضمار.

وله أعمال مهمة منها: «مذكرات حول حفائر مسجد الزهراء» (١٩٦٦م)، و«الشرفات الزخرفية الأندلسية» (١٩٦٧م)، و«الفن الطليطلي: الإسلامي والمدجن» (١٩٧٣م)، و«دراسات حول قصر الحمراء»، جزءان (١٩٧٠ - ١٩٧٧م)، و«كتاب العمارة الإسلامية في الأندلس» (الجزء الأول - المياه)، و«الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة النباتية»، و«كتاب المدن الأندلسية» (١٩٩٢م)، و«العمارة الإسلامية في الأندلس»، و(الجزء الثاني - المدن والقلاع) (١٩٩٩م)، إضافة إلى عدد كثير من البحوث والدراسات التي نشرها في الدوريات والمجلات المختلفة، فضلاً عن مشاركته في عدد من المؤتمرات الدولية والندوات المهتمة بالفن الإسلامي في الأندلس.

ولستد، جيمس ريموند/ تاريخ عُمان: رحلة في شبه الجزيرة العربية، ترجمة: عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم.- بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٢م، ٢٠٨ص.



هذا الكتاب هو ترجمة المجلد الأول من كتاب ولستد الذي صدر في مجلدين بعنوان: «رحلات في الجزيرة العربية»، وقد ترجم الجزء الأول من المجلد الأول الذي جاء تحت عنوان «عُمان ونقب الحجار».

www.ahlaltareekh.com

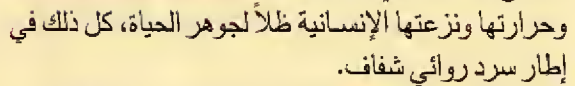
يقول جيمس ريموند ولستد الرحالة الذي زار عمان في الفترة من ١٨٣٥ - ١٨٣٦م: إنه وضع في كتابه ذي الجزأين: «رحلات في شبه الجزيرة العربية» أبحاثاً عن أرجاء واسعة من شبه الجزيرة العربية يفتقر إليها الأوربيون من رجال عصره، على الرغم من أهميتها لأهدافهم، وعبر الكاتب عن أمله في أن يثير كتابه اهتمام الفلاسفة والمشتغلين بعلوم البيئة والجغرافيا والعلوم الإنسانية الأخرى.

ويعدّ ولستد أول رحالة غربي يشقّ طريقه إلى عمان الداخلية، وقد تناول في كتابه مدينة مسقط وسكانها، وتحدّث عن قبيلة البني بو علي، وبدو البني جنبه، وقبيلة بني ريام، وقام برحلات إلى وادي بيشة، وواحة نزوى. كما تناول البحارة العمانيين، والزراعة والإبل في عُمان، والعادات والتقاليد العمانية.



هلال، ريم/ البصر والبصيرة (سيرة ذاتية).- بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٢م، ٢٤٠ص.

يحكي هذا الكتاب تجربة المؤلفة الكفيفة البصر منذ ميلادها حتى حصولها على درجة الدكتوراه، وما تخلل هاتين المرحلتين من آلام وأفراح قد تمثل في عمقها وحرارتها ونزعتها الإنسانية ظلاً لجوهر الحياة، كل ذلك في إطار سرد روائي شفاف.



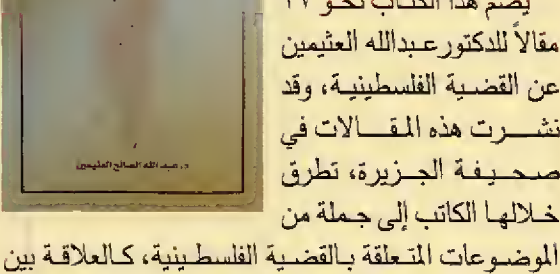
ولدت المؤلفة في اللاذقية، وتعمل الآن مدرسة للنقد الأدبي الحديث في كلية الآداب، قسم اللغة العربية بجامعة تشرين.



هيكل، محمد حسنين/ سقوط نظام!: لماذا كانت ثورة يوليو ١٩٥٢م لازمة.- القاهرة: دار الشروق، ٦٠٥ص.

يقول المؤلف: إن هذا الكتاب جواب عن سؤال: «هل كانت ثورة يوليو ١٩٥٢م لازمة؟»، والسؤال مطروح وهو بعد ذلك مشروع مثل كل سؤال عن الشأن العام. والجواب محاولة في قراءة التاريخ القريب - هدفها الأساسي أن تساهم في عملية ضرورية لتنبيه الوعي المصري - والعربي من شوائب وظلال تتقصد أن تغطي على المستقبل حتى يرتبك وتتعثر خطاه ويمتلكه شك يغلب اليقين في عقله وضميره!».

يقدم الكتاب سرداً تاريخياً مركزاً في أبرز الأحداث المهمة في تاريخ مصر ما قبل عام ١٩٥٢م التي يرى المؤلف أنها أدت إلى تشكل ثورة الضباط الأحرار في مصر، خصوصاً أن المؤلف عاصر تلك الأحداث ويعرف خفاياها.



العثيمين، عبدالله الصالح/ خواطر حول القضية.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٢٥٢ص.

يضم هذا الكتاب نحو ٢٧ مقالاً للدكتور عبدالله العثيمين عن القضية الفلسطينية، وقد نشرت هذه المقالات في صحيفة الجزيرة، تطرق خلالها الكاتب إلى جملة من الموضوعات المتعلقة بالقضية الفلسطينية، كالعلاقة بين أمريكا وإسرائيل، والانتفاضة الفلسطينية، والإرهاب الصهيوني، والدور الأميركي في منطقة الشرق الأوسط، إضافة إلى موضوعات أخرى.

وقد تميز أسلوب الكاتب بالوضوح في طرح القضايا وتحليلها ومناقشة آرائه وإثباتها.

له عدة مؤلفات مهمة في التاريخ السعودي منها: «تاريخ المملكة العربية السعودية» (جزءان)، و«قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد»، و«معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد»، كما ترجم كتاب «بعثة إلى نجد» لجون فيلبي، وكتاب «من حديث بوركهارت عن الخيل والإبل العربية»، تأليف بوركهارت، و«مواد لتاريخ الوهابيين» تأليف بوركهارت، وصدر له عدد من الدواوين الشعرية مثل: «بوح الشباب»، و«عودة الغائب»، و«لا تسلني»، و«صدى البهجة».

www.ahlaltareekh.com

السمطي، عبدالله/ نسيج الإبداع: دراسات في الخطاب الأدبي السعودي الجديد.- الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع والدراسات، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٣٧٦ص.

تتنوع أنماط الأدب السعودي الراهن من خلال هذا المنتج الإبداعي الكثيف الذي تتجاوز فيه الأصوات والاتجاهات المختلفة شعراً، وقصصاً، ورواية، ويهدف هذا الكتاب إلى رصد حالات فنية وجمالية ودلالية تومي بالضرورة إلى ما يعبر عن هذا التنوع من قراءة لمتغيرات الزمان والمكان معاً.

وقد سعى المؤلف في هذه الدراسات التي نشرت في عدة منابر ودوريات إلى الكشف عن هذا النسيج الإبداعي بإضاءة نصوصه، والحفر في طبقات معانيه، متكئاً على مناهج نقدية تبحث عما هو شعري كامن في نصوص الشعر أو نصوص السرد، كما أنه لا يتخلى عن النظرة التأويلية للمعنى وماضيها من تمايز، واتفاق وتآلف.

و قسم الكتاب ثلاثة أقسام رئيسة: جاء القسم الأول عن الظاهرة الشعرية، أما القسم الثاني فخصص لأصوات شعرية راهنة، وتناول القسم الأخير القراءات السردية.

آل مريع، أحمد علي/ السيرة الذاتية: الحد والمفهوم.- أبها: نادي أبها الأدبي، ١٤٢٣هـ، ١٦٢ص.

أصل هذا الكتاب تمهيد إجرائي أنجز نظرياً على رسالة ماجستير أعدّها الكاتب بعنوان «ذكريات علي الطنطاوي: دراسة فنية».

وقد اهتم المؤلف في التفريق بين السيرة الذاتية والقصة والرواية الذاتيتين. ويقول في ذلك: «إذا ما يكاد يصدر عمل روائي أو قصصي فيه من ذات المؤلف أو بعض شؤونه وتاريخه، حتى تنبري الأقلام لتجاهر نصاً وتصريحاً بأنها سيرة ذاتية وتتناوله على هذا الأساس».

يتضمن هذا الكتاب أربعة فصول رئيسة: تبدأ بتعريف مصطلح السيرة الذاتية، ثم يعرض توصيفات المعاصرين للسيرة الذاتية، ويتمثل الاتجاه الأول في ثلاثة أقسام، وكل قسم منه يضم عدداً من الأدباء والمفكرين، ففي القسم الأول جاء كل من: عز الدين إسماعيل، وجبور عبدالنور، ومجدي وهبة، وكامل المهندس، ومحمد الشنطي، وفي القسم الثاني: رشيد مهران، ومحمود أبو الخير، ومحمد التونجي، وإبراهيم السامرائي، وعبدالله الحقيل، أما القسم الثالث فيضم إحسان عباس، وماهر حسن فهمي، ويحيى عبدالدايم.

ومثل الاتجاه الثاني فيليب لوجون، بعد ذلك تطرق المؤلف إلى بعض الأنواع التي تلتبس بالسيرة الذاتية مثل: الاعترافات، والذكريات، والرسم الذاتي، المذكرات، واليوميات، والمفكرة اليومية، وأشكال أخرى.

وجاء الفصل الأخير عن رؤية الباحث لمفهوم السيرة الذاتية، إضافة إلى ملحقين للدراسة التي سبق أن أعدّها وهما: الحقيقة والخيال في السيرة الذاتية، والصدق وكاتب السيرة الذاتية المسلم.



زنجبير، محمد رفعت أحمد/ فن التشبيه في الشعر العباسي: دراسة تحليلية للعوامل المؤثرة في صور التشبيه في الشعر العباسي وتطور تلك الصور وقيمتها الأسلوبية من خلال (مختارات البارودي).- دمشق: دار اقرأ، ودار الآفاق في أبو ظبي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٥٦٨ص.

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

ويقول المؤلف: «أخذت التشبيه لما له من قيمة فنية، وآثار أسلوبية، فهو يؤنس النفس، ويوقظ الخيال، وينير الفكر، ويلون الأسلوب، ويفي بالمواد، وقد ضرب الله سبحانه الأمثال في كتابه تنبيهاً وتذكيراً، وتعليماً

www.ahlaltareekh.com

وتنويراً، ونوه بها، ورفع شأن من يعقلها، فقال عز وجل: *وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون*. **العنكبوت: ٤٣.**

وقد درس المؤلف مختارات البارودي لما لها من قيمة علمية رفيعة، فشخصية البارودي وعلمه وذوقه كلها أمور تجعل عمله جديراً بالعناية والتقدير؛ ولأن البارودي جمع صفوة ممتازة من شعر شعراء العصرين الأموي والعباسي.

قسم المؤلف كتابه إلى بابين رئيسين: الأول بعنوان: العوامل المؤثرة في تكوين التشبيه في مختارات البارودي، وتضمن خمسة فصول.

أما الباب الثاني وموضوعه «أثر التشبيه وقيمته الفنية في مختارات البارودي»، فقد تضمن أربعة فصول، إضافة إلى خاتمة ذكر فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

مجاهد، حورية توفيق/ الإسلام في أفريقيا: واقع المسيحية والديانة التقليدية.ـ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢م، ٤١٣ص.

الهدف الأساسي من هذا الكتاب هو السعي إلى معرفة الذات ومعرفة الآخر معرفة موضوعية على أمل تحقيق مزيد من التواصل الحضاري القائم على أساس من التفاهم بدلاً من الصراع الحضاري؛ وذلك من خلال إلقاء الضوء على الوضع الديني في إفريقية في الوقت الذي تشهد فيه هذه القارة تغيرات دولية تتطلب أن تؤكد هويتها خاصة بعد ما لحقها في ظل الوضع الدولي الجديد من تهميش.

يشتمل الكتاب على خمسة فصول رئيسة: يتناول الفصل الأول الديانة التقليدية وقابليتها للإسلام، والفصل الثاني تطور المسيحية في إفريقية، وفي الفصل الثالث يتحدث المؤلف عن العلاقة بين المسيحية وانتشار الإسلام في إفريقية. أما الفصل الرابع فيحدد وسائل انتشار الإسلام في إفريقية، ويركز الفصل الأخير في عوامل الجذب في الإسلام المتمثلة في بساطة التعاليم الإسلامية، وواقعية أحكام الإسلام وعموميتها، والوسطية والتوازن، والتعاون والتكافل الاجتماعي.



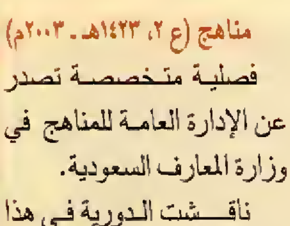
الرباط. ناصر/ ثقافة البناء وبناء الثقافة.ـ بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٢م، ٣٦٥ص.

هذا الكتاب مجموعة من البحوث والمقالات عن تاريخ العمارة ونقدها، كتبها المؤلف بين عامي ١٩٨٥ و ٢٠٠٠م، ونشرت في عدد من الصحف والمجلات العربية، وقد جمعت هذه البحوث والمقالات في خمسة أقسام، وكان عنوان القسم الأول: «العمارة والنقد التاريخي»، وفيه يحاول المؤلف وضع تعريف تاريخي ونقدي للعمارة الإسلامية، أما القسم الثاني: «العمارة ودلالتها الثقافية والبيئية» فيحتوي على خمسة بحوث، يصنف الأول والثاني وفق فقه اللغة التاريخي، بينما ضم القسم الثالث «الدور التاريخي للعمارة» ست مقالات تسعى إلى تحليل نماذج معمارية تاريخية مهمة في التراث العربي وفهمها، مثل قصر الحمراء، وقلعة الجبل في القاهرة، وجامع محمد علي الكبير في قلعة القاهرة، وركز القسم الرابع «آراء في الترميم وحماية المدن التاريخية» في كيفية حفظ المدن التاريخية دون تفريغها من السكان، وتحويلها إلى متاحف في الهواء الطلق، وفي القسم الأخير «انطباعات»، جاءت في ست مقالات تتناول موضوعات متنوعة يراوح فحواها بين ذكريات طفولة، وانطباعات سفر، وملاحظات عن أشخاص، يأخذنا المؤلف عبر صفحات الكتاب في رحلة بصرية وهندسية ومعرفية صوب العمارة مانحاً إياه طابعين ومدارين:، الأول هو ثقافة البناء، والثاني هو بناء الثقافة، في طموح لإرساء لبنة في بناء ثقافة العمارة في العالم العربي.

www.ahlaltareekh.com

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

(س٢٩،ع ١٠٨، شوال - ذوالقعدة - ذوالحجة ١٤٢٣هـ/يناير - فبراير - مارس٢٠٠٣م)



مجلة فصلية محكّمة تعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية، وتصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت.

حفل هذا العدد بكثير من البحوث والدراسات المتعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية باللغتين العربية والإنجليزية، بدأها الدكتوران أحمد بن عبدالرحمن الشميمري وخالد بن عبدالله الدخيل الله بموضوع عن «العوامل المؤثرة في توظيف الجامعيين في القطاع الخاص السعودي»، وتناول كل من الدكتور محمود مدحت عبدالجواد والسيد عدنان سليمان أكبر والسيدة إيمان عبدالله العوضي «جهود استكشاف المياه الجوفية في دولة الكويت وآثارها المستقبلية»، وقدم د.عوض خلف العنزي دراسة ميدانية عن «منظور العمالة الوطنية تجاه سياسة الخصخصة في دولة الكويت»، وختم د.علي أسعد وطفة بحوث العدد بموضوع عنوانه «نسق الانتماء الاجتماعي وأولوياته في المجتمع الكويتي المعاصر: مقاربة سوسيولوجية في جدل الانتماءات الاجتماعية واتجاهاتها».

وفي باب عرض الكتب قدم الدكتور زكريا باشا عرضاً ومراجعة لكتاب «خصخصة قطاع الطاقة في دول الخليج العربية» الذي أعدّه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، بالإضافة إلى الأبواب الثابتة: التقارير، وملخصات الرسائل الجامعية، والببليوجرافيا العربية.

وجاء في البحوث الإنجليزية «الاستثمارات الحكومية والنمو الاقتصادي في المملكة العربية السعودية» للدكتور عبدالله حمدان الباتل، و«التخطيط لسياحة ناجحة: خبرة المملكة العربية السعودية» للدكتور عمر بن سالم باهمام، بالإضافة إلى الببليوجرافيا الإنجليزية ، وملخصات البحوث باللغة الإنجليزية.

العنوان: ص.ب: ١٧٠٧٣ الخالدية، الرمز البريدي: ٧٢٤٥١ - الكويت.

هاتف: ٤٨٣٣٢١٥ - ٤٨٣٣٧٠٥ - ناسوخ: ٤٨٣٣٧٠٥

مناهج (ع ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)



فصلية متخصصة تصدر عن الإدارة العامة للمناهج في وزارة المعارف السعودية.

ناقشت الدورية في هذا العدد كثيراً من القضايا التعليمية والمنهجية التي ترمي إلى مساعدة المؤسسات التعليمية والتربوية في تحقيق أهدافها المنشودة، بدأها د.محمد بن سعد العصيمي المشرف العام على الدورية بمقال عنوانه «مرآة الجميع»، وتناول د.عبدالإله بن عبدالله المشرّف «معوقات في القرار التربوي»، وناقش د.محمد بن أحمد الرشيد وزير المعارف «التفاؤل المنضبط»، وجاء رجع الصدى عن الندوة التي تنظمها وزارة المعارف بعنوان «ماذا يريد المجتمع من التربويين وماذا يريد التربويون من المجتمع؟»، وجاء في الباب نفسه استطلاع قامت به المجلة عن رؤية المجتمع للمدرسة.

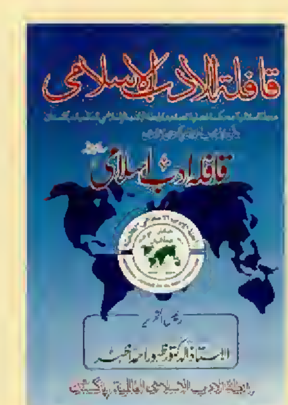
وتضمن العدد بعض الدراسات والمشروعات مثل مشروع اختبار الكفايات الأساسية للمعلمين، ومشروع التدوير البيئي، وجاءت قضية العدد عن طفل ما قبل المدرسة وتطلعات العبور، شارك فيها عدد من الباحثين، كما أبرز العدد تجربة التعليم في الأردن، وأورد حواراً مع مدير المناهج الأردني.

وتناول د.ذوقان عبيدات «أبحاث الدماغ الحديثة وانعكاساتها على الكتاب المدرسي»، وناقش عدد من الباحثين والأكاديميين كتاب العلوم للصف الخامس الابتدائي بهدف تطويره وتصويبه، وتضمن العدد باب الأوائل الذي يلقي الضوء على العطاء العلمي لسير السلف، وجاء عن الإمام الزرنوجي وكتابه «تعليم المتعلم طريق التعلم»، ومقال للدكتور كونراد ويسلي سنايدرعن «أزمات تواجه التخطيط التربوي»، بالإضافة إلى الأبواب: «مناهج نت»، و«باب مكتبة المناهج»، و«مرسال المناهج»، واختتم العدد بمقال لرئيس التحرير أحمد ابن عوضة الزهراني بعنوان «رؤى التطوير واستشراف المستقبل التعليمي».

العنوان: ص.ب: ٢٢٥٤٦ الرياض ١١٤١٦

هاتف: ٤٠٣٨٩٨٧ - ناسوخ: ٤٠٨١٢٩٧

www.ahlaltareekh.com

قافلة الأدب الإسلامي

(مج ٣، ع ٣ - ٤، يوليو ٢٠٠٢ - ديسمبر ٢٠٠٢م)

مجلة إسلامية فصلية، تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية في باكستان.

احتوى هذا العدد الممتاز من قافلة الأدب الإسلامي، الذي جاء مزدوجًا (العددين ٣و٤)، على مجموعتين مستقلتين من المقالات: الأولى هي: «نذير نعيم»، وهي البحوث الخاصة بالشاعر الإسلامي الراحل الشيخ «فضل الرحمن نعيم صديقي»، فقد كان المجلس التنفيذي لمكتب باكستان وأفغانستان الإقليمي للرابطة قد قرر أن تنظم حلقة أدبية تذكارية عن الأدباء والشعراء الإسلاميين في باكستان يحضرها أعضاء الرابطة ليناقشوا جوانب عن فن كل شاعر وأدبه، وقد خُصصت الحلقة الأولى للشاعر فضل الرحمن نعيم صديقي، إلا أن منيته لم تمهل أصدقاءه بعقد الحلقة، فقرر المكتب الإقليمي للرابطة نشر هذه البحوث بعد وفاته في هذا العدد الممتاز.

وجاءت المجموعة الثانية عن الأدب الإسلامي بلغات باكستان المحلية (كالبنجابية، والسندية، والبشتوية، والكشميرية، والبلوصية، والبراهوية، وغيرها)، إذ كان مقرراً عقد ندوة عن هذا الموضوع، إلا أن الظروف السائدة حالت دون ذلك، فسارع الأعضاء بإرسال بحوثهم لتنشر في هذا العدد الممتاز.

بدأت الموضوعات التي جاءت باللغة العربية بقصة عنوانها «نيران الثلوج» للدكتور ظهور أحمد أظهر، وفي الموضوع الثاني سرد الدكتور خالق داد ملك «أثمار وذكريات عن زيارة الدكتور ظهور أحمد أظهر للقاهرة»، وختم موضوعات العدد العربية الشيخ فضل الرحيم بـ «تقرير المكتب الإقليمي الباكستاني» الذي قدّمه في مجلس الهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية الذي عقد بالقاهرة في أغسطس/آب عام ٢٠٠١م.

جاءت بحوث العدد بثلاث لغات هي: العربية، والأوردية، والإنجليزية.

العنوان:

7, Haq Bahu Street,Lalazar Colony
Raiwind Road,Lahore,Pakistan



بيادر

(ع ٣٨، المحرم ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)

دورية ثقافية إبداعية تصدر عن نادي أبها الأدبي.

اشتمل هذا العدد من الدورية على عدد كبير من الدراسات الأدبية، جاءت تحت عناوين مختلفة. ففي باب (دراسات)، كتب د.مصطفى حسين عناية دراسة بعنوان «رؤية أبي تمام في الشعر»، وتناول أحمد علي مريع «محمد مندور: إشكالية قراءته النقدية».

وقد خصص باب (ملتقيات) لردود الأفعال المتباينة التي أثارتها الورشة النقدية الأولى التي نظمها النادي في ملتقاه الشهري حول كتاب الناقد عبدالله السمطي «معركة نقدية حول شعراء عسير»، وقد شارك بالمناقشة كل من: د.مطلق محمد شائع عسيري، وعبدالرحمن حسن المحسني، ومحمد العامر الفتحي.

وأجرى أحمد عبدالله التيهاني في باب (شخصيات) حواراً مع الشاعر أحمد الصالح (مسافر)، وشارك في (واحات) الشعر كل من: محمد زايد الألمعي، وهيلدا إسماعيل سجيني، ومحمد عبدالرحمن الحفظي، وعصام ترشحاني، وطلال الطويرقي، ويحيى صديق حكمي، ومصطفى محمد سند، ود.صالح الزهراني.

وشارك في باب (سرديات) القصص القصيرة كل من: د.محمد منصور الربيعي، ونورة الأحمري، وجودت أحمد الحمد، وحليمة محمد إبراهيم عسيري.

وجاء في باب (بدايات)، وهي صفحات مشرعة لكل القادمين إلى بهو إبداع ليس له قوالب، كل من: موسى يحيى حسن محرق، وأمل عبدالله القحطاني، ونعيمة علي عسيري.

وفي باب قراءات، وهي سلسلة تختص بالقراءات النقدية في نتاج أدباء عسير، قدم أمين سليمان الستيتي الباهلي «قراءة في ديوان الشاعر مريع سوادي (وشايات قروية)».

وختمت الدورية بباب (فضاءات)، وفيه تناول علي إبراهيم مغاوي «الأدب واعتبارات الانتماء».

العنوان: ص.ب: ٤٧٨ - أبها - المملكة العربية السعودية.

هاتف: ٢٢٤٤٢١٠ - ناسوخ: ٢٢٦٢١٦٥

www.ahlaltareekh.com

البحرين الثقافية
(مج ١٠، ع ٣٤، ربيع ٢٠٠٣م)



مجلة ثقافية تصدر عن قطاع الثقافة والتراث الوطني في وزارة الإعلام في مملكة البحرين.

صدر هذا العدد من المجلة وهو يحوي بين دفتيه عدداً من البحوث والدراسات في مختلف ضروب المعرفة، جاءت تحت عدة عناوين: بدأت بالدراسات التي قدم فيها د.محمد جابر الأنصاري دراسة عن «أبو الطيب المتنبي»، ود. عبدالله إبراهيم عن «الحداثة والعولمة والمجتمع التقليدي»، وفخري صالح «في معنى ما بعد الحداثة وترجيعاتها العربية»، وسعيد يقطين «النص العربي والوسائط المتفاعلة»، وختم الدراسات مسعود ضاهر بدراسة عن «المجتمع العربي في القرن العشرين».

وفي مجال التاريخ، تناول خالد البسام تاريخ «البحرين في الحرب العالمية الأولى: معارك الغذاء والإشاعات واللؤلؤ»، وفي مجال الأدب والنقد نقرأ: «المرأة: النص وطقس الكتابة» لمنيرة الفاضل، و«حداثات الشعر العربي المعاصر»، لصبحي حديدي، و «التناظر والمفارقة»، لأوكتافيو باث، و«كونديرا: الروائي المعاصر والموقف من العالم» ليوحنا دانيال، و«ثلاث لوحات إنسانية عن تشيخوف» لبدر عبدالملك.

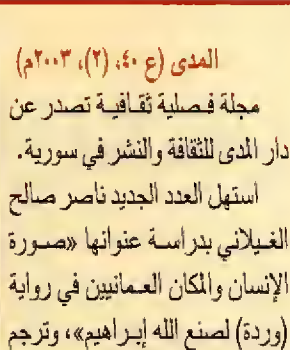
وهناك نصوص إبداعية لكل من: «من الكتاب إلى الشاشة .. الرؤيا الآن .. نموذجاً» لمارشا كيندر، ترجمة: أمين صالح، و«مدخل جمالي إلى اكتشاف الفن الإسلامي» لبركات محمد مراد.

ونقرأ في باب نصوص لكل من : حسين المحروس، ومحمد الطوبي، وفوزية العلوي، ومحمد على شمس الدين، وخورخي لويس بورخس، وشوقي عبدالأمير.

وختمت المجلة بمراجعات عدد من الكتب منها: «الثقافة وإنتاج الديموقراطية» للدكتور إبراهيم عبدالله غلوم، وكتاب «بزوغ فجر الثقافة البشرية» تأليف: ريتشارد كلين، وبليك إدجار، راجعهما الدكتور عبدالأمير الليث، وكتاب «الغرب المتخيل» لمحمد نورالدين أفاية، راجعه الدكتور شرف الدين ماجدولين وغيرها.

العنوان: البحرين الثقافية ـ مملكة البحرين
ص ب: ٢١٩٩ ـ هاتف: ٢٩٠٢١٠ ـ ناسوخ: ٢٩٢٦٧٨

المدى (ع ٤٠، (٢)، ٢٠٠٣م)





مجلة فصلية ثقافية تصدر عن دار المدى للثقافة والنشر في سورية.

استهل العدد الجديد ناصر صالح الغيلاني بدراسة عنوانها «صورة الإنسان والمكان العمانيين في رواية (وردة) لصنع الله إبراهيم»، وترجم ر. جوبين ومنقذ سعيد«الآخر والنقد الذاتي في الثقافة الفرنسية : رؤية الموسوعة الفرنسية للعرب والإسلام» لريبكا جوبين، ومن الموضوعات الأخرى: «نيتشه وأقنعة الذات» لمصطفى الحسناوي، و«كالفينو: الوصايا والإبداع» لسعد محمد رحيم، و«ما الذي يريد منا الضحك؟ عن الكتاب الضاحك» لإبراهيم محمود، و«ثقافات وأزمنة.. وعشاق : قبورٌ تجمع ... وأشجارٌ ترق على العاشقين» لعبدالمعين الملوحي.

وفي مجال الإبداع، قصة إيمري كرتيس «المحضَر»، ترجمة: ثائر صالح، وإسماعيل فهد إسماعيل قصة بعنوان «إيمان»، وأمنية طلعت قصة بعنوان «مذكرات دوناكيشوتة»، وهناك قصائد لسعدي يوسف، وعبدالله الريامي، وخالد البدور، وعصام ترشحاني، وفاطمة ناعوت، ومحمد علاء الدين عبدالمولى، وهنادي زرقة، وصلاح دبشة.

وفي باب شهادة، تناول حسن المسعود «الخط العربي في الفن التشكيلي»، ومن الضفة الأخرى ترجم غسان حمدان بعض أشعار الشاعرة الإيرانية فروغ فرخ زاد «قاطفة نجوم مستنقعات الليل».

وفي مجال السينما تناولت بريجيت دومانجيه «كيوشي كوروساوا يَسِمُ ببصماته السينما اليابانية المعاصرة في عالم ما بعد الحداثة، الأحياء ينتحرون، والموتى يطلبون المساعدة»، وترجم المقال: صلاح سرميني، وفي المسرح ناقش حازم كمال الدين «المضيف» العراقي: من جلجامش إلى «صحراء ٩٣».

بالإضافة إلى الأبواب الثابته: «الكتب» و«رسائل»، و«نافذ أخيرة».

وضم العدد أيضـاً العدد الثالث عشر من فصلية «اللحظة الشعرية» التي يصدرها فوزي كريم، وقد جاء فيها: «قصيدة النثر: هل من موسيقى خفية عن الأذن؟» لفوزي كريم، و«ثلاث قصائد» لخالد الناصري، و«قصيدتان» لمؤيد الراوي.

العنوان: ص. ب: ٨٢٧٢ دمشق.
هاتف ٢٣٢٢٢٧٥ ـ ناسوخ: ٢٣٢٢٢٨٩

www.ahlaltareekh.com

كارل ساغان: الانحياز للعلم

الحسان الرزاقي
تيزنيت ـ المغرب

رحل العالم والكاتب والمفكر الأمريكي كارل ساغان في العشرين من ديسمبر/كانون الأول ١٩٩٦م عن عمر يناهز الثانية والستين بعد صراع دام سنتين مع مرض لم ينفع معه علاج، وصمت بذلك صوت قوي وهب حياته كلها للدفاع عن العلم والعقل، متنقلاً بين الكتابة والمناقشة والبحث ومحاولات تقريب المفاهيم والمستجدات في ساحة العلم لإفهام البسطاء وغير المتخصصين من الناس، لإيمانه الراسخ بأن الوعي بالتطورات العلمية واستيعابها واعتمادها في الحياة اليومية، وإعمال منهج عقلاني واع في تطبيقها كفيل برفع المستوى الفكري والعملي للإنسان.


كارل ساغان

لفت ساغان الأنظار إليه في ثمانينيات القرن الماضي عندما حطم كتابه «الكون» الأرقام القياسية في التوزيع إضافة إلى الشعبية الهائلة التي كسبتها الحلقات التلفازية بالعنوان نفسه، ووصل عدد مشاهديها إلى خمسمئة مليون شخص في ستين بلداً. والسبب في نجاح ذلك الإنجاز راجع إلى استعراض خمسة عشر مليون سنة من التطور الكوني من الانفجار الأول وأصل الحياة، إلى مراحل تشكل الوعي البشري بكيفية مثيرة ومبسطة لأغلب المشاهدين والقراء، وهو الأمر الذي لم يكن معتاداً لديهم من قبل.

وكان قد بدأ مسيرته في تبسيط العلوم في أوائل السبعينيات من القرن الماضي مع كتابه «تنانين عدن: نظريات عن تطور الذكاء الإنساني» الحائز على جائزة بوليتزر للأدب في عام ١٩٧٨م، ولم يحد عن ذلك السبيل بقية حياته. ولم تشغله مشاغله الكثيرة عن العمل الأكاديمي، إذ عمل منذ عام ١٩٧١م أستاذاً لعلم الفلك وعلوم الفضاء، ومديراً لمختبر دراسات الكواكب بجامعة كورنيل. وتتركز اهتماماته البحثية كثيراً في أجواء الكواكب، وتأثير ظاهرة البيت الزجاجي في الزهرة، وأصل الحياة على الأرض، واحتمال وجود حياة وكائنات ذكية خارج كوكبنا.

ولمؤهلاته المتميزة فقد شارك بفعالية في بعثات مارينر، وفايكينغ، وفوياجر، وغاليليو لاستكشاف الفضاء وسبر أغواره، وهو ما فتح آفاقاً جديدة أمام الإنسانية لفهم ما يجري في الكواكب والنجوم، بل والمجرات البعيدة، وتقديراً لجهوده وإنجازاته العلمية فقد قلدته وكالة الفضاء الأمريكية وسامي استحقاق، كما حصل عام ١٩٩٤م على جائزة الأكاديمية القومية الأمريكية للعلوم تكريماً لتسخيره المتميز للعلم في خدمة المصلحة العامة(١).

كون ودماغ وكتاب

يعدّ كارل ساغان الكون كلّ ما هو كائن وما كان موجوداً وما سيكون. وانسجاماً مع هذا التعريف الشاسع الموسع اتّساعَ الكونِ نفسه. فقد تناول دراسته للكون من زوايا متعددة ومتشابكة، وأهم اهتماماته في هذا المجال احتمال وجود كائنات عاقلة في الفضاء الخارجي؛ فهو يعتقد أنه بالنظر لوجود مئة بليون مجرة تحتوي كل منها في المتوسط على مئة بليون نجم، وعدد مماثل من الكواكب، فمن المحتمل جداً أن يعج هذا الكون بمظاهر الحياة على الرغم من أننا لا نملك حتى الآن الدليل على ذلك، فنحن ما زلنا نخطو الخطوات الأولى في استكشاف الفضاء، وإيماناً بهذه الفكرة فقد سعى جاهداً للعثور على كائنات عاقلة خارج كوكب الأرض إن وجدت، لكن هذا الأمل خذله مثلما خذل الكثيرين غيره من العلماء، ورحل دون أن يتلقى رسالة أو مجرد إشارة من مخلوقات ذكية من كوكب بعيد ما. ومجرد تلقي إشارة واحدة ليس دليلاً كافياً في حد ذاته على وجود حضارة متقدمة فحسب، بل دليل كذلك على إمكانية إيجاد طريقة لتفادي التدمير الذاتي الذي يشكل خطراً حقيقياً على مراهقتنا التكنولوجية الراهنة... فإيجاد حل لمشكلة ما يساهم فيه إلى حد كبير إدراك وجود حلّ لها. وهذه واحدة من العلاقات الغريبة بين وجود حياة عاقلة في مكان آخر ووجود حياة عاقلة على الأرض(٢). ولا يقتصر اهتمام كارل ساغان الكوني على الفضاء الخارجي بل يشمل ضمن ما يشمل الإنسان نفسه الذي يسعى إلى العلم والمعرفة والاكتشاف سعياً بلا كلل أو ملل، فهو يعدّه جزءاً لا يتجزأ من الكون والطبيعة المحيطين به، ويؤكد ضرورة تجنب المبالغة والإطراء الذاتي الكاذب، واعتبار أنفسنا أعلى مكانة مما نحن بالفعل.

وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يستطع تجاهل حقيقة تفرد البنية العقلية الإنسانية وخصوصيتها. ففي إطار حديثه عن الدماغ البشري يعتقد ساغان أنه يظل دائماً في حالة هدنة قلقة ومناوشات

www.ahlaltareekh.com

عرضية ومعارك نادرة. وتوافر مكونات الدماغ مع الميول الطبيعية إلى سلوك معين ليس مدعاة للتعصب أو اليأس، فلدينا سيطرة أساسية على الأهمية النسبية لكل مكون من مكوناته(٣). وبما أن مورثاتنا لا تقدر على تسجيل كل المعلومات الضرورية للحياة فقد اخترعنا الأدمغة رويداً رويداً. لكن بعد ذلك أتى عهد - ربما قبل عشرة آلاف سنة - كانت الحاجة فيه ماسة إلى معرفة أكثر مما يمكن للدماغ احتواؤه، وهكذا تعلمنا تخزين كميات هائلة من المعلومات خارج أجسادنا؛ فنحن النوع الحيّ الوحيد على الأرض - حسب ما نعلم - الذي اخترع ذاكرة جماعية لا تخزن في الجينات أو الدماغ، ومخزن هذه الذاكرة يسمى بالمكتبة.

والكتاب - كما يقول ساغان - ينتج من شجرة ونظرة خاطفة إليه تكفي لسماع صوت شخص آخر ربما مات منذ آلاف السنين، وعلى مدى الأحقاب يتحدث الكاتب بوضوح وصمت داخل رأسك ومباشرة إليك. والكتابة هي - فيما يبدو - أعظم اختراعات الإنسان بربطها بين الشعوب والأفراد من عهود مختلفة لا يعرف بعضهم بعضاً، والكتاب يكسر قيود الزمن، وهو الدليل على أن الإنسان بإمكانه ممارسة السحر(٤).

شمعة في الظلام

تعدّ الحركة التشكيكية كارل ساغان أحد رموزها البارزة أسوة بجيمس راندي، وجيرد دياموند، وستيفن جاي غولد. وتعتمد هذه الحركة منهجاً علمياً صارماً يقوم على الملاحظة الدقيقة والتجربة والاستنتاج في تحليل كل الظواهر والأفكار مهما كان نوعها، ولا تأنس إلى الآراء السائدة والمسلمات المتعارف عليها إلا بعد تمحيص وتدقيق شديدين يثبتان بما لا يدع مجالاً للشك انسجامها مع النظريات والأسس العلمية التي ثبتت صحتها. وأشهر كتبه التي طبق فيه آليات التحليل التشكيكية كتاب: «عالم مسكون بالعفاريت: العلم كشمعة في الظلام» الذي نشره قبيل وفاته، وقد كان بحق خاتمةً جمعت الكثير من الأفكار والاستنتاجات والتفسيرات لكثير من الظواهر الغامضة التي تثير الجدل دائماً. وكالعادة كان دائماً منتصراً للعلم ممثلاً في المنهج التجريبي ضد الخرافة والأمور غير العلمية، فتراه يؤكد ضرورة فهم العالم كما هو بدل الركون إلى الوهم المقنع المطمئن. غير أنه يعترف بمرارة بأن الخرافة واللاعلم يقطعان الكثير من الأشواط مقدِّمين إجابات مبسطةً متجنبين التقصي التشكيكي الدقيق(٥).

ومن معاركه الشهيرة ضد معتنقي اللاعلم وناشريه معركة الأطباق الطائرة، فعلى الرغم من شغفه الشديد بالفضاء ورغبته الشديدة في التعرف إلى حقيقة وجود كائنات عاقلة أخرى في أعماق الكون فإنه رفض بشدة قبول فكرة وجود ما يسمى بالأطباق الطائرة، وسفه ملايين الشهادات على رؤيتها مؤمناً بأن ذلك كله محض هلوسة وأكاذيب ملفقة وخداع للذات، وتفسيرات خاطئة لظواهر جوية طبيعية. ويورد ساغان في الكتاب ذاته الكثير من الظواهر الأخرى المثيرة للجدل فيخضعها للفحص العلمي الدقيق لينتهي إلى التشكيك في صدق الكثير مما يقال حولها، وما يعتقده الكثير من الناس عنها، وتناقضها مع الثوابت العلمية كالطب المثلي - الهوميوباثي - وكثير من أنواع الطب البديل الأخرى، وكذا الاتصال بأرواح الموتى(٦). ومن خلال تحليله لهذه الظواهر وغيرها يتضح هدوء أسلوبه وبساطته محاولاً قدر الإمكان الاعتصام بالتجرد العلمي دافعاً القارئ إلى محاولة تجريب آليات التحليل التشكيكي على مختلف الظواهر الطبيعية وغير الطبيعية التي تفرض نفسها فرضاً على الإنسان، في تحدٍّ سافر لقدراته على الفهم والإدراك لتعرف حقيقتها، أو على الأقل جوانب منها. لكن على الرغم من ثقته المفرطة بنجاعة هذا الأسلوب التحليلي، فإنه لا يزال حتى آخر أيامه على هذا الكوكب، الذي كثيراً ما أحبه حباً جنونياً، يخشى كثيراً على مستقبل العلم إذ يقول: أخشى أن يبدو اللاعلم والخرافة أكثر إغراءً عاماً بعد عام، وأن يبدو لحن صفارات اللاعقل أقوى جلجلة وأكثر جاذبية .... حينها تضمحل شعلة الشمعة، ويرتعش ضوؤها الخافت. تتجمع الظلمة وتبدأ العفاريت في الحركة (٧).

غلاف أحد مؤلفاته

وعلى الرغم من تمسكه القوي بمواقفه، فإنه يؤمن مع ذلك بالحق في الاختلاف وطرح الرأي المخالف أو حتى المناقض بكل حرية؛ ففي عبارة شهيرة له يقول: كل واحد منا - في المنظور الكوني - ثمين. إذا اختلفت مع إنسان فاتركه يعش، ففي مئة مليون مجرة لن تجد شخصاً آخر(٨)، وقد جسد موقفه هذا في نظرته إلى الدين، فعلى الرغم من أنه لا يؤمن بالكثير من المسلمات الدينية، فإنه كان محترماً للمعاني الأساسية للتقاليد الدينية، كما يتضح في الكثير من كتاباته. وكثيراً ما كان يفاجئ محاوريه دوماً بمعرفته العميقة والموسوعية للنصوص الدينية - اليهودية والنصرانية طبعاً - ومن أهم مبادراته محاولته التوفيق بين المؤسسات الدينية والعلمية بخصوص قضايا البيئة، كالدفاع عن التنوع الحيوي ومحاربة التلوث والتسلح النووي.

الهوامش

1 - The Darkened Cosmos. A Tribute To Carl Sagan. Skeptical Inquirer. V.21.No2. March/April 1997.P 5.
2- In His Own Words.... Skeptic. V.4 No 4. 1996.p.14.
3- Ibid. P.15.
4- Ibid.
Sagan and Skepticism David Morrison. Skeptic. V.7 No4. 1999. p 30.
5- A Battle - Cry for Reason and Rationality. James Randi. Skeptical Inquirer. v 20. no 4o. 1996. pp: 46 - 47.
6- Ibid.
7- A New sense of The Sacred. Ann Druyan. The Humanist. Nov/Des. 2000. p 22.

www.ahlaltareekh.com

صدر حديثاً عن:

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

بالاشتراك مع مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية



يطلب من: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

إدارة التسويق - ص.ب: ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٣٣ هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٥٩٩٩٣